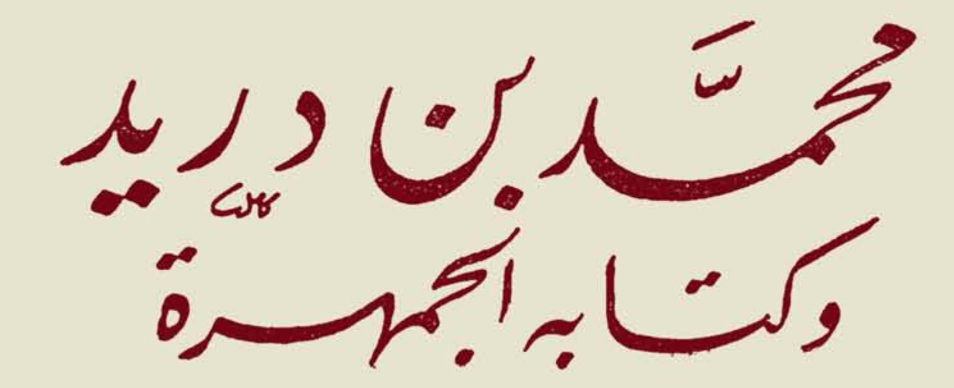


تأليف
د. شرف الدين علي الراجحي
مدير العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم
الأستاذ الدكتور عبده الراجحي
أستاذ العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
اسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد

فقد عرف علماء العربية العمل « المعجمى » منذ فترة باكرة جداً من تاريخ الدرس اللغوى لدى الأمم ، وقد تتابعت جهودهم من كتابة « الرسائل اللغوية » التى تعد معاجم متخصصة فى « موضوع » واحد ، إلى الموسوعات المعجمية الكبيرة ، كما تتابعت هذه الجهود على امتداد القرون الماضية فى الشرق العربى وفى الغرب الإسلامى على السواء .

وإذا كان العصر الحاضر قد شهد تطوراً هائلا فى فن صناعة « المعجم » بأن الوضع قد « إنتكس » عندنا حتى ليصبح فيه القول بأننا غير جديرين بتراثنا الذى قدمه إلينا أسلافنا الكبار .

على أنه ما من شك فى أن الخطوة الأولى نحو التقدم هى أن نفهم قديمنا فهما أصيلا ثم نسعى بعد ذلك إلى الجديد لنتمثله تمثلا يوائم خصائصنا الذاتية .

والدراسة التى يتقدم بها الدكتور شرف الدين الراجحى هى إسهام فى هذا السبيل ؛ فإن دريد واحد من كبار المعجميين العرب ، وكتابه الجمهرة له مكانه فى تقديم اللهجات التى لا تزال فى حاجة إلى جمع مادتها من كل المصادر المتاحة الأدبية واللغوية ، ولعلها مع ما ننتظره من نتائج الحفريات الأثرية التى تجرى الآن فى شبه الجزيرة وما قد نتوصل إليه من نقوش قديمة ، أن تعيننا على فهم التطور اللغوى للعربية .

إن الدراسات التي يتقدم بها الباحثون للحصول على درجات علمية جامعية وفيها هذه الدراسة — لا ينبغي أن تظل حبيسة المكتبات الجامعية ، بل ينبغي تخرج إلى الناس ، وبخاصة أن هذه الدراسات تحظى بشيء من العناية نتيجة عرضها على لجنة من المختصين من أصحاب التجربة الطويلة ، فيضيف تصويبهم لها أهمية خاصة . إننا نرجب بنشر هذه الأعمال بهذا الفهم ، ومن ثم نرحب بهذه الدراسة عن محمد بن دريد وكتابه الجمهرة .

وبالله وحده التوفيق

دكتور

عبده الراجحي

مقدمة

لم تهتم أمة بلغتها اهتمام العرب بلغتهم - وكانوا يفاخرون بفصاحتهم حتى أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه بالعربية - اعجازا وتحديا لفصاحة العرب - وانتشر الإسلام وأصبح القرآن الكريم الدستور الأول للمسلمين ودخل فى الإسلام عدد كبير من غير العرب واختلطوا بالعرب الخلص فتسرب اللحن إلى الألسنة العربية ، وكان هذا خطراً يهدد حياة العربية - لغة القرآن الكريم - فهب علماء اللغة يجمعونها ويحافظون عليها وكانت جهودهم المبكرة تنحصر فى رسائل صغيرة تتعلق بما يهتم به العربى ويفخر بها مثل الفرس والوحش والشاة وجاء الخليل بن أحمد فقدم لنا أول معجم حقيقى فى اللغة العربية ورتبه على الترتيب الصوتى وكان باكورة طيبة ومدخلا يسر السبل لغيره من الخلف ، وجاء محمد بن دريد، وقدم لنا معجمه « جمهرة اللغة » ورتبه على الترتيب الهجائى وسار على طريقة الخليل فى نظام التقليبات ، لكنه خالفه فى كثير من الأمور واستطاع ابن دريد أن يقدم لنا بحق منهجا جديداً للنظام المعجمى إذ هو أول عالم لغوى اتبع النظام الأبجدى الذى سار عليه كثير من أصحاب المعاجم وان كانوا قد خالفوه فى الترتيب والمنهج والمواد ، وإذا كان معجمه لم ينل الشهرة فى عصره فإنه جمع فى كتابه مواداً لغوية تبين فصاحة العرب وحرصهم على لغتهم والإبداع فيها ، ثم إنه ملأ كتابه بتراث شعرى لفطاحل الشعراء الجاهليين وبمجموعة من النوادر لجماعة من اللغويين الأوائل ضاعت كتبهم أو كادت تضيع ، ولقد شارك ابن دريد بجهوده فى المراحل الأولى التى مهدت لظهور فن المعاجم العربية فقد كتب فى السحاب والمطر وغريب الحديث وغريب القرآن ، ونعتبره لذلك من الرواد الأوائل الذين شاركوا فى تأسيس فن المعجم العربى ، ومهد الطريق أمام غيره من

فهاجمه بعضهم وأثنى عليه كثيرون واتبعه بعضهم واعتبروه حجة فى اللغة ، ونقل كثير من علماء اللغة فى معاجمهم وأماليهم أقواله التى ذكرها فى الجمهرة .

هذا هو ابن دريد الذى اخترت أن يكون بحثى هذا مهدى إليه ،وقد قسمت هذا البحث إلى بابين ، ينقسم كل باب إلى فصلين ، تحدثت فى الفصل الأول من الباب الأول عن الحياة السياسية والثقافية والإجتماعية فى عصره وألمحت إلى ظروف الحياة السياسية فى ذلك العصر وماكان يتمتع به الترك من غلبة على الخليفة ، وعلى نظام الحكم وماتبع ذلك من اضطراب وضعف للخلفاء والخلافة وذكرت أثر تلك الحياة على شخصية ابن دريد العلمية ، وتحدثت عن الحياة الثقافية فى ذلك العصر فأشرت إلى علوم التفسير والحديث وأشهر شعراء ذلك العصر وأشهر ناقديه ، وألمحت إلى جهود ابن دريد النثرية التى كانت قد مهدت الطريق إلى ظهور فن (المقامات) ، وجعلت الفصل الثانى من الباب الأول لحياة ابن دريد فذكرت شيوخه وطلبه للعلم وشخصيته العلمية وشخصيته المادية وذكرت تحليلا لتهمة شرب الخمر التى اتهمه بها كثير من العلماء وأنزلوه منزلة دانية بسبب تلك التهمة ثم تحدثت عن ابن دريد شاعراً وناثراً فذكرت جهوده الشعرية وبخاصة المقصورة التى كان ابن دريد أول من نظمها ، أما الباب الثانى فقد قسمته إلى فصلين تحدثت فى الفصل الأول عن آثاره العامة وماتركه لنا من تراث يفيد الباحث اللغوى فذكرت أهم مؤلفاته مثل «الاشتقاق» ومررت مسرعا على مؤلفاته مثل «المجتنى» وكتابه «الملاحن» الذى حاول فيه أن يظهر براعته اللغوية فى قلب معانى الكلمات وتغيير ألفاظها، وكان اهتمامى بمقصورته الرائعة التى مدح بها ابنى ميكال والذى كان قد اخترعها ولم يسبقه أحد من القدماء واتبعه أو عارضه فيها كثيرون ، ثم ذكرت طرفا من شعره الذى أظهر براعته اللغوية وروحه اللطيفة المداعبة ، وفى

الفصل الثانى الذى خصصته بكتاب جمهرة اللغة ، فقد تدمت له بمقدمة عن تطور فن المعاجم العربية وتأسيسها فذكرت جهود الأوائل فى التأليف اللغوى وأيقنت أن أول التأليف فى جمع اللغة كان مهتما بالقرآن الكريم والحديث الشريف وهما أساسا الدين ، وذكرت جهود الخليل بن أحمد ، فى كتابه العين الذى كان سابقا لابن دريد وبينت الآراء التى تبين فضل الخليل والآراء التى تنكر نسبة العين إلى الخليل وذكرت بعد ذلك تأليف ابن دريد للجمهرة وسبب اختياره لهذا الاسم، ومنهجه فى المعجم ، وحاولت تحليل بعض المواد والنظام الذى اتبعه فى معجمه ، وذكرت آراء اللغويين الذين هاجموا ابن دريد والذين دافعوا عنه ، وحاولت أن أقف محايداً بين الرأيين ،ثم ذكرت عيوب الجمهرة ومزاياها ،وختمت البحث بتطور التأليف فى المعاجم حتى عصرنا الحديث وأشرت إلى جهود المستشرقين مثل لين وفيشر ، فى الكتابة عن المعاجم العربية ، ثم ذكرت النتائج التى حاولت أن استخلصها من خلال دراستى لحياة الرجل ومؤلفاته ، وأخيرا فما زلت أخطو على أول الطريق درسا للعربية - لغة القرآن الكريم - وندعو الله تعالى أن يأخذ بيدنا على طريقه حتى ندفع عن عربيتنا كل هجوم ، ويدين منهج هذا البحث إلى استاذى واستاذ أساتذتى الدكتور السيد أحمد خليل الذى كان يشير إلى بلمحات تفيض علما .

والله أسأل أن يهدينا إلى سواء الصراط وأن يأخذ بيدنا حتى نحقق للغة القرآن الكريم مايصبو اليه كل محب للعربية والقرآن الكريم .

الباب الأول

الفصل الأول

الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية

فى عصر ابن دريد

أولا : الحياة السياسية

يتميز العصر العباسى الأول (١٣٢ — ٢٣٢ هـ) بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة وكان العباسيون قد أسندوا إلى الفرس، أولئك الذين ساعدوهم على قيام دولتهم، معظم المناصب السياسية فى الدولة، مما مكنهم من التغلغل فى جميع شئونها، وصبغ ذلك بالصبغة الفارسية. ويتسم العصر العباسى الثانى (٢٣٢ — ٣٣٤ هـ) بضعف الخلافة، وكان الخلفاء لعبة بين يدى الأتراك الذين لعبوا دوراً خطيراً فى هذا العصر ويعتبر الخليفة أبو جعفر المنصور المتوفى عام ١٤٨ هـ أول من استخدم الأتراك، ولكنهم كانوا قلة قليلة لا سطوة لها ولا سيطرة وكان العرب والفرس يسيطرون على أغلب شئون الدولة، ولقد ألف الخليفة المأمون فرقة صغيرة منهم ولكنهم بعيدين عن شئون الدولة وسياستها لميل المأمون إلى الفرس وهم أخواله.

وجاء المعتصم — وهو الخليفة الذى ولد فى عهده ابن دريد — « وكانت أم المعتصم ماردة سغدية وكان أبوها قد نشأ بالسواد أو بالبندنيجين ويقال أنها كانت من مولدات الكوفة »(١)، واستقدم المعتصم عام ٢٢٠ هـ عدداً كبيراً من الأتراك اشتراهم وبذل فيهم أموالا طائلة «واجتمع له منهم أربعة آلاف فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة، وأبانهم بالزى عن سائر جنوده »(٢)

---

(١) تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل جـ ٩ ص ١٢٣

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصنيف على بن الحسين المسعودى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد جـ ٤ ص ٥٣

وقد بلغ اهتمام المعتصم بالأتراك أنه كتب إلى عماله باسقاط من فى دواوينهم من العرب وقطع العطاء عنهم ومنعوا الولايات وانتقلت سياسة الدولة من أيدى الفرس إلى أيدى الاتراك الذين أخذوا ينكلون بالفرس والعرب جميعا .

ورغم ذلك فإن المعتصم حافظ على النزعةالعربيةالمتعصبةودليل ذلكمايروى عن تجهيزه جيشا لمحاربة الروم لان رجلارومبا صفع امرأة عربيةكانت تساومه ثمن سلعة ونادت المرأة « وامعتصماه» فكان أن أمر المعتصم بتجهيز جيشلحرب الروم وتنتهى الحرب بفتح عمورية ، وقد أشاد بهذه الحرب الشاعر أبو تمام فى شعره .

وكان أهم عمل قام به المعتصم بعد توليه الخلافة أن طلب الإمام أحمدبنحنبل وكان فى سجن المأمون وامتحنه بخلق القرآن مدة خلافته وكانت محنة خلق القرآن فتنة تعرض لها المسلمون بغير حق ، سالت فيها دماء طاهرة ، ونادى المعتزلة بخلق القرآن ، وكانوا بذلك يدافعون عن عقيدة التوحيد — فوحدانية الله — يتنافى معها وجود شيء له صفة القدم والأزلية كالقرآن مثلا — هذا هو رأيهم— ويذهب أحمد أمين إلى أن القول بخلق القرآن « ظهر فى أواخر الدولة الأموية على لسان الجعد بن درهم ، الذى كان معلما لمروان بن محمد ، وقيل إن الجعد أخذ ذلك عن أبان بن سمعان ، وأخذه أبان عن طالوت بن أعصم اليهودى » (١) ، ويرى بعض الباحثين أن مصدر هذه الفتنة كان يهوديا مستندآ إلى رواية ابن قتيبة الذى ذهب إلى أن « المغيرة بن سعيد العجلى ، كان يقول بخلق القرآن ، وقد أخذ ذلك عن بيان بن سمعان ، اليهودى الأصل » (٢)، ويذكر الخطيب البغدادى« أن بشرآ

---

(١) ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ص ١٦١ ، أحمد أمين
(٢) ابن قتيبة ، عيون الأخبار جـ٢ ص ١٤٨

المريسى المتوفى عام ٢١٨ هـ اليهودى الأصل، كان يقول بخلق القرآن فى أيام الرشيد، وظل يدعو لذلك نحوا من أربعين سنة » (١) .

وتسلط جماعة من المعتزلة وفى مقدمتهم القاضى أحمد بن أبى دؤاد على المأمون وأدخلوا فى روعه مسألة لاتفيد فى شىء ، بل إنها تسىء إلى جمهرة علماء المسلمين وتزرع الفرقة بينهم ، وبعث المأمون كتابا إلى اسحق بن إبراهيم عامله على بغداد يأمره أن يستحضر علماء بغداد وقضاتها فى موضوع (خلق القرآن) ونشر الكتاب فى الأمصار الإسلامية وجرى امتحان القضاة فيها أما فى بغداد عاصمة المقاومة فقد صمد الإمام أحمد بن حنبل ، وقد اضطر المأمون وهو فى طرطوس أن يبعث فى طلبه هو «ومحمد بن نوح» فحملا إليه حملا غير كريم ولكن المأمون يموت والإمام أحمد ورفيقه فى الطريق إليه ويعاد الإمام أحمد مقيداً إلى بغداد ويموت ابن نوح فى الرحلة ويودع الإمام أحمد السجن حتى يتم تعيين الخليفة الجديد ، وكان المأمون قد أوصى أخاه المعتصم بأن يحمل الناس على القول بخلق القرآن ويعقد مجلساً للمناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق ، والقاضى أحمد بن أبى دؤاد وغيرهما فناظروا أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ولم يزل معهم فى مناقشة إلى اليوم الرابع فأمر بضربه بالسياط ونخس بالسيف ويعذب ويودع السجن ثمانية وعشرين شهراً ثم حمل وصار إلى منزله وظل هكذا فى أيام الواثق حتى رفع المتوكل عنه المحنة ومات .

وبنى المعتصم فى عصره سامرا « فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الأمصار ونقل إليها أنواع الغروس والأشجار » (٢) .

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ٧ ص ٦٠

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لعلى بن الحسين المسعودى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، جـ ٤ ص ٥٥

وارتفع البناء وشيدت القصور وكثرت العماره واتسع رزق الناس وأصبحت مدينة عظيمة وكان وزراء المعتصم محمد بن عبد الملك إلى آخر أيامه وغلب عليه أحمد بن أبى دؤاد .

أما أهم الحروب التى دارت فى عصر المعتصم — فهناك الحرب التى وقعت بينه وبين بابك الخرمى وكان بابك هذا قد ظهر عام أربع ومائتين ولكنه لم يلبث أن اشتد أمره وفرق الجيوش وهزم الجند المجندة وقامت معارك صغيرة بين بابك وبعض قواد المعتصم انتصر فيها المعتصم وهـــزم أحيانا ولكن الفضل الكبير يرجع إلى الأفشين فى حرب بابك والقضــــاء عليه ، وأهم الحروب التى دارت بين الأفشين وبابك كانت «بأرشق» وفيها خدع الأفشين بابك بانصرافه عن «أرشق» وقامت معركة وقتل عدد كبير من أصحاب بابك لكنه استطاع الهروب إلى قريته «البذ» وفى عام ٢٢١هـ حدثت موقعة أخرى بين بابك والأفشين ، وكان قد أرسل «بغا الكبير» أحد قواد الأتراك لحرب بابك ولكنه هزم فاستعد الأفشين لحرب جديدة والتقى ببابك عام ٢٢٢هـ ، وفيها هزم بابك وفتح الله تعالى على المسلمين فى ذلك العام قرية «البذ» وأسر جميع حاشيته وأولاده، وأرسل المعتصم لبابك فقابل الأمان بغطرسة ومزقه وشتم المعتصم، وحاول الهروب إلى جبال أرمينية لكن بطريقاً أغلق الطريق وأرسل إلى المعتصم ، وكان المعتصم قد جعل لمن أسره حيا مائة ألف دينار ودخل بابك بغداد على جمل وفى عام ٢٢٣هـ أمر المعتصم بقطع يديه ورجليه وتوج الأفشين بتاج من الذهب ولكن لم يلبث أن يبطش المعتصم بالأفشين ، وهكذا كان جزاؤه جزاء سنمار .

كان بابك يريد أن يقيم المجوسية بين المسلمين وكانت عبادته تنحصر فى التناسخ والحلول والقول بالرجعة والثنوية والإباحة .

أما الحرب الأخرى فكانت بين المعتصم والروم ، وكان توفيل ملك الروم قد أوقع بأهل زبطرة عام ٢٢٣ هـ ، «ومضى من فوره إلى ملطية فأغار على أهلها وعلى أهل حصن من حصون المسلمين ، إلى غير ذلك ، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة ، ومثل بمن صار فى يده من المسلمين ، وسمل أعينهم وقطع آذانهم وآنافهم » (١) . وخرج المعتصم لحرب الروم وكان من قواده ، أشناس التركى ومحمد بن إبراهيم وكانا فى المقدمة وفى الميمنة أيتاخ التركى وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط وعلى ساقته بغا الكبير وكان جيش المعتصم كما تقول الروايات بين خمسمائة ألف واستطاع الافشين أن يهزم ملك الروم - وتحصن الروم بحصن عمورية وكان حولها خندقا وسورا طويلا فمر بها المعتصم بالمجانيق ويقال أنه كان بالحصن ثغرة كانت مبنية بناء واهيا استطاع المعتصم أن يضربها ضربا شديداً فتحت على أثره عمورية وأسر المسلمون عدداً كبيراً من الروم وكانوا قد حاصروا عمورية مدة خمسة وخمسين يوما .

ثم هناك ثورة المازيار وكان صاحب جبال طبرستان وكان قد عصى المعتصم فأرسل المعتصم عبد الله بن طاهر لحربه واستطاع المعتصم أن يقبض عليه ويصلب بجانب بابك ، وقد عدت بعض الروايات المازيارية شعبة من شعب البابكية وقد غضب المعتصم على الأفشين وكان الوشاة قد أوقعوا به وقالوا أنه كان يأخذ الهدايا والأموال ولايعطى للمعتصم منها شيئا ، أما الوشاية التى تقول أنه كان يدين بدين مازيار وأدعوا أن مازيار كان يدعى الالوهية فهى أقرب إلى الصحة

---

(١) تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل جـ٩ ص ٥٥

ولذلك حبس الأفشين ومات فى الحبس ، وتقول بعض الروايات بأن المعتصم قد صلبه (١) .

ومات المعتصم عام سبع وعشرين ومائتين وخلفه الواثق وسار على نهج أبيه ولم تحدث فى عهده أحداث تستحق الذكر فقد كان صورة من أبيه واستمر يدعو إلى فتنة خلق القرآن « وقتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعى فى المحنة على القرآن فى سنة احدى وثلاثين ومائتين » (٢) .

أما المتوكل فقد تولى الخلافة بعد الواثق عام ٢٣٢ هـ ويضيف المسعودى أيام المتوكل بأنها كانت « أحسن أيام وأنضرها ، من استقامة الملك وشمول الناس بالأمن والعدل » (٣) ؛ وأحدث المتوكل تغييراً حقيقيا على غير ما كان يسير عليه المعتصم والواثق ، وكان يميل إلى أهل السنة ويعمل على نصرتهم وضرب بالسياط رجلا سب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، ويرى بروكلمان أنه « كان يرجو أن يتخذ من الشاميين وهم من أهل السنة عضداً يجابه العلويين » (٤) .

وأمر المتوكل برفع محنة خلق القرآن وعدم التحدث فيها وأمر المتحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة فاحترمه المسلمون حتى قال قائلهم « الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق فى يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز فى رده المظالم والمتوكل

---

(١) دول الإسلام للذهبى ج١

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر تصنيف على بن الحسين المسعودى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج ٤ ص ٧٦ .

(٣) نفس المصدر السابق ج٤ ص ٨٦

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكى الجزء الثانى ص ٥٢

فى إحياء السنة ، ولكنه أساء إلى نفسه لأنه أمر عام ٢٣١ هـ بهدم قبر الحسين رضى الله عنه وماحوله من الدور وأن يحـــرث ويزرع ويسقى موضع قبره ، وألا يقربه أحد من الناس وأثار بذلك المتوكل حفيظة المسلمين وخاصه أهل بغداد الذين ردوا على الاهانات التى ألحقها بالعلويين بسببه فى المساجد والطرقات وحدث فى عهده من الحوادث الطبيعية هبوب عاصفة شديدة على بغداد والبصرة والكوفة وغيرها من مدن العراق فاحترق الزرع والماشية وانقطعت المواد الغذائية عن الأسواق فى بغداد وانتشرت المجاعة وهلك كثير من الناس ، ثم إن الروم كانوا قد استأنفوا غاراتهم على الدولة العباسية فأغاروا على دمياط وأحرقوا ديارها ، ثم غزوا قاليقلا فى جنوبى آسيا الصغرى وهزموا أهلها .

وظهر فى عهد المتوكل رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابورى ، فزعم أنه ذو القرنين ومعه سبعة وعشرون رجلا عند خشبة بابك ، وخرج من أصحابه بباب العامة رجلان ، وببغداد فى مسجد مدينتها آخران ، وزعما أنه نبي ، وأنه ذو القرنين فأتى به وبأصحابه المتوكل ، فأمر بضربه بالسياط فضرب ضربا شديدا فمات من بعد ضربه ذلك وحبس أصحابه »(١)

وغضب المتوكل على وزيرين مشهورين هما محمد بن عبد الملك الزيات فحبسه المتوكل ، والثانى ابن أبى داؤد وحبسه أيضا وحبس أخوته ، وقد دبر الأتراك مؤامرة لقتل المتوكل وكان بغا الصغير قد دعا باغر التركى وأغواه بقتل المتوكل خوفا من بطشه بهم وضربه باغر التركى بالسيف واستقرت الخلافة لابنه المنتصر بالله الذى تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام ٢٤٧ للهجرة .

---

(١) تاريخ الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل جـ٩ ص ١٧٤ .

وكان المنتصر بخلاف أبيه يحسن إلى العلويين فأزال عنهم ماكانوا فيه من الخوف وسمح لهم بزيارة قبر الحسين وكان أبوه قد منعهم من ذلك وعلى الرغم من أن المنتصر كان يعطف على الاتراك قبل قتل أبيه لكنه لم يلبث أن غضب عليهم وصار يسبهم ويقول : « هؤلاء قتلة الخلفاء» ففكروا فى قتله وأغروا ابن طيفور بذلك وكان طبيبه وأعطوه ثلاثين ألف دينار ففصده بريشة مسمومة فمات عام ٢٤٨ ﻫ ولم يمكث فى الحكم سوى فترة قصيرة .

وفى عهد المستعين بالله الذى تولى الحكم من عام ٢٤٨ﻫ إلى عام ٢٥٢ﻫ نجد الأتراك يصبحون ذا سطوة ونفوذ وأصبح المستعين بالله لعبة فى أيديهم — وذكر ابن الأثير — « أن الأتراك انقسموا على أنفسهم فريق منهم على رأسه وصيف بغا صحب الخليفة إلى بغداد وفريق آخر طالب إليه العودة إلى سامرا ، واعتذروا عما بدر منهم ، فامتنع عن تلبية طلبهم » (١)

ولما رأى الأتراك تنكر المستعين لهم وامتناعه عن العوده إلى سامرا خلعوه وبايعوا ابن عمه المعتز بن المتوكل ومن ثم قامت الحرب بينهما ودامت أشهراً وكان أثر ذلك واضحا فى الناحية الاقتصادية للبلاد فأشتد غلاء الأسعار وانهزم المستعين ولكنه حاول أن يستنجد بمحمد بن عبد الله بن طاهر فخذله ومال إلى المعتز وبلغ من سطوة الأتراك أنهم استطاعوا أن يوقعوا بين المستعين والمعتز حتى أنهم أوعزوا إلى المعتز بقتل المستعين فقتل .

ويصور أحد الشعراء موقف المستعين من الأتراك بقوله :

خليفة فى قفص — بين وصيف وبغا
يقول ماقالا له — كما تقول الببغا

(١) الكامل فى التاريخ لابن الاثير جـ٧ ص ٤٩

وكان المعتز أيضا مثل المستعين — ضعيف الرأى والسيرة والعقل « وكان الأتراك قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة فى يدهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه، وإن شاءوا خلعوه، وإن شاءوا قتلوه » (١)، ولم يمض المعتز فى الخلافة سوى فترة قصيرة استطاع الأتراك أن يخلعوه وأن يشهد على نفسه مكرها « ثم بعد خمسة أيام أدخلوه الحمام ومنعوه من الماء حتى عاين التلف ثم أدركوه بماء ثلج فشربه وسقط ميتا » (٢)

وجاء بعد المعتز المهتدى بن الواثق فتولى الخلافة عام ٢٥٥ ﻫ وفى عهده نجد ثورات وحركات ضده — أولها أن العامة فى مستهل خلافته قاموا بثورة فى بغداد وأبوا مبايعته ولكنه أنفق أموالا فى إخماد هذه الثورة وبايعوه، ثم إن الجند ثاروا عليه بسبب استيلاء سليمان بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد على رواتبهم، كما أشعل العلويون نار الثورة فى كثير من البلاد الإسلامية فقد ثار الحسن بن زيد العلوى بطبرستان وثار أحمد بن عيسى الشيخ وكان أبوه واليا على فلسطين والاردن ولما مات أبوه ضم الابن دمشق إليه وامتنع عن حمل المال إلى دار الخلافة، وانتهز فرصة اضطراب أحوال الدولة فصور لنفسه العصيان والاستيلاء على بلاد الشام كلها وطمع فى مصر ولكن المهتدى عمد إلى التخلص منه بالمكر والخديعة فولاه أرمينية على أن يستخلف من ينوب عنه فى ولاية الشام ليقصيه عنها، وندب ابن طولون لقتاله على أن يحكم الشام لكنه استعفى عنها، وقدم ماجور التركى من العراق وهزم قوة ابن الشيخ واستولى على دمشق ولحق ابن الشيخ بنواحى أرمينية فتولى ماجور أعمال الشام كلها .

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن طباطبا

(٢) دول الإسلام للذهبى ج١

وكان المهتدى ألعوبة فى أيدى الأتراك — وكانت قيادة الجند تحت إمرة موسى بن بغا التركى ولكن المهتدى اتخذ من هذا الضعف قوة لأخذ الثأر فحاول أن يستميل إليه «باكباك» أحد قواد الجيش ولكنه لم يثق بالخليفة ووعوده وتعاون مع موسى بن بغا على قتل المهتدى واجتمعت كلمة الأتراك على قتل الخليفة المهتدى على أثر قتله بعض الموالى فثاروا عليه ثم أسروه وخلعوه ولم يكتفوا بذلك حتى عذبوه حتى مات فى رجب سنة ٢٥٦ هـ . (١)

أما الحركات الاجتماعية الدينية الكبرى التى حدثت فى ذلك العصر فكانت ثورة الزنج أو فتنة الزنج ، وقد ظهرت هذه الحركة عام ٢٥٥هـ فى آخر عهد المهتدى وتولى المعتمد الخلافة عام ٢٥٦هـ وقامت حروب بين الدولة والزنج مدة طويلة وقد ساعد على قيام هذه الحركة « ضعف الحكومة المركزية فى ذلك العصر بسبب استبداد أمراء الجيش وتبدل الحكومة المتواصل (٢) » ، وكان مسرح هذه الثورة التى دامت أكثر من أربع عشرة سنة هذه المستنقعات الممتدة بين البصرة وواسط ، وانضمت إليهم جماعات من العبيد الهاربين من الفرس والمدن المجاوره تخلصا من حالتهم ، وكانوا لا يتقاضون من الأجر شيئا ، بل كانوا يقتاتون من الدقيق والتمر والسويق مما جعلهم إزاء هذه الحالة الاقتصادية والاجتماعية السيئة على أتم الاستعداد للخروج على ولاة الامر منهم وكان هؤلاء العبيد يعملون لمصلحة بعض المتعهدين البصريين فى كسح السباخ القائمة قرب البصرة وسرعان ماظهر رجل يدعى على بن محمد وكان يزعم أنه ينتسب إلى على وفاطمة رضى الله عنهما عن طريق زيد بن على ويذهب بعض المستشرقين « إلى

---

(١) تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى ص ٢٤٢

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان جـ٢ ص ٥٢

أنه ربما كان ذلك صحيحا لكثرة عدد بيت زيد بن على » (١)

ولكن هذا الرأى لايرقى إلى الصواب فإن الروايات تطعن فى نسب ذلك الرجل فبعضها يشير إلى أن هذا الرجل «كان يعتنق نظرية الخوارج فى الخلافة(٢) التى تنادى بأن الخلافة حق لكل مسلم ولو كان عبدا حبشيا وهذه الرواية تناقض رأى بروكلمان الذى ذهب إلى أنه يجوز أن يكون من بيت زيد بن على ذلك لأن الشيعة تؤمن على العكس من الخوارج بمبدأ التوريث فى الخلافة وتقصر ذلك على أهل البيت وتذهب بعض الروايات إلى أنه كان رافضيا وتذهب أخرى إلى أنه مطعون فى نسبه » (٣)

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين « إلى أنه لم يكن يهدف إلا إلى السلطة وكان يتوسل إليها بكل وسيلة ممكنة ، فهو يدعى النسب العلوى حينا ليجتذب عطف المسلمين ، ويعتنق آراء الرافضة إذا وجد فى تأويلاتهم مايخدم أغراضه ، وينتحل مذهب الخوارج حينا آخر ليجمع حوله الزنج » (٤)

واقد دعا على هذا الزنج إلى الخروج على الدولة ، ولقد وعدهم بتحسين حالهم وضمان الحرية والثروة لهم وادعى أيضا أن العناية الالهية قد أرسلته لانقاذهم مما كانوا يعانونه من بؤس كما ادعى أيضا العلم بالغيب وادعى النبوة وقدم صاحب الزنج العراق عام ٢٤٧ / ٢٤٨ هـ ثم سار عام ٢٤٩هـ إلى البحرين ودعا إلى تحرير

---

(١) المرجع السابق ص ٥٣
(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى جـ٤ ص ١٤٥
(٣) دول الإسلام للذهبى جـ١
(٤) التيارات الاجنبية فى الشعر العربى منذ العصر العباسى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، عثمان موافى ص ١٩٢

العبيد فى البصرة وضواحيها ، واستمال قلوبهم — حتى إنهم تركوا مواليهم وانضموا إليه ثم سار إلى بغداد عام ٢٥٤ هـ وأقام هناك سنة ، ونقش على لواء صاحب الزنج أن ساعة القضاء على الرق والعبودية قد حانت وأول هذه الآيات الكريمة تأويلا سياسيا قصد به تضليل أنصاره :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوارة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (١)

وقد أول صاحب الزنج هذه الآية الكريمة بأن المؤمنين وقد اشتروا أنفسهم لم يعودوا بعد عرضة للرق والعبودية .

وقدم صاحب الزنج البصرة ، وتبعه بعض علمائها رغبة فى التخلص من الرق وفى يوم الفطر ، خطبهم وصلى بهم وذكرهم ما كانوا يلقونه من ظلم واضطهاد ومناهم بالأمانى الطيبة من إطلاق حرياتهم وتمتعهم بالأموال التى يغتنمونها فى حروبهم واتخذ مدينة له سماها « المختارة » وبناها أولا باللبن ثم جهزها بالغنائم التى استولى عليها وانتشرت جيوش صاحب الزنج فى العراق وخوزستان والبحرين ونهبوا القادسية وهزموا أهالى البصرة واستولوا على سفن كثيرة كانت تحمل الحجاج إلى مكة وسار إليهم المهتدى لكن أحد قواده هزم وقتل واستولى صاحب الزنج على الأبله والأهواز وغيرها واضطر أهل البصرة إلى مغادرة البلاد .

وقد استولى صاحب الزنج على البصرة عام ٢٥٧هـ وذبح كثيراً من أهلها

---

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

ويقال أن عدد القتلى بلغ عشرة آلاف (١) ، ويهمنا هنا أن نذكر أن من بين الذين ذبحوا الرياشى أستاذ ابن دريد ، وقد غادر ابن دريد البصرة آنذاك إلى عمان حتى تهـدأ الأمور وعاد بعد ذلك ، واقتحمت جيوش الزنج واسط ورامهرمز وأرسل إليهم المعتمد «موسى بن بغا» فقتل عدداً كبيرا منهم ولكن هذه الهزيمة لم تقض عليهم فأرسل المعتمد إلى أخيه الذى كان قد نفاه إلى الحجاز وهو الموفق وعهد إليه بقتال الزنج فقاتلهم وأسر بعضهم وأجلاهم عن الاهواز « وحاصر المختارة وبنى مدينة إزاءها سماها الموفقية نسبة إليه (٢) وقطع الموفق الإمداد عن «المختارة» واضطر بعض قواد الزنج إلى طلب الأمان و نضم بقية الثائرين إلى الموفق فأمنهم وعفا عنهم وأخيراً سقطت المختارة وقتل (يهوذا) وكان من قواد الزنج وحمل رأسه إلى الموفق ، غير أن أحد أنصار صاحب الزنج رمى الموفق بسهم فى صدره لكنه لم يلبث أن يقبض عليه ويقتله ابنه العباس الذى ولى الخلافة بعد المعتمد وقتل صاحب الزنج عام ٢٧٠ هـ ، وعلق رأسه على مع وزينت بغداد بأبهى معالم الزينة وطيف برأسه بين مظاهر الزينة وعاد الناس إلى بلادهم .

كانت حركة الزنج دعوة اجتماعية ذات صبغة دينية سياسية ذلك لأن مدعيها حاول أن يستغل بعض المظلومين من رعايا الدولة من الطبقة الكادحة لكن الدولة استطاعت أن تنتصر عليه ، وبتولى الخلفاء المعتضد بالله والمكتفى بالله والمقتدر والقاهر وكانوا جميعا قد وصلوا إلى غاية من الضعف وانتشرت الفتن فى عهد المقتدر وضاعت ممتلكات الدولة فى الخارج وخلع المقتدر مرتين وذبح فى النهاية ،

---

(١) دول الإسلام للذهبى ج١

(٢) الكامل فى التاريخ لابن الاثير ج٧ ص ١١١

وفى عهد القاهر مات ابن دريد عام ٣٢١ ﻫ ومن عام ٣٢٤ ﻫ ابتدأ عصر أمرة الأمراء، وضعف شأن الخلافة العباسية فتقلد ابن رائق منصب أمير الأمراء وبنو بويه فى العراق وقامت دول مستقلة مثل الدولة الطاهرية (٢٠٥ — ٥٩ ﻫ) فى خراسان ثم انتقلت السلطة إلى الدولة الصفاريه (٢٥٤ — ٢٩٠ﻫ) ثم الدولة السامانية (٢٦٦ — ٢٨٩ ﻫ).

ثانيا: الحياة الدينية فى عصر ابن دريد

١ - علوم القرآن الكريم والحديث الشريف :

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأساسى للشريعة الإسلامية ومنبعا للعلوم الإسلامية المختلفة وكان المسلمون الاول يتحرجون من تفسير القرآن الكريم ، عرف هذا فى عصر عمر رضى الله عنه ويحكى لنا الطبرى أن الشعبى مر على السدى وهو يفسر القرآن الكريم فقال « لان يضرب على أستك بالطبل خير لك من مجلسك هذا (١) ، على أن الطبرى نفسه ذكر أمثلة تدل على أن الصحابة وخصوصاً ابن عباس كان يفسر القرآن تفسير محمودا .

وأخذ تفسير القرآن طريقة منتظمة فى العصر العباسى الثانى واتجه المفسرون فى تفسير القرآن اتجاهين - الانجاه الأول يعرف باسم التفسير المأثور وهو ماأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة ، وأشهر مفسرى هذا النوع بن جرير الطبرى وابن عطية الاندلسى والقرطبى . أما الاتجاه الثانى فيعرف باسم التفسير بالرأى وهو يعتمد على العقل أكثر من إعتماده على النقل وأشهر مفسرى هذا النوع المعتزلة والباطنية .

وكان لابن مجاهد المتوفى عام ٣٢٤ هـ دور كبير فى علم القراءات ، وضرب أبو على ابن مقلة «ابن شنبوذ» بالسوط - ويزعم آدم متز أن الدولة كانت تحارب علم القراءات ولذلك ضرب أبو على بن مقلة بن شنبوذ بالسيف (٢) وهذا رأى

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى حـ ١ ص ٣٦

(٢) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده حـ ٢ ص ١١ .

ضعيف ذلك أن ابن شنبوذ كان يرمى باللحن والحق هذا وابن النديم يقول فيه :

« كان دينا فيه سلامة قال فى الشيخ أبو محمد يوسف بن الحسن الراقى أيده الله عن أبيه أنه كان كثير اللحن قليل العلم وقد روى قراءات كثيرة وله كتب مصنفة فى ذلك وتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة فى محبسه بدار السلطان وكان الوزير أبو على بن مقلة ضربه أسواطا فدعا عليه بقطع اليد فاتفق أن قطعت يده » (١)

فليس ابن شنبوذ حجة فى علم القراءات وقد ذكر ابن النديم أيضا نصوصاً تبين أتيانه بقراءة تخالف النص والمعنى ولم يذكر ابن النديم سبب ضربه ابن مقلة اياه بالسوط وإن كان يفهم أنه ضربه لأجل تلك القراءات .

وقد اشتهر فى ذلك العصر علماء كثيرا فى القراءات ذكر منهم ابن النديم عبد الواحد البزار وله كتاب شواذ السبعة وكتاب قراءة حمزة الكبير وابن مقسم وكان أحد القراء بمدينة السلام وله من الكتب كتاب الأنوار فى علم القرآن ، وكتاب اجتماع القراءات (٢) ، أما أشهر مفسرى هذا العهد فهو ابن جرير الطبرى وله مذهب فى الفقه أيضا ، وكتب فى التاريخ وأشهر كتبه فيه تاريخ الرسل والملوك وتفسيره الذى يقع فى ثلاثين مجلداً يسير على طريقة التفسير بالمأثور وهو يتوخى الدقة فى النقل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتابعين ، وفسر الآيات الكريمة بالروايات المروية عن العلماء وأيد ذلك بالاسانيد المختلفة بالرجال — واهتم ابن جرير فى تفسير القرآن الكريم بالرجوع إلى الشعر القديم . لكن الطبرى أثار

---

(١) الفهرست لإبن النديم ص ٥٣

(٢) الفهرست لإبن النديم ص ٥٣

عليه كراهية الحنابلة وبعض السنيين الذين اتهموه بأن آراءه تتفق بعض الشيء مع المعتزلة ، مع أنه كان يرد على القدرية آراءهم فى القدر كما جادل علماء الكلام فى كثير من المسائل وتمسك بروايات المحدثين العظماء مثل البخارى والقشيرى وأبى داود السجستانى ولكن الحنابلة وبعض الحنابلة حنقوا على بن جرير ورموه بالرفض والإلحاد وحالوا دون دفنه نهاراً فدفن ليلا فى داره .

ويذكر ابن الاثير أن سبب ذلك « أن الطبرى جمع كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله ، ولم يذكر فيها أحمد بن حنبل فقيل له ذلك فقال لم يكن فقيها وإنما كان محدثا ، فاشتد ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد ، فشغبوا عليه وقالوا ما أرادوا (١)

وألف الرمانى النحوى المتوفى عام ٣٨٥ للهجرة — وهو عالم بالكلام والفقه والنحو واللغة تفسيرا للقرآن الكريم .

أما النوع الثانى من التفسير — وهو التفسير بالرأى — فقد اهتم به المعتزليون والباطنية ولجأت المعتزلة إلى التأويل إذا اعترضتهم من الآيات القرآنية ما يخالف مبدأ نفى الصفات عندهم ومن أشهر مفسرى المعتزلة أبو بكر الأصم المتوفى عام ٢٤٠ هـ وأبو مسلم محمد بن بحر الأصفهانى المتوفى عام ٣٢٢ هـ وابن جـــرو الأسدى .

وصنفت كتب أخرى فى معانى القرآن الكريم والقراءات وأشهرها كتاب « إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه ، وكتاب القراءات لابن قتيبه المتوفى عام ٢٧٦ هـ ، وكتاب القراءات الكبير والصغير لابن مجاهد وكتاب

---

(١) الكامل فى التاريخ لإبن الاثير حـ ٨ ص ٤٥

القراءات لعلى بن عمر الدار قطنى المتوفى عام ٣٨٥ هـ وكتاب نظم القرآن والمسائل فى القرآن للجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ وكتاب المخلوق لابن على الجبائى . (١)

ونجد من قرأ بالبصرة لقراءة أبى عمرو بن العلاء يحيى بن المبارك اليزيدى وروى عنه أبو عمر حفص بن عمر الدورى المتوفى عام ٢٤٦ هـ ، وأبو شعيب صالح بن زياد السوسى المتوفى عام ٢٦١ هـ .

٢ - علوم الحديث الشريف

وإذا انتقلنا إلى علوم الحديث الشريف وكان قد دون فى العصر العباسى الاول وقبله بقليل ، فقد اختلفت الآراء حينا بين الصحابة فى تدوين الحديث واستقر الرأى على تدوينه ولعل أول من خطا فى ذلك خطوة فعلية عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وفى القرن الثانى بدأ التأليف فى الحديث فنجد فى مكة ابن جريج المتوفى عام ١٥٠ هـ بجمع الحديث ، وفى المدينة محمد بن اسحق المتوفى عام ١٥١ هـ ومالك بن أنس المتوفى عام ١٧٩ هـ وهو صاحب الموطأ وبالبصرة الربيع بن صبيح المتوفى عام ١٦٠هـ وحماد بن سلمة المتوفى عام ١٧١هـ وبالكوفة سفيان الثورى المتوفى عام ١٦١هـ وبالشام الأوزاعى عام١٥٦هـ وبمصر الليث ابن سعد المتوفى عام ١٧٥ هـ .

وحدثت خطوة أخرى فى تدوين الحديث على رأس المائتين وهى مراعاة الأبواب وخرج حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأقوال الصحابة

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٥٤
(٢) ضحى الاسلام ، لأحمد أمين الجزء الثانى ص ١٠٦

وفتاوى التابعين ، وجاء القرن الثالث ونشطت حركة الجمع والنقد وتمييز الصحيح من الضعيف وتشريح الرجال والحكم لهم أو عليهم وفيه ألف البخارى المتوفى عام ٢٥٦ ﻫ الجامع الصحيح وألف مسلم المتوفى عام ٢٦١ ﻫ صحيحه وفيه ألفت سنن ابن ماجة المتوفى عام ٢٧٣ ﻫ وسنن أبى داود المتوفى عام ٢٧٥ ﻫ وجامع الترمذى المتوفى عام ٢٧٩ ﻫ وسنن النسائى ٣٠٣ ﻫ .

أما البخارى وهو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه وكان أجداده من الفرس على دين المجوس ولد ببخارى عام ٢٩٤ ﻫ وكان أبوه محدثا ولما بلغ عشر سنين بدأ فى حفظ الحديث ولما بلغ ست عشرة سنة حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وخطا خطوة جديدة فى جمع الحديث فلم يقصر جمع الحديث على ناحيته فقط كما كان متبعا من قبل فارتحل يطلب الحديث وكانت رحلاته إلى بلخ ومرو ونيسابور والرى وبغداد والبصرة والكوفة وغيرها من المدن وقضى فى هذه الرحلات ستة عشر عاما كما أن البخارى فرق فى جامعه بين الحديث الصحيح وغيره ولم تكن الكتب السابقة تعنى بذلك ، وكان يحتاج فى ذلك إلى معرفة تاريخية برجال الحديث وتاريخ حياتهم ووفاتهم كما أنه يحتاج إلى مقارنه الأحاديث التى ترويها الأمصار المختلفة ويحتاج أيضا إلى معرفة مذاهب الرجال من معتزلى وخارجى وشيعى وغير ذلك وكان البخارى حافظا له ذاكرة قوية .

يقول السبكى « أنه كان يحفظ فى صباه سبعين ألف حديث وأكثر ولا يجىء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا ويعرف مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم »(١)

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى ﺣ ٢ ص ٦

وكان البخارى ما رأى فى تعريف الرجال ونقدهم ولقد وضع كتابه التاريخ لتمييز الرجال أما كتابه الجامع الصحيح فإن البخارى يقتصر فيه على الحديث الصحيح وهو فى اصطلاح المحدثين الحديث المسند الذى يتصل اسناده عن الراوى إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وجمع فيه حوالى ٧٣٩٧ حديثا ، ويدخل فى هذا العدد الأحاديث المكررة ، وقد اشترط البخارى فى جامعة شروطاً سماها شروط البخارى فاشترط فى الحديث أن يكون اسناده متصلا وأن يكون كل راو من رواته مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط متصفا بصفات العدالة، ضابطا متحفظا ، سليم الذهن قليل الوهم ، سليم الاعتقاد » (١)

ونرى عند البخارى أنه لم يقتصر على الأحاديث الصحيحة بهذا المعنى بل ذكر أحاديث موقوفة ومقطوعة ، وقالوا إنه إنما ذكرها للاستئناس ، ولكن البخارى نفيها أيضا وبعده السبكى شافعيا - ولقد رتب كتابه الجامع ترتيبا فقهيا كما فعل مالك فى الموطأ فبعد أن بدأ بباب بدء الوحى أتبعه بالايمان والعلوم ثم أتبعه بكتاب الطهارة وقسم كل كتاب من هذه الكتب إلى أبواب ، وجملة الكتب سبعة وتسعون كتابا فيها ٣٤٥٠ بابا ولقد نقد البخارى بقطع الحديث فيذكر بعض الحديث فى باب وبعضه الآخر فى باب آخر ونقد فى بعض أحاديث بلغت مائة وعشر حديثا ونقد فى أن بعض الرجال الدين روى لهم غير ثقات وقد ضعف الحفاظ من رجال البخارى نحو ثمانين رجلا .

أما صحيح مسلم فصاحبه مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيرى النيسابورى وعده ابن النديم « من المحدثين العلماء بالحديث والفقه » (٢)

---

(١) ضحى الاسلام لاحمد أمين الجزء الثانى ص ١١٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٣٦

كان مسلم تلميذا للبخارى بل انهما يقترنان دآئما للوثوق بهما ويختلف الناس فى تقديم البخارى على مسلم والجمهور يقدمون البخارى ، وامتاز مسلم مثل البخارى برحلاته الكبيرة فرحل إلى العراق والشام ومصر والحجاز وأفاد من البخارى أثناء اقامته فى نيسابور . ويوازن على حسن عبد القادر بين صحيحى البخاري ومسلم بقوله . « وإذا ماقارناه (يعنى صحيح مسلم) بالبخارى (أى بصحيح البخارى) بالنسبة لمحتوياتها فى مجموعها ، فإننا نرى بينهما اختلافا شكليا فهو مصنف كالبخارى وقد نظمه حسب الابواب مثله ، ولكن الابواب عند مسلم لم يعنون لها ، وقد كان غرضه كزميله أن يستخدم كتابه فى الفقه ، ولكنه ترك للقارىء أن يستنتج وحده مايراه حقا فيما يظهر له ، وأمر آخــر شكلى جاء عند العلماء المتأخرين فكلاهما كان يروى الحديث بطرق مختلفة زيادة فى الاثبات ولكن البخارى كان يرويها فى أبواب مختلفة لسبب استعمال الحديث لهذه الابواب ، أما مسلم فكان يروى ذلك كرها » (١)

أما مسند أحمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١ هـ وهو الامام الصادق الذى صمد أمام فتنة خلق القرآن وجلد وسجن حتى رفع الخليفة المتوكل المحنة عنه . وقد ترك الإمام أحمد مسنده ويحتوى على نيف وأربعين ألف حديث منها عشرة آلاف مكررة وقد لاحظ بعض المستشرقين أنه جمع «فى مسنده أحاديث تمدح العلويين والامويين ولم يخش بذلك بطش العباسيين » (٢)

وصنفت كتب أخرى وأطلق عليها اسم الصحاح مثل سنن أبى داود السجستانى

---

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقة الاسلامى ، دكتــور على عبد القادر ص ٣٩٢

(٢) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ، آدم متز ترجمة محمد أبو ريده حـ ٢

المتوفى عام ٢٧٥ هـ وابن ماجه المتوفى عام ٢٧٣ هـ والترمذى المتوفى عام ٣٠٣ ، والنسائى المتوفى عام ٣٠٣ هـ

وأكبر محدثى القرن الرابع أبو الحسن على الدار قطنى المتوفى عام ٣٨٥ هـ والعالم النيسابورى المتوفى عام ٤٠٥ هـ ، ولقد ألف الكرابيسى المتوفى عام ٢٧٨ هـ كتابا فى أسماء الرواة وألقابهم ولقد وضعت الأصول التى يبنى عليها فقه الحديث وتكامل بناؤه فى القرن الرابع وقد رتب ابن أبى حاتم المتوفى عام ٣٢٧ هـ ألفاظ الجرح والتعديل .

الفقــه

كان العصر العباسى الأول عصر أئمة مذاهب السنة الأربعة ونستطيع أن نعد الإمام ابن حنبل فى عداد العصر العباسى الثانى فقد توفى عام ٢٤٢ هـ وظهرت مذاهب فى الفقه — فى العصر العباسى الثانى — غير المذاهب الأربعة لكنها لم تنتشر انتشارها ، وأولها مذهب أبى سليمان داود بن على بن داود وقد أخذ فقه الشافعى عن بعض تلاميذه ويقال أنه « أول من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنة ، وألغى ماسوى ذلك من الرأى والقياس » (١) ، عرف مذهبه بالظاهرى ، وقد خرج على الأصول والقواعد الفقهية عند الشافعية أنفسهم وكان أساس مذهبه العمل بظاهر الكتاب والسنة مالم يكن هناك دليل منهما أو من الاجماع على أنه يراد به غير الظاهر فانه لم يوجد نص عمل بالإجماع ورفض القياس رفضا باتا وقال أن فى عمومات النصوص من الكتاب والسنة ما يعطى كل جواب وقد سار ابنه محمد بن داود على شاكلته ومن متبعى داود ابن المغلس

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٨٠

المتوفى عام ٢٢٤ هـ والمنصـرى والرقى وابن الخلال ، واستمر مذهب داود الظاهرى إلى منتصف القرن الخامس وأشهر اتباعه ابن حزم الذى عرف بابن حزم الظاهرى ثم اضمحل مذهبه .

ومن أصحاب المذاهب الفقهية ابن جرير الطبرى صاحب كتاب الرسل والملوك وصاحب التفسير المشهور ، وكان مفسراً ومؤرخا وفقيها وكان شافعيا أول الأمر ومذهبه لايختلف عن مذهب الشافعى وكان قد تلقى مذهب الشافعية على الربيع بن سليمان بمصر « ولقد أداه اجتهاده إلى مااختاره من كتبه الفقهية ألزمها لطيف القول وهو مما اختاره وجوده ، وكتاب الخفيف ألفه بناء على طلب وزير المكتفى » (١)

ومن أصحاب ابن جرير الطبرى الدولابى ومنهم أبو الحسن أحمد بن يحيى المتكلم وله كتاب المدخل إلى مذهب الطبرى .

وقد ظهر مذهب اسحاق بن راهويه المتوفى عام ٢٤٠ هـ لكنه لم يستمر واستمرت المذاهب الأربعة فى انتشارها وحمل لواءها علماء فمن الحنفية الكرخى المتوفى عام ٣٤٠ هـ وأبو بكر أحمد بن على الرازى الجصاص وله كتاب فى أصول الفقه والمتوفى عام ٣٧٠هـ وأبو الليث السمرقندى المتوفى عام ٣٧٣ هـ وابن سماعة المتوفى عام ٢٣٣ هـ .

ومن المالكية محمد بن يحيى بن لبابة الاندلسى المتوفى عام ٣٢٦ هـ والمعيطى الاندلسى المتوفى عام ٣٦٧

ومن الشافعية المروزى المتوفى عام ٣٤٠ هـ وهناك مروزى آخر من فقهاء

---

(١) تاريخ التشريع الاسلامى للشيخ محمد الخضرى ص ٢٥٤

الشافعية وهو القاضى أبو حامد بن بشر المروزى وله كتاب الجامع فى الأصول والفروع وتوفى عام ٣٦٢ هـ وابن أبى هريرة المتوفى عام ٣٤٥ هـ .

الحركات والمذاهب الاسلامية الاخرى ويتصل اغلبها بالسياسة الداخلية والخارجية للدولة

ظهرت فى هذا العصر مذاهب أو فرق كان لها علاقة بسياسة الدولة إما مناوئة لها أو مسايرة لحركتها وأغلبها كانت معارضة لها منها :

١ – المعتزلة :

وقد نشأت المعتزلة أول أمرها بعيداً عن السياسة لكنها لم تلبث أن دخلت ميدان السياسة، لقد كانوا يدعون أول الأمر إلى الدفاع عن الاسلام ومهاجمة من يخالفهم ،لكنهم عندما استولوا على مناصب عليا وصاروا وزراء ،وأطلق المأمون والمعتصم والواثق أيديهم فى السياسة أذاقوا الناس العذاب فى محنة خلق القرآن التى أطفأها المتوكل ولذا نجد شأنهم يضعف فى عهد المتوكل .

ويسمى هذه الحركة أحد المستشرقين حركة المفكرين الاحـــرار فى الإسلام ويرجع ظهورها إلى أنها كانت تدل على نزعة التحرر من القيود الثقيلة المتعبة ،وعلى القضاء على الفهم السنى الصارم للحياة وأنهم رفعوا العقل فوق كل شىء ، (١)

وتقوم عقيدة المعتزلة على التوحيد ونفوا أن يكون لله صفات أزلية من

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام للمستشرق اجناس جولد تسيهر ، ترجمة محمد يوسف موسى وعلى عبد القادر وآخر ص ١٠١

علم وقدرة وحياه وسمع وبصر ، غير ذاته بل هو عالم قدير حي سميع بصير بذاته واعتبروا مسألة نفي الصفات أساسا من أسس التوحيد وأصولهم الخمس « التوحيد والعدل ، الوعد والوعيد ، القول بالمنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (١)

ويرى كثير من الباحثين إلى أن مذهب المعتزلة انتشر تحت تأثير أرسطو «وأنهم أكثر الفرق الإسلامية أخذوا بلباب الفلسفة اليونانية والانتفاع بها(٢)». وذكر تأثير الفلسفة اليونانية في آراء المعتزلة من المستشرقين جولد تسيهر (٣) ومن المحدثين «عثمان موافي» في كتابه التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري (٤).

ومن أعلام المعتزلة في ذلك العصر أبو الهذيل العلاف المتوفى عام ٢٣٥ هـ وكان مشهورا بالجدل وعرف أتباعه بالهذلية ومنهم أيضا النظام المتوفى عام ٢٢١ هـ وفرقته تسمى النظامية وكان النظام عميقا في تعبيره وله اتجاه شيعي . ثم جاء الجاحظ « وكان لسان المعتزلة في عصره ورد على المشبهه وتكلم في اعجاز القرآن وألف في الاحتجاج للنبوة ونصرة الرسالة » (٥) .

وفي القـــرن الرابع نرى من المعتزله أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي

---

(١) ضحى الإسلام لاحمد أمين حـ ٣ ص ٢١

(٢) اسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص ٤٢٩

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسهير ص ١٠٣

(٤) التيارات الاجنبية في الشعر العربي دكتور عثمان موافي ص ٩٨

(٥) ظهر الاسلام لاحمد أمين حـ ٤ ص ٥

المتوفى عام ٣٠٢هـ وأبـو القاسم عبد الله البلخى المتوفى عام ٣١٩هـ وأبو هاشم الجبائى المعتزلى المتوفى عام ٣٢١ هـ .

ولقد جاء أبو الحسن الاشعرى وكان ربيب المعتزلة ولكنه تحول عن مذهب المعتزلة وناظرهم وكان تلميذاً لابى هاشم الجبائى وقد ولد أبو الحسن عام ٢٦٠هـ ومات عام ٣٢٤ هـ واستطاع أن يصدر أحكاما فى قضايا العقائد فى جو من الاعتدال بعيداً عن تهور وبالرغم من أن بعض الفقهاء ارتابوا فى عقيدته ورموه الحنابلة بالكفر لكن لم يقم دليل على زيغه بل نصره كبار العلماء مثل أبى بكر الباقلانى والاسفرائينى واستطاع الأشعرى أن يتحدث فى قضية القرآن تحدثاً معقولا وتحدث فى رؤية الله فى الآخرة ، ثم اتسعت دائرة السنة فأطلق على المذاهب والفقهاء من أمثال الشافعى ومالك وأبى حنيفة وابن حنبل والاوزاعى مذاهب رسمية للدولة الاسلامية .

ب - الاسماعيلية

وهى إحدى فرق الشيعة الغالية ، وتنسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق وقد لعبت دوراً سياسيا خطيراً فى العالم الإسلامى آنذاك ولكنها لم تظهر كفرقة تلعب دوراً سياسياً إلا بعد موت اسماعيل زعيمها بمائة عام وكان لها دوران ، دور السر ودور الظهور ولم تعرف كفرقة دينية أو سياسية إلا فى أواخر القرن الثالث الهجرى إذا لم تظهر إلا بظهور القرامطة فى البحرين والشام وكان معنى ذلك ظهور الاسماعيلية على مسرح السياسة بصورة سافرة بعد أن ظلت مختفية قرناً من الزمان .

أما القرامطة وهى احدى الفرق الفرعية الاسماعيلية وتنسب إلى رجل يدعى حمدان قرمط وكان أكارا بسيطا وكان مريداً لعبد الله بن ميمون القداح

وكان أبوه ميمون القداح من أشهر نواب الأئمة الإسماعيلية وقد وضع دعاة المذهب الإسماعيلي حتى اعتقد بعضهم انه هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق نفسه ولقد مهد الطريق لابنه عبد الله الذى أقام فى سلمية واخترع دعوة قسمها إلى سبع مراتب ، ودعا حمدان القرمطى إلى طريقته هذه واتبعها كثيرون وفرض الضرائب على أتباعه ليوزعها على الفقراء حتى لم يبق فيهم فقير ويقال إنه صك نقوداً باسم الاسماعيلية وهو يظن نفسه زعيما لجمهورية وربما كان ذلك سببا قويا لما رآه بعض الباحثين المحدثين « أن القرامطة من أول الجمعيات الاشتراكية وكان دعاتهم يدعون إلى مؤاخاة الناس على اختلاف دياناتهم وطبقاتهم وأجناسهم(١)، وذكر مصطفى الشكعة أن القرامطة مالبثوا أن شقوا عصا الطاعة على الإمام الاسماعيلى نفسه وكان مقره سلمية فى سورية ونهبوا أمواله ومتاعه فاضطر إلى الفرار خوفا من بطشهم » (٢)

وكان للقرامطة مذهب متطرف فقد زعموا أن محمد بن اسماعيل رسول وأن الرسالة انقطعت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وآلت النبوة والرسالة إلى على بن أبى طالب وأصبح النبى مأموماً لعلى وقالوا أن الله جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم (٣) ، وهم بذلك يبيحون له المحارم وتمادى القرامطة فى الغلو والفواحش وسفك الدماء ولذلك فإن بعض الشيوعيين المحدثين يفتتنون بها ويعتبرون حركته من حركات الباطنية .

---

(١) ظهر الاسلام ، أحمد أمين حـ ٤ ص ٢٠

(٢) اسلام بلا مذاهب : مصطفى الشكعة ص ٢٢٨

(٣) فرق الشيعة ، النوبختى ، طبعة استانبول ص ٦١

بدأ حمدان بن الأشعث القرمطى يدعو وينجح فى دعوته وكان له دعاة أيضا مثل صهره عبدان الذى نجح نجاحا كبيراً فى دعوته وانتشرت الدعوة فى البحرين على يد رجل يسمى أبو سعيد الجنابى واتبع الدعوة قوم سراً ووصل إلى بلاط الخليفه فى بغداد وأرسل المعتضد بالله جيشا لمحاربة القرامطة «فنى عام ٢٨٧ هـ خرج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجره، فالتقى هو وأبو سعيد الجنابى فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس»(١)، وعندما أرسل المعتضد جيشا لمحاربة القرامطة فى البحرين هزم الجيش واستولى القرامطة على هجر عاصمة البحرين واستولوا على اليمامة وعمان .

واستطاع ذكرويه أحد دعاة القرامطة فى الشام أن ينشر دعوته فيها بمساعدة أبنائه وحاصر ابنه يحيى دمشق عام ٢٨٩ هـ لكنه قتل وانتقلت رئاسة الدعوة إلى أخيه الحسين لكن محمد بن سليمان الكاتب قائد المكتفى قضى عليه عام ٢٩٠هـ وخرج ذكرويه من مخبئه ليثأر لولديه لكنه يقتل عام ٢٥٤ هـ . وقاد القرامطة أبو طاهر سليمان ووسع نفوذه وزحف على البصرة مرة وبغداد مرة أخرى والحجاز أيضا وكان ينتصر فى أغلب غزواته ودخل أبو طاهر هذا مكة وسلب الكعبة وقتل الحجاج ويقال أن عدد القتلى من الحجاج بلغ ثلاثة آلاف غير الذين ماتوا جوعا ومن أسر وكان من بين الأسرى الأزهرى صاحب معجم التهذيب وزحف القرامطة على البصرة ونهبوها عام ٣١٥هـ وهاجموا مكة مرة أخرى وقتلوا أهلها ومن كان من الحجاج فيها حتى من تعلق فيها بأستار الكعبة وهدم زمزم وفرش القتلى بالمسجد وأقاموا أياما فى مكة يقتلون ونهبوا من مكة الحجر الأسود

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، على بن الحسين المسعودى جـ٤ ص ٢٦٧ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

المقدس وبقى هذا الحجر فى الاحساء مهجورا حتى عام ٣٣٩هـ حيث رده القرامطة بأمر من المنصور الفاطمى .

ولم تستطع الخلافة أن تعمل أن تفعل شيئا أمام انتصار القرامطة وبعد زحفهم على الكوفة واحتلالها ، وعقدت معهم الخلافة هدنة ويؤدى لزعيم القرامطة ١٢٠ ألف دينار كل سنة وتوفى أبو طاهر زعيمهم عام ٣٨٢هـ فاكتفى خلفاؤه بما فتحوه من البلاد .

أما الاسماعيلية الأصلية إذ اعتبرنا القرامطة إسماعيلية منحرفة فقد ظهرت فى اليمن على يد ابن حوشب وابن فضل الجونى وقد أقام الحصون والقلاع فى اليمن وانتصر على عمال العباسيين هناك وبعث الدعاة إلى كل بلاد اليمن والبحرين واليمامة ومصر والمغرب وقد سار ابن حوشب إلى مكة وعهد بالدعوة إلى أبى عبد الله الشيعى فنشر الدعوة فى بلاد المغرب وفى عام ٢٩١هـ وقع فى يد داعى الشيعة كثير من مدن المغرب وقد استطاع أبو عبد الله الشيعى أن يجهر بالدعوة لعلى وفاطمة ، فأمر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الحسنين وفاطمة ونجحت جهود الاسماعيلية فى الستر وقامت الدولة الفاطمية .

جـ - الخوارج :

ظهر الخوارج مرة أخرى فى العصر العباسى الثانى ونرى ثورتهم تظهر عام ٢٥٢ هـ وكان زعيمهم مساور بن عبد الحميد بن مساور الشارى البجلى الخارجى وحارب والى الموصل وهزم الجيوش العباسية لكن مالبث أن تتفرق كلمة الخوارج إذ خرج على مساور رجل يدعى عبيده وقامت بين الرجلين حرب قرب الموصول عام ٢٥٧هـ وانتهز المعتمد هذه الفرصة وأرسل إليه جيشا فانتصر

عليه وأخرجه من الموصل لكنه لم يلبث أن قوى أمره وعاد مرة أخرى إلى الموصل والمدينة وعندما مات مساور الشارى خلفه أيوب بن صالح الوراق لكن لم يلبث أن دب النزاع بينه وبين رجل يدعى محمد خرذار وقتل أيوب فى المعارك بينه وبين ابن خرذار وآلت الزعامة إلى رجل يدعى محمد بن عبد الله الوراق لكنه قتل أيضا وبويع لهارون بن عبد الله البجلى الذى انتصر على ابن خرذار واستولى على الموصل واستقر بها . وضعف الخوارج اذن كان سببه الخلافات بينهم على الزعامة وقامت خلافات بين هارون ورجل آخر من الخوارج واستطاع المعتضد أن يقبض على هارون وأن يسوقه إلى العاصمة وصلب ، وبموت هارون بن عبد الله البجلى الشارى ضعف أمر الخوارج فى الموصل لكنهم ظلوا يقلقون العباسيين فى اليمن وعمان بخاصة .

د ـ المتصوفة

شغلت الصوفية المسلمين فترة طويلة ويختلف كثير من الباحثين حول اعتبار الصوفية ، فرقة من الفرق ، ولم يذكرها بعضهم مع الفرق مثل الرازى ومع ذلك فقد نشأ التصوف اسلاميا وعاش مسلما رغم معارضة بعض الفقهاء له وبخاصة المغالين من المتصوفة الذين أشكل على الفقهاء تفسير كلامهم وبخاصة الحسين بن منصور الحلاج المصلوب على يد خليفة عباسى

ظهر التصوف عندما تقدم الزمن بالمسلمين وصار الترف واللهو والبذخ وحافظ بعض المسلمين على سنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء فى الملبس واحتجوا احتجاجا صاخبا على البذخ واللهو فأطلق عليهم المتصوفة ـ هذا هو أصح الآراء التى قيلت فى نشأته غير أن نسبة الصوفى ترجع فى اختلاف الآراء إلى :

تنسب الصوفية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد نسب لبس الصوف إلى

الرسول صلى الله عليه وسلم فى عدة أقوال منها قول أنس فيما رواه ابن ماجه أن ﷺ « أكل خشنا ولبس خشنا ، لبس الصوف واحتوى المخصوب » .

ويقول المسعودى أن عمر بن الخطاب « كان يلبس الصوف ويقال هذا أيضا عن أبى عبيدة بن الجراح الذى كان يظهر للناس وعليه الصوف » (١)

وينسب الصوفى الى الصفة وهم الفقراء الزهاد من المهاجرين وكانوا يسكنون صفة المسجد فى المدينة . ولكن نسبة الصفة صفى وليست صوفى ، وينسب الصوفى إلى الصفا أو الصفو وينسب إلى أول من تسمى بالصوفى وهو أبو هاشم الصوفى الذى ولد فى الكوفة ومضى جل حياته بها وتوفى بها عام ١٦٠ هـ .

ويفرق بعض الباحثين المعاصرين (٢) بين الزهد الذى نشأ عنه التصوف والزهد الإسلامى الذى ظهر فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، ويرى أن النوع الأول لم يختلط بمؤثرات أجنبية وسار بجانب التصوف كصورة أصيلة من صور الاسلام أما النوع الثانى فقد كان زهداً منظماً ، جاء به زهاد الكوفة والبصرة والشام واختلط ببعض المؤثرات الاجنبية وتحول إلى التصوف . وبذلك يرجع بعض الباحثين المحدثين التصوف إما إلى تأثير أجنبى أو تأثره بالمؤثرات الأجنبية فيقسم بعضهم التصوف إلى قسمين : سنى وفلسفى ، ويرى أن النوع الأول كان صادرا عن القرآن والسنة ، أما النوع الثانى الفلسفى ، فقد دخلته كثير من المؤثرات الأجنبية (٣) .

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلى بن الحسين المسعودى ج١ ص ٤١٧

(٢) نيكلسون : فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٢ ترجمة أبو العلا عفيفى

(٣) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ٢٢١

أما رأى المستشرقين فأغلبهم ينسب الصوفية إلى كلمة صوفيا أو سوفس ويقابلها بالعربية فيلسوف ولم يعارض ذلك منهم سوى براون وهو مستشرق فرنسى وبذلك حاولوا أن يرجعوا التصوف إلى أصل أجنبي أو إنه قد تأثر بتأثيرات أجنبية .

فهذا هو أجناس جولد تسيهر يرى « أن تعاليم الافلاطونية الحديثة دخلت إلى نطاق الحياة العقلية فى الإسلام ويعد هذا الحادث ذا أهمية حاسمة من جهة التصوف الاسلامى (١)» ويرى أيضا جولد تسيهر تأثير الافكار الهندية فى التصوف الإسلامى وبخاصة البوذية .

وهذا آدم متز يقول « أن دلالة معرفة الله تعالى هو مذهب الغنوصيين القديم يعود إلى الظهور فى موطنه الأول » (٢)

ونخرج من ذلك إلى أن كلمة الصوفى أو الصوفية كانت تعنى الزاهد فى الدنيا الفانية فاذا كان لبس الصوف دليل على الخشونة والبعد عن ترف الدنيا بأهم مظهر لها وهو الملبس فليس معنى ذلك إننا ننقص من قدرهم ورغم مايدعيه بعض الباحثين وخاصة المستشرقين من تأثير الأفكار الفلسفية والديانات القديمة فى أفكارهم فإن أراءهم أغلبها تحامل وتحيز لاترقى إلى الصواب .

يرى آدم متزان أول ظهور طوائف الصوفية كان هو ٢٠٠ هـ عصر مهد الرهبنة المسيحية وكانوا يعارضون السلطان فى أمره وكان على رأسهم أبو عبد

---

(١) إجناس جولد تسيهر « العقيدة والشريعة فى الاسلام » ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ص ١٦٧

(٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ٢ لآدم متز ترجمة محمد أبو زيد ٥ ص ١٨

الرحمن الصوفى (١)

وهذا رأى خاطىء أيضا فقد ظهـــر التصوف قبل ذلك بقليل فقد أثر عن الحسن البصرى قوله « رأيت صوفياً فى الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معى أربعة دوانيتى فيكفينى مامعى والحسن توفى عام ١١٠ هـ .

وقيل أول من تسمى بالصوفى أبو هاشم الصوفى وأول من حدد نظريات التصوف وشرحها ذو النون المصرى المتوفى عام ٢٤٦ هـ وهو تلميذ الامام مالك وأن الذى شرحها وبوبها ونشرها هو الجنيد البغدادى المتوفى عام ٣٣٤ هـ وأول من دعا اليها من فوق المنابر الشبلى المتوفى عام ١٨٧ هـ بمكة .

وهناك متصوفون معتدلون ومتصوفون غلاة ولقد سار المعتدلون على الطريق القويم وكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . أما الغلاة فكانت لهم سطحات مما حدا بمنهاجمهم أن يستحلوا مايقولون ولهم نهايات مؤلمة مثل الحسين بن منصور الحلاج المصلوب والشلمغاني .

ومذهب المتصوفة الزهد فى الدنيا وحب الله تعالى والتفانى فى هذا الحب « والتصوف هو السمو والرياضة والمجاهدة والبعد عن أسباب الماديات الرخيصة والسعى إلى معرفة الخالق والتقرب والتحبب إلى ذاته (٢)

ونجد من اعلام التصوف فى القرن الثالث والرابع وهو عصر ابن دريـــد مايتحدث عنهم السلمى منهم ذو النون المصرى المتوفى عام ٢٤٥ هـ وبشر الحافى عام ٢٢٧ هـ وسرى السقطى المتوفى عام ٢٥١ هـ والحارث المحاسبى ويقول

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٠ .

(٢) اسلام بلا مذاهب : مصطفى الشكعه ص ٥٩٢

عن الحارث « من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والاشارات وله كتب مشهورة منها لرعاية حقوق الله وهو أستاذ أكثر البغداديين » (١)

ومن القرن الرابع محمد بن الفضل البلخى المتوفى عام ٣١٩ هـ وأبو محمد الحريرى المتوفى عام ٣١١ وأبو الحسين الوراق المتوفى عام ٣١٩ هـ .

أما المتصوفون الغلاة فأشهرهم أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ، وقد غلا فى تصوفه وقال أنه لاموجود فى كل شىء إلا الله ومن هنا نشأ مذهب وحدة الوجود الذى خالف مذهب جمهور المسلمين وكان الحسين بن منصور الحلاج الذى يقال إنه ادعى الالوهية فى عهد المقتدر العباسى . وقد اشتغل فى أول أمره بالتصوف وكان كلامه يحمل معنيين أحدهما حسن محمود والآخر قبيح مذموم . وقدقال بشيئين هامين كانا سببا للهجوم عليه .الاول وحدة الوجود وهو المذهب القائل بأنه لاموجود إلا الله ومعناه انه لا وجود مستغن بذاته إلا وجود الله تعالى ،أما وحدة الشهود فهى حال تستولى على المريد فيفقد فيها التمييز بين نفسه وذات الله تعالى . « والمشايخ فى أمره مختلفون رده أكثر المشايخ ونفوه ، وأبوا أن يكون له قدم فى التصوف وقبله من جملتهم أبو العباس بن عطاء ، وأبو عبدالله محمد بن خفيف وأبو القاسم ابراهيم بن محمد النصر اباذى » (٢) ، وقد قتل الحسين بن منصور عام ٣٠٩ هـ فى خلافة جعفر بن المعتضد وقبل المقتدر بالله .

ومن كلامه العجيب « من طلب التوحيد فى غير لام الف فقد تعرض للخوضان

---

(١) طبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمى تحقيق أحمد الشرباصى ص ٩
(٢) طبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمى تحقيق أحمد السرباصى ص ٧٤

فى الكفر ، ومن تعرف هو الهوية فى غير خط الإستواء فقد جاس خلال الحرة المذمومة التى لااستراحة بعدها » (١)

كان للمتصوفة دور كبير فى الدولة العباسية وظهرت بوضوح فى عصر ابن دريد ونستطيع أن نقول أنهم كانوا أخف ثقلا على الدولة فلم ينشق أحد منهم على الدولة أو يحاربوها بل إنهم احتجوا احتجاجا صارخا على الترف واللهو والمجون بالزهد في الدنيا وإعلاء ذاتية الله تعالى .

(١) أخبار الحلاج تصحيح عبد الحافظ بن محمد المدنى هاشم ص ١٧

الحياة الادبية

(١) الشعر واعلام الشعراء :

بدأ عهد جديد فى الشعر العربى خلال القرن الثانى الهجرى كان له أثره فى مختلف نواحيه الفنية فقد قام على صناعة الشعر « أمشاج من العرب والموالى الذين كانوا يعيشون فى المراكز العقلية الكبرى وخاصة البصرة والكوفة فكان طبيعياً أن تتطور صورته وأن تختلف عن صورة الشعر القديم الذى كان يستمد من علاقات البادية وصلاتها الحسية والمعنوية » (١) وظهر ذلك منذ أواخر القرن الثانى الهجرى على أيدى المحدثين وسار الشعر خطوة كبيرة على يد بشار زعيم المحدثين وأبى نواس ومسلم وازدهرت النهضة الفنية حتى نضجت فى القرن الثالث ، غرق الناس فى اللهو والمجون وغرق معهم الشعر أو أغرقهم فى اللهو والمجون وظهرت الزندقة والشعوبية فى الشعر .

كان أبو تمام آخر من شهدهم العصر العباسى الاول من الصنعة والاتقان ولكن مدرسته ظلت مسيطرة على الشعر طوال العصر العباسى الثانى ، وحدث تغيير واسع فى تفكير الشاعر العباسى وعقله فجاءت دقة التصوير والاستنباط الدقيق والافكار الجديدة واستخدام الشعراء المنطق والفلسفة فى أشعارهم وأكثر الشعراء من الإبداع فى التصوير والخيال والإغراق فيه وتركيب التشبيهات والاستعارات والاوصاف وانصرف الشعراء عن المعانى البدوية أو الحضرية المتأثرة بالبداوة إلى معان حضرية . ويرى د . شوقى ضيف أنه لانصل إلى القرن الرابع حتى

---

(١) الفن ومذاهبه فى العصر العربى : دكتور شوقى ضيف ص ٩١

نحس بأن الشعر العربى جامداً لايتحول عن الموضوعات والمعانى القديمة وقال « وأكبر الظن أن من أهم أسباب هذا الجمود ما أشرنا إليه من العرب لم ينحو فى شعورهم نحواً فلسفيا أو علميا » . (١)

لقد تطورت الحياة المادية التى كانت فى الجاهلية تقوم على السذاجة وانتشرت الشعوبية والزندقة وكان للثقافة الاجنبية والفارسية خاصة أثر كبير فى الشعر العباسى فى القرن الثالث والرابع ، ولم يكن يعتمد الشعراء إلا على تشجيع الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدوله فتبارى الشعراء فى كسب عيشهم فى التقرب من الخلفاء والمقربين اليهم من العظماء بالقصائد ابتغاء المنح والعطايا .

أما اعلام الشعر فى هذا العصر فنهم .

١ ـ البحترى : (م ٢٨١ هـ)

وهو من أكبر الشعراء الذين ظهروا فى القرن الثالث الهجرى وهو يجيد فن المدح والاعتذار والغزل وكان واضحا فى أسلوبه يحب الصنعه ولكنه يؤثر منها ما كان موائما للنظرة العربية السليمة والذوق الأدبى الخالص الذى لم تفسده آثار الحضارة وألوان الثقافة ومن شعره :

منى وصل ومنك هجر	وفى ذل وفيك كبر
وما سواء إذا التقينا	سهل على مثله ووعر
قد كنت حرا وأنت عبد	فصرت عبدا وأنت حر

ويهمنا من وصف الشعراء مايتحدثون به عن الإحداث فى عصرهم فهذا

---

(١) نفس المصدر ص ٢٩٢

البحترى يشيد بالإنتصار الساحق الذى حققه اسحق بن ابراهيم على الخرمية وجيوشهم الكثيفة التى تجمعت بجبال قران :

وعلى الأمير أبى الحسين سكينة ... فى الروع يسكنها الهزبر الأغلب
ولحربه الاسلام حين يهزها ... هاول يراع له النفاق ويرهب
تلك الحمرة الذين تهافتوا ... فخشرن فى غيه ومغرب
والخرمية إذ تجمع منهم ... بجبال قران الحصى والأثلب
جاشوا فذاك الغور منهم سائل ... دفعا وذاك النجد منهم معشب (١)

٢ - ابن الرومى

وهو شاعر تثقف بالثقافة الحديثة وكان يتكلم فى الفلسفة واسمه على بن العباس بن جريج وجده رومى وأمه فارسية ولد عام ٢١/هـ وكان مولى عيسى بن عبد الله بن جعفر بن المنصور ونراه مسرفا فى طعامه وشهواته معتل الصحة مختل الأعصاب ويرى د. شوقى سيف أن ذلك « لعله كان ثمن نبوغه ، فلم يشعر بشىء من الفرحة بالحياة ، بل شعر كأنها كأس مر بتجرعة فانقلب ساخطا على كل ماحوله حتى على من أكرموه وفسحوا له فى مجالسهم واغدقوا عليه من أموالهم فهجاهم فاحتجبوا عنه »

واستخدم ابن الرومى الفلسفة والمنطق ومن أمثلة ذلك :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والافما يبكيه منها وانها ... لأفسح مما كان فيه وأرغد

---

(١) ديوان البحترى حـ ١ ص ٧٤

اذا أبصر الدنيا استهل كأنه   بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وكان ابن الرومي متابعا أحداث عصره فهذا هو يقول في فتنة الزنج :

أي نوم من بعد ما حل بالبصـ   ـرة ما حل من هنات عظام
أي نوم من بعد ما انتهك الز   نج جهارا محارم الاسلام
أقدم الخائن اللعين عليها   وعلى الله أيما أقدام
لهف نفسي عليك أيتها البصـ   ـرة لهفا تمثل لهب الضرام (١)

ومن جوانب الهجاء الساخر في شعره ومن أشهر شعره :

وجهك ياعمرو فيه طول   وفي وجوه الكلاب طول
والكلب واف وفيه غدر   فيك عن قدره سفول
وقد يحامي عن المواشي   ومايحامي ولا تصول
وأنت من أهل بيت سوء   قصتهم قصة تطول

٣ ـ أبو تمام :

وهو حبيب بن أوس الطائي ولد عام ١٨٢ أو ١٨٨ أو ١٩٠ أو ١٧٢ هـ على اختلاف الروايات ، وكان أبو تمام يأخذ نفسه بثقافة واسعة حتى قالوا إنه عالم وأثر أبو تمام في نظم الشعر وتجويد المعنى ودقته وأحب جزالة اللفظ ومتانة الاسلوب وبالصنعة وقصد البديع وشعره مباين الشعر في عصره مباينة واضحة من حيث تصويره للشعر وشدة أخذه نفسه بتجويد المعنى ووحدة القصيدة وفي كلفه بوصف الطبيعة وميله إلى المعاني الفلسفية يقول عنه ابن المعتز : « ويقال

---

(١) ديوان ابن الرومي ، اختيار كامل كيلاني ص ٤١٢

أن له ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة ، وأكثر ماله جيد ، والردىء الذى له إنما هو يستغلق لفظه فقط فأما أن يكون فى شعره شىء يخلو من المعانى اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا » (١)

ومن جميل شعره هذه الأبيات وفيها يخاطب صاحبته وهى تلومه على الارتحال ومايلقى فيه من أهوال يقول :

أعاذلتى ما أخشن الليل مركبا وأخشن منه فى الملمات راكبه
ألم تعلمى أن الزماع على السرى أخو النجح عند النائبات وصاحبه
ذرينى وأهوال الزمان فأهواله العظمى تليها رغائبه

أما أشهر أشعاره التى تبين متابعته لأحداث عصره ومدحه للقواد والخليفة فنها قصيده عمورية وأولها :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

ويقول لنا فى وصف ذلك اليوم :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب
أبقيت جد بنى الإسلام فى صعد والمشركين ودار الشرك فى صبب

وقوله مشيدا بالانتصار الساحق على الخرمية يوم أرشق :

يا يوم أرشق كنت رشق منية للخرمية صائب الآجال
أسرى بنو الاسلام فيه وأدلجوا بقلوب أسد فى صدور رجال

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار فن ص ٢٨٦

قد شمروا عن سيفهم فى ساعة ‏ أمرت ازار الحرب بالاسبال
لما رآهم بابك دون المنى ‏ هجر الغواية بعد طول وصال
تخذ الفرار أخا وأيقن أنه ‏ صرعى عزام من أبى سحال (١)

ومن أشهر شعراء هذا العصر عبد الله بن الخليفة المعتز بالله المتوفى ٢١٦ ه، ولقد اهتم منذ صغره بالأدب واللغة وأخذ عن المبرد وثعلب وشعره يدور حول ما كان ينعم به من الترف والرفاهية وعنى بالغزل والخمريات ومجالس الشراب وقد وصف ابن المعتز صاحب الزنج فى أرجوزته عن تاريخ المعتضد يقول فيها :

شيخ ضلال شر من فرعون ‏ لحيته كذنب البرذون
أمام كل رافضى كافر ‏ من مظهر مقالة وساتر
يلعن أصحاب النبى المهتدى ‏ إلا قليلا عصبة لم تزدد
فكفر الناس سواهم عنده ‏ فلعنة الله عليه وحده
مازال حينما يخدع السودانا ‏ ويدعى الباطل والبهتانا (٢)

ويصور مرة أخرى ما فعله صاحب الزنج فى البصرة والاهواز وواسط وغيرها من المدن الإسلامية التى امتدت اليها يده بالتدمير والتخريب :

فواحد يصرخ بالعمود ‏ وواحد يدخل فى السفود
وبعضهم مسمط مربوط ‏ وبعضهم فى مرجل مسموط

(١) ديوان أبى تمام ج ٣ ص ١٣٥
(٢) ديوان ابن المعتز ص ١٥٥

وجل الأسرى مكتفينا ... أغراض نبل ومتلفينا
وبعضهم يحرق بالنيران ... وبعضهم يلقى من الحيطان
وبعضهم يصاب قبل الموت ... وبعضهم يئن تحت الموت (١)

ومن شعره الجميل ويصف فيه سرعة القلم فى الكتابة وجريانه على السطور يقلبها فى خشوع وتواضع ويتعجب من دقة حجمه وما يأتيه من أفعال :

قلم ما أراه أو قدر يجـ ... ـرى بما شاء قاسم ويشير
ساجد خاشع ويلثم طورا ... را كما قبل البساط شكور
وجليل المعنى لطيف نحيف ... وكبير الافعال وهو صغير
كم منايا وكم عطايا وكم حتف ... وعيش تضم تلك السطور (٢)

ومن شعراء القرن الثالث والرابع محمود بن الحسين الوراق المتوفى عام ٢٣٠هـ ويخبرنا ابن المعتز فى «طبقات الشعراء» بأنه كانت له جارية تسمى «سكن» وشعره محمود كثير وأكثره أمثال وحكم ومواعظ وأدب وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس وسابق البربرى ومن قوله :

يمثل ذو الحزم فى نفسه ... معانيه قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه ... لما كان فى نفسه مثلا
وان السهم يدمى إلى آخر ... فصبر آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه ... وينسى مصارع من قد خلا (٢)

---

(١) ديوان ابن المعتز ص ١٠٥ — ١٥٦
(٢) الصولى فى كتاب الأوراق ص ٢٦٠ (قسم أشعار أولاد الخلفاء)
(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٦٧ تحقيق عبد الستار فراج

وعلى بن الجهم المتوفى عام ٢٤٩ ﻫ وكان شاعراً مفلقا مطبوعا يضع لسانه حيث شاء وكان هجاءا ، ومن خبيث قوله :

بنو تيم هل تدور ما الخبر ... وكيف يستر أو ليس يستتر ؟
حاجيتكم من أبوابكم يابنى عصيب ... شتى ولكنكما للقاهر الحسر (١)

وعبد الصمد بن المعذل المتوفى عام ٢٤٠ ﻫ وعمارة بن عطيل المتوفى عام ٢٤٠ ﻫ ودعبل المتوفى عام ٢٤٦ ﻫ والحسين بن الضحاك الخليع المتوفى عام ٢٥٠ﻫ .

وإذا تجاوزنا القرن الرابع فنستطيع أن نعد المتنبى أشهر شعراء عصره بل أشعر شعراء العرب بعد الجاهلية لكننا لانستطيع أن نقول أنه عاصر ابن دريد فقد ولد عام ٣٠٢ﻫ وقد قيل أنه ادعى النبوة على الرغم من أن الدكتور شوقى ضيف ينفى ذلك (٢) ، وقد دخل المتنبى السجن عام ٣٢٢ ﻫ وشعره رائع وبديع .

---

(١) المصدر السابق ٣٢٠
(٢) الفن ومذهبه فى الشعر العربى : دكتور شوقى ضيف ص ٢٠٥

النثر والنقد

بلغ النثر فى القرن الثالث الهجرى أوج اكتماله وامتاز بسهولة العبارة وانتقاء الألفاظ وجودة الإسلوب والمعنى ودقة الأخيلة وابتداعها ومال الكتاب إلى الإطناب ولم يحفل بعض الكتاب بالبديع والتأنق كثير فى الاسلوب وحمل لواء الهجوم على البديع «الجاحظ» واقتدى به أبو بكر الصولى وابن الزيات والحسن وسليمان ابنى وهب وسويد بن حميد وأحمد بن اسرائيل والحسن بن مخلد وابن المدبر غير أن عصر السجع بدأ يظهر فى القرن الثالث فى الرسائل السياسية وعند كتابها ولعل أقدم نموذج يصور ذلك ذمية طاهر بن الحسين . وكان الكتاب حتى منتصف القرن الثالث يسجعون وأحيانا لا يسجعون (١) ، ويرى الدكتور طه حسين أن الكتاب فى القرن الثالث الهجرى « قد تقسموا فنونا مختلفة، وتخصص كل منهم فى فرع من هذه العلوم ، فمنهم من تخصص فى الفلسفة والكلام ومنهم من تخصص فى اللغة والنحو وقليل منهم من جمع من هذه الأشياء كثيراً بل نرى أن هذه الحياة العقلية غلبت العقل العربى على الخيال العربى ، ورفعت شأن النثر على شأن الشعر » (٢)

أما أعلام النثر فى القرن الثالث فنرى أمامنا أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ وهو من كبار المعتزلة واليه تنسب احدى فرق المعتزلة المعروفة بالجاحظية وكان من حظه أن يعيش العصر الذهبى للأمة ، عصر الرشيد والمأمون حيث العلوم والآداب يومئذ تزخر بها معاهد العلم وحيث حركة العلم

(١) المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٢) صحيفة الجامعة المصرية أبريل ١٩٢١ ص ٥٥

والتأليف والترجمة نشيطة والتشجيع عليهما كثير من ذوى السلطان والمال (٣).

وأسلوب الجاحظ يمتاز به ولا ينسب إلا إليه وهو أسلوب تظهر فيه شخصيته ظهوراً تاماً وفى تأليفه أنيس يتحرر من قيود كثيرة قيد بها علماء عصره واختار الطبع والبعد عن التكلف والتعقيد وآثر الوضع وظهور الشخصية واحتال على نشاط القارىء بالفكاهة ومزج الجد بالهزل والاستطراد، وهو متحمس للعرب وفى إنشاء الجاحظ كثير من أساليب الخطابة والجدل، وأمد الجاحظ المكتبة العربية بكتب ظلت وستظل منبعا يستقى منه مناهل المعرفة والآداب، ومؤلفاته تقرب من ثلثمائة وستين مؤلفا فى فنون شتى من المعرفة، ولكن له كتابان اعتنى بهما وبحث فيهما قضايا البيان والبلاغة ونقد الكلام والشعر وهما (البيان والتبيين والحيوان) ومن أطرف كتبه أيضا البخلاء وله أيضا رسالة التربيع والتدوير التى هجا فيها أحمد بن عبد الوهاب وتقع فى نحو ١٠٠ صفحة.

وظهر لنا فى القرن الثالث كتاب نقاد يتحدثون عن السرقات الشعرية وأشهرهم أحمد بن طاهر طيفور المتوفى عام ٢٨٠ هـ الذى ينسب اليه كتابان هما كتاب سرقات الشعراء، وكتاب سرقات البحترى من أبى تمام.

وشهد القرن الرابع الهجرى نهضة أدبية كبرى فقد ظهر فيه كثير من أعلام البيان بينهم طائفة من الوزراء. وشاع استعمال السجع فى الرسائل ويقول الدكتور شوقى ضيف، على أننا لا نصل إلى عصر المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) حتى

---

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : دكتور عبد العزيز عتيق ص ٤٣٤

نجد السجع يصبح عاما فى كل ما يصدر عن دواوين فليس هناك وزير ولا كاتب إلا وهو يتخذ السجع فى صياغته (١).

أما أشهر كتاب هذا القرن فنجد ابن العميد وكان شيعيا على مذاهب الامامية وسمى بالجاحظ الثانى ، وكان مثقفا ثقافة واسعة قربته من ركن الدولة ثم عضد الدولة وكان يقال « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » ، وكان ابن العميد يستعمل السجع فى كتاباته وكان يدمج وشى السجع فى وشى البديع من التصوير والطباق والجناس ، يقول ابن مسكويه فى تجارب الأمم : « كان ابن العميد يختص بغرائب من العلوم الغامضة التى لا يدعيها أحد كعلوم الحيل كالميكانيكا التى يحتاج فيها إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجر الثقيل ومعرفة مركز الأشكال واخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة إلى العقل » (٢).

ومن كتاب هذا القرن أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابى الحرانى المتوفى عام ٣٨٤ هـ وقد تقلد ديوان الرسائل عام ٣٤٩ هـ وكان متمسكا بدينه على الرغم مما بذله الخلفاء والوزراء من جهود لتحويله الى الاسلام .

ويعد الصاحب بن عباد وزير فخر الدولة بن ركن الدولة البويهى من أشهر رجال عصره والمتوفى عام ٣٨٥ هـ يقول أبو منصور الثعالبى فى يتيمة الدهر « هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء والأدباء والشعراء وحضرته محط رجال وموسم

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى : دكتور شوقى ضيف ص ٢٢٠

(٢) تجارب الأمم لابن مسكويه ص ٢٣٠

فضلائهم ومقترح آمالهم وأحوالهم معروفة اليهم وسار كلامه مسير الشمس»(١)
وكان الصاحب عالماً فالتف حوله كبار الشعراء مثل السلامى وأبى بكر الخوارزمى
وأبى الحسن البويهى وأبى سعد الرستمى ، وصنف لنا الصاحب كثيراً من الكتب
«منها كتاب فى سبع مجلدات أسماه المحيط وكتاب الكافى فى الرسائل وكتاب
الأعيان وفضائل النيروز ، وكتاب الكشف عن مساوىء شعر المتنبى »(٢)

ولكن ما دور ابن دريد وهو موسوعة لغوية أدبية فى الكتابة والنثر فى
ذلك القرن ؟

كان لابن دريد دور كبير فى نهضة النثر فى ذلك القرن وقد ذكر بعض الباحثين
المحدثين أنه كان مبتكر فن المقامات بأحاديثه الاربعين المنتشرة فى كتاب الأمالى
لأبى على القالى وأنه فتح الطريق لبديع الزمان الهمزانى المتوفى عام ٣٩٨هـ للكتابة
فى المقامات وسنتحدث فى ذلك عند حديثنا عن حياته ومؤلفاته. أما بديع الزمان
الهمزانى المتوفى عام ٣٩٨ هـ فليس هناك كاتب فى القرن الرابع نال من الثناء ما
ناله وقد ترك لنا مجموعة من الرسائل بلغت ٢٣٠ رسالة وأكثرها فى علاقاته
الشخصية ومن رسائله إلى أبى بكر الخوارزمى :

« إنا لقرب الإستاذ أطال الله بقاءه كما طرف النشوان مالت به إلى الخمر ،
ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر ، ومن الامتزاج بولائه كما
التقت الصهباء والبارد العذب ومن الابتهاج بمرآه كما اهتز تحت البارع الغصن

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبى جـ ٣ ص ١٦٩
(٢) وفيات الأعيان لإبن خلكان جـ ١ ص ٧٥

الرطب(١) ومن قول بديع الزمان فى تعزية : « الموت خطب قد عظم حتى الموت أخذ خطرها وحنت حتى سار الحمام أصغر ذنوبها » (٢)

وتخصص بديع الزمان بالمقامات وهى نوع من القصص القصيرة بالحركة التمثيلية وفيها تدور المحاورة بين شخصين سمى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الاسكندرى وهو من الادباء السائلين الناس يستجديهم وهو يشبه طائفة الادباتية) التى سادت عصرنا فترة .

أما حركة « النقد » فى القرن الثالث والرابع « فقد تأثر بالنهضة العلمية الأدبية التى شهدت القرن الثالث والرابع وتطور كثيرا لامن حيث شكله ومظهره ولامن حيث حقيقته وجوهره وذلك بفضل العناصر الاجنبية الثقافية التى بدأت تتسرب إليه والروح العلمية التى تحركه وتسيره ، وتباين أمزجة المشتغلين به واختلاف ثقافاتهم » (٣)

ورأينا فى القرن الثالث من العلماء الادباء من اشتغل بقضايا النقد ومنهم الجاحظ المتوفى عام ٢٥٠ هـ وابن قتيبه المتوفى عام ٢٧٣ هـ وكتاباه أدب الكاتب والشعر والشعراء من آثاره الخالدة ، وفى كتابه الشعر والشعراء يذكر مقياسه فى نقد الشعر وهو يختلف كل الاختلاف عن مقياس اللغويين والنحاة ويقيم منهجه النقدى على أصول استمدها من آرائه الخاصة ومن معارف سابقة فى النقد . ومن النقاد فى

---

(١) رسائل بديع الزمان الهمذانى ص ١٢٨
(٢) يتيمة الدهر للثعالبى ج ٤ ص ٢٤٤
(٣) تاريخ النقد الادبى عند العرب : دكتور عبد العز عتيق ص ٢١٣

القرن الثالث ابن المعتز الشاعر المتوفى عام ٢٩٦ هـ وكتابة البديع يعد أول بحث منهجى فى الشعر والبلاغة والنقد .

أما القرن الرابع فهو عصر قمة حركة النقد وظهر لنا كتاب الموازنة بين البحترى وأبى تمام للآمدى وهو تلميذ ابن دريد وحاول الآمدى أن يقف موقفا وسطا بين الشاعرين وأن يقف موقفاً محايداً غير أننا نشعر من كلامه فى مقدمة الموازنة أنه يفضل من يلتزم طريقة الأوائل ، ولذلك يبنى نقده على تجريح ماخرج على هذا الأصل .

وألف النقاد حول المتنبى الرسالة الحاتمية فى مآخذ المتنبى وكتاب المنصف فى الدلالات على سرقات المتنبى والوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى عبد العزيز الجرجانى المتوفى عام ٣٦٦ هـ .

اللغة والنحو والعلوم الاخرى فى عصر ابن دريد :

تطور علم اللغة فى القرن الثالث تطورا كبيرا وتمت الكتابة فى اللغة وبعد أن أن ظهر معجم العين وفتح الباب لنمو التأليف فى اللغة وكانت المدرستان البصرية والكوفية تتنافسان على جذب كثير من العلماء ويحاولان إذكاء ملكة اللغة والنحو فى القرن الثالث هم تلاميذ الأجيال الأولى من علماء العربية . ومن علماء اللغة فى القرن الثالث أبو عثمان المازنى م ٢٢٩ هـ وابن السكيت المتوفى عام ٢٤٣ هـ وأبو حاتم السجستانى المتوفى عام ٢٥٥ هـ وأبو الفضل الرياشى المتوفى عام ٢٥٧ هـ وكان الاخيران أستاذان لابن دريد وأبو سعيد السكرى النحوى المتوفى عام ٢٧٥ هـ وأبو العباس المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ . أما أبو يوسف يعقوب بن السكيت المتوفى عام ٢٤٣ هـ ، فكان من أكابر أهل اللغة ، تعلم النحو من البصريين

والكوفيين فأخذ عن أبي عمر والشيباني والفراء وابن الأعرابي والأثرم وروى عن الاصمعي وأبي عبيدة ، كان راوية ثقة ومن أعلم الناس باللغة والشعر ومن كتبه سرقات الشعراء وماتواردوا عليه وكتاب معاني الشعر الكبير وكتاب معاني الشعر الصغير . (١)

أما أبو عثمان المازني المتوفى عام ٢٤٩ هـ ويقال أنه لم يكن بعد سيبويه أعلم منه بالنحو وروى عن أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الانصاري وذكر ابن النديم له كتابا فقال « وله من الكتب كتاب مايلحن فيه العامة وكتاب الالف واللام وكتباً التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج مع قليل من كتاب أبي عبيدة » (٢)

وأبو حاتم السجستاني المتوفى عام ٢٥٥ هـ وكان استاذ ابن دريد » كان إماما في غريب القرآن واللغة والشعر وأخذ عن أبي زيد والاصمعي وأبي عبيدة وغيرهم وكان حسن العلم بالعروض وقول الشعر الجيد وله كتاب في الفصاحة » (٣)

ويذكر ابن النديم أن ابن دريد اعتمد عليه في اللغة (٤)

أما أبو الفضل الرياشي قتيل فتنة الزنج فكان استاذا لابن دريد أيضا وكان كثير الرواية للشعر ، أخذ عن الاصمعي وكان يحفظ كتبه وكتب أبي زيد الانصاري كلها (٥) ، وتوفي عام ٢٥٧ هـ

---

(١) معجم الادباء : ياقوت الحموي تحقيق أحمد رفاعي ج ٢٠ ص ٥٥
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٠
(٣) معجم الأدباء : لياقوت الحموي تحقيق أحمد رفاعي ج ٧ ص ١٠٧
(٤) الفهرست لابن النديم ج ٩٣
(٥) معجم الادباء لياقوت الحموي ج ١٢ ص ٤٤

وأبو سعيد السكري المتوفى عام ٢٧٥ هـ أخذ عن السجستاني ، والرياسي ومحمد بن حبيب والحارث بن أبي أسامة وهو فقيه معدود وكان في عهده راوية البصريين .

ومن رجال القرن الثالث أيضاً أبو العباس المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ « وانتهى النحو بعد طبقة الجرمي والمازني إلى العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي ومن مصنفاته الكامل والروضة والمقتضب والاشتقاق وكتاب الانوار والروضة » (١)

ويرى دكتور شوقي ضيف أنه « يعد بحق آخر المدرسة البصرية المهتمين (٢)

ومن رجال القرن الثالث المفضل بن سلمه، وهو من علماء الكوفة واستدرك على الخليل في العين وأشهر كتبه كتاب «الفاخر» وهو كتاب لغوي وموضوعه مايجري على ألسنة العامة في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لايردون معناه ويأتي بالمثل وشرحه وله أيضا كتاب العود والملاهي في آلات الطرب وهل استعمالها يخالف التقوى وهو يرى أنه جائز وقد أتي بأدلة تؤيد كلامه .

وكان ابن دريد من علماء اللغة في القرن الرابع وكان أشهرهم ومن علماء القرن الرابع عبد الرحمن الهمزاني المتوفى عام ٣٢٧ هـ وكان كاتبا لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي وله مؤلفات عدة وأشهرها كتاب الالفاظ

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٦٤

(٢) المدارس النحوية : دكتور شوقي ضيف ص ١٢٤

الكتابية والكتاب عبارة عن ألفاظ يستعان بها فى العبارة وزخرفتها وضبط معناها ويحتوى على مترادفات من الجمل الفصيحة ويعتبر نوعا من فقه اللغة ومن السابقين إلى الكتابة فى هذا العلم . يقـــول فى مقدمة كتابه « فجمعت فى كتابى هـذا لجميـع الطبقات أجناسا من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيـدة عن الاشتباه والالتباس السليمة من التقعير والمحمولة على الاستعارة والتلويح » (١)

ومن لغويى القرن الرابع أبو على القالى المتوفى عام ٣٥٦ ﻫ وهو تلميذ ابن دريد وصاحب كتاب البارع فى اللغة وكتاب الأمالى ، ومنهم الصاحب ابن عباد وصاحب كتاب المحيط وأبو منصور الأزهرى المتوفى عام ٢٧٠ ﻫ وابن فارس المتـوفى عام ٣٦٥ ﻫ صاحب معجم مقاييس اللغـة والصاحبى فى فقه اللغة والجمل ومنهم الجوهرى صاحب الصحاح المتوفى عام ٣١٢ ﻫ ومن النحويين لزجاج المتوفى عام ٣١٠ ﻫ وابن السراج والسيرفى المتوفى عام ٣٦٨ ﻫ .

أما من الكوفيين فأشهرهم ثعلب المتوفى عام ٢٩١ ﻫ ومن مصنفاته فصيح ثعلب وظهرت المدرسة البغداديه فى القرن الرابع ومنها ابن كيسان المتوفى عام ٢٩٩ ﻫ وابن شقير المتوفى عام ٣١ ، وابن الخياط المتوفى عام ٣٢٠ ﻫ وينضم اليهم ابن جنى وأبو على الفارسى

---

(١) الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى ، مطبعة الجمالية سنة ١٣٢٢ ﻫ المقدمة ص ٤

ونبغ العرب فى علوم أخرى مثل الجغرافيا والتاريخ والطب والفلسفة وقد نضج علم الجغرافيا فى القرن الرابع وكان علماء القرن الثالث قد مهدوا الطريق للتأليف فيه لكثرة أسفارهم ورحلاتهم أو اشتغالهم فى احصاء خراج الدولة وفى تعيين طرق البريد وألفوا ماهو عام شامل للمملكة الإسلامية وغيرها وهى الجغرافيا العامة وما يختص ببقعة من الأرض وهى الجغرافيا الخاصة . ومن علماء الجغرافيا فى القرن الثالث ابن خرداذبه وكان مجوسيا وأسلم على يد البرامكة ويعتبر من أقدم جغرافى المسلمين وسبقه الكندى وكان قد كتب كتابا فى الجغرافيه ، أما ابن خرداذبه فخلف لنا كتاب المسالك والممالك وهو دليل المسافرين يهتدون به إلى الطريق البرى الذى يبدأ من مصب نهر دجلة عند الأبله ويصل إلى الهند والصين وقد ضمنه إحصاء جباية المملكة العباسية ويقول المسعودى : « إن كتاب ابن خرداذبه على الرغم من عيوبه هو أحسن كتاب فى موضوعه » (١) ويذكر آدم متز أن ابن خرداذبه يعترف بأنه اعتمد فى بيان حدود الارض ومسالكها وممالكها على ما كتبه بطليموس » (٢)

ومن جغرافى هذا القرن اليعقوبى المتوفى عام ٢٨٢ ﻫ صاحب كتاب البلدان وقد دون فيه نتائج رحلاته الطويلة فى أرمينية وايران والهند ومصر وبلاد المغرب ، وجاءت كتب المقدسى وابن حوقل فى القرن الرابع الهجرى فكانت مثالا لأعلى درجة بلغها العرب فى وصف البلدان وفى

---

(١) مروج الذهب لعلى بن الحسين المسعودى ج ٢ ص ٧٠

(٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ج ٢ ص ١٠ : آدم متز ترجمة عبد الهادي أبو ريك ،

الرابع قويت عزيمة الاستطلاع العلمى وأخذ أصابعها تمتد متلمسة للحقائق فى كل ناحية (١) ، وتحدث قدامه بن جعفر المتوفى عام ٣١٠ ه عن مملكة الاسلام وماجاورها من الممالك فى كتابه الخراج أما المقدسى فله كتاب فى فن التقاسم فى أحسن الأقاليم وألف الاصطخرى كتبا أهمها كتاب الأقاليم وكتاب المسالك والممالك .

وفى التاريخ نجد اليعقوبى المتوفى عام ٢٨٢ ه فى القرن الثالث وله كتاب تاريخ اليعقوبى ، وفى القرن الثالث أيضا نجد ابن قتيبة الدينورى المتوفى عام ٢٧٦ ه وله كتاب الامامة والسياسة وعيون الأخبار ومنهم البلاذرى وكان شاعراً راوية ووسوس آخر أيامه فشد فى البيمارستان ومات فيه . (٢)

وفى القرن الرابع نجـــد من أشهر المؤرخين ابن جرير الطبرى ويعتبر كتابه (تاريخ الرسل والملوك) من أهم المصادر التاريخية الموثوق بها وأرخ فيه منذ بدء الخليقة إلى عام ٣٠٢ ه ، وقد وضع عريب بن سعد المتوفى عام ٣٣٦ ه ذيلا لتاريخ الطبرى وسماه « صلة تاريخ الطبرى » وكتب محمد بن عبد الملك الهمذانى المتوفى عام ٥٢١ ه كتابا تم حوادثه التاريخية إلى عام ٤٨٧ ه وسماه تكمله تاريخ الطبرى .

ومن مؤرخى القرن الرابع أيضا سعيد بن البطريق عام ٣٢٨ ه وترك

---

(١) نفس المصدر ص ١١
(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٧

لنا كتاب التاريخ المجموع التحقيق والتصديق ومنهم ابن عبد روس المعروف بالجهشيارى صاحب كتاب الوزراء والكتاب ومنهم أبو بكر الصولى وله كتاب الأوراق وهى مجموعة قيمة فى الأدب والتاريخ . ويعتبر كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلى بن الحسين المسعودى من أهم المصادر التاريخية لهذا العصر وخاصة فى الحياة الاجتماعية ويتناول الكلام على الحوادث التاريخية حتى عصره .

ونبغ العرب فى الطب ومن علماء الطب حنين بن اسحاق المتوفى عام ٢١٠ ﻫ » وكان فاضلا فى صناعة الطب فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية (١) . ومنهم يوحنا بن ماسويه أو يحيى بن ماسويه المتوفى عام ٢٤٣ ﻫ ونبغ فى عهد الواثق «ابن بختيوع» .

ووصف الأطباء فى هذا العصر علاج الفم والأسنان وجاء أبو يعقوب اسحق بن حنين وكان من أشهر أطباء عصره والمتوفى عام ٢٩٨ ﻫ وفى القرن الرابع نجد أبو سعيد شعبان بن ثابت بن قرة المتوفى عام ٣٣١ ﻫ وأبو بكر محمد زكريا الرازى المتوفى عام ٣١١ ﻫ ويعرف عند الأوربيين باسم RHAZY

ونبغ العرب فى الفلسفة وإذا كان الكندى من أشهر فلاسفة العرب فإن تلامذته مثل السرخسى المتوفى عام ٢٨٦ ﻫ وأبو معمر البلخى المتوفى عام ٢٧٢ ﻫ كانا لهما شهرة فى الفلسفة ، ومن أشهر فلاسفة القرن الرابع الفارابى المتوفى عام ٣٣٦ ﻫ ، ونجد فى هذا العصر طائفة (اخوان الصفا) وكانت ذات نزعة

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢٤

شيعية منطرفة حتى قيل انها اسماعيلية وكان اخوان الصفا جماعة سرية وأولوا القرآن تأويلا مجازيا وتركوا لنا (رسائل اخوان الصفا) ونبغ العرب فى ذلك العصر فى علم الفلك والنجوم ومن أشهر علماء علم النجوم أبو جعفر بن محمد عمر البلخى وأبو عبد الله محمد بن جابر البتانى الحرانى الصابى المتوفى عام ٣١٩ هـ ومن أشهر كتبه كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك (١) .

وفى الرياضيات اشتهر ثابت بن قرة الحرانى المتوفى عام ٢٨٨ هـ ومحمد بن محمد بن اسماعيل بن الصابى .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٩٠

الحياة الاجتماعية فى عصر ابن دريد

كانت الحياة الاجتماعية فى القرن الثالث والرابع تختلف إختلافا كبيراً عن القرن الثانى ، فقد ظهر لنا عنصر جديد كان له أثر خطير فى السياسة بل فى القضاء على الدوله العباسية وهو عنصر الاتراك وكان المعتصم قد جلب عددا كبيرا منهم وكان المعتصم فى حياته تركيا - فى القوة والشجاعة والاعتداد بقوة الجسم وكان من الترك مسلمون ومنهم مجوس ووثنيون وعرفوا بالشجاعة والصبر على القتال كما عرفوا بخشونة البداوة وحافظ المعتصم على دمائهم فجلب لهم نساءاً من جنسهم زوجهن لهم. تميزاً لدمائهم ومنعهم أن يتزوجوا من غيرهم وولى الواثق عام ٢٢٨ ه فاستأثر الترك على السلطنة وكان مما فعله المعتصم لاعتماده على الأتراك أن كتب إلى واليه على مصر (كيدر) يأمره بإسقاط من فى الدواوين من العرب وقطع أعطياتهم .

وجاء المتوفى عام ٢٣٢ ه وكان يميل إلى أهل السنة وأحس بالخطر من الترك ففكر فى نقل الخلافة إلى دمشق ورحل عام ٢٤٣ — إلى دمشق ولكنه لم يستطب جوها فعاد إلى سامرا وبعد أربع سنوات من عودته قتله الاتراك وكان ابنه المنتصر يشجع الترك على ذلك وأصبح الخليفة بعد المتوكل لعبة فى أيدى الاتراك أو أقل من ذلك حتى قنع بالسكة والخطابة وأمر الترك المنتصر أن يخلع أخويه المعتز والمؤيد من الخلافة خوفا من انتقامهما للمتوكل وكان لذلك أثارها. وحاول المهتدى بعد ذلك التخلص من الاتراك لكنه لم ينجح وقتله الاتراك . على أن بعض الخلفاء أدركوا خطر هذا العنصر فاستعانوا بالمغاربة والفراعنة وغيرهم من المرتزقة مثل الأكراد والقرامطة الذين بدأت تستعين بهم الدولة منذ أيام الراضى إلا أن الخلفاء العباسيين لم يسلموا من خطر هذه العناصر والتى كانت تضم إلى إمراء الامارات تارة وإلى الخلفاء تارة أخرى .

وإلى جانب الترك كان هناك الفرس وهم وإن كانوا ذوو سطوة فى العصر العباسى الأول لكنهم لم يهدأ لهم بال منذ رأوا الترك تحتل مراكزهم فى الدولة العباسية وأخذوا يدسون الدسائس ويدبرون المؤتمرات ويحصنون أنفسهم بالرجال والسلاح ويرمون إلى اقتطاع البلاد والاستيلاء عليها ، « فاذا سنحت الفرصة فليستولوا على القرى وعلى الخليفة وليتسلطوا عليه »(١). ونجح الفرس فى اقتطاع أجزاء من الدولة والاستيلاء عليها وأصبح الخليفة اسما فقط لاحكما ، فاستولى الطاهرية على خراسان ٥٠ - ٢٥٩ ﻫ) والصفارية على فارس (٢٥١-٢٩٠ ﻫ) والسامانية على فارس وماوراء النهر (٢١١ — ٣٨٩ ﻫ) والزيادية على جرجان (٢١٦ — ٤١٤ ﻫ) ثم بنو بويه الفارسية (٢١٠ — ٤٤٧ ﻫ) وهم أشد خطرا فاستولوا على فارس والعراق وأخضعوا الخليفة لأمرهم وسار معز الدولة من الأهواز إلى بغداد عام ٣٣٤ﻫ ودخلها وخضع له المستكفى وقدر لمعز الدولة كل يوم ٥٠٠٠ درهم لنفقته واستطاع معز الدولة أن يقبض على المستكفى وأن يقيم مكانه المطيع لله ثم خلع المطيع نفسه وولى ابنه الطائع ويخضع الطائع لعضد الدولة البويهى واستطاع الطائع أن يتماق عضد الدولة وجرى خلاف بسيط بينهما ولكن عضد الدولة طمع فى الخلافة لنسله فزوج الطائع ابنته ثم خلع الطائع ونزل للبويهيين عن كل شيء .

بجانب ذلك كله هناك النفوذ العربى وكان الخلفاء من عهد المعتصم قد أقصوهم عن النفوذ لكننا نجد قبائل مهاجرة إلى الشام والعراق قد استقرت واستطاعت أن تكون دويلات فكونت تغلب دولة الحمدانيين فى الموصل وحلب (٣١٧-٣٩٤ﻫ) وكونت قبيلة كلاب دولة المرداسيين فى حلب (٤٢٤-٤٧٢ﻫ) وكون بنو عقيل ،

---

(١) ظهر الاسلام : أحمد أمين ج ٤ ص ٦

العقيليون فى ديار بكر والجزيرة (سنة ٣٨٦ — ٤٨٩ هـ) لكن العرب رغم سكناهم المدن لم يتخلوا عن بداوتهم واعتزازهم بها واحتقارهم لأهل الحضر وأهم دولة قامت فيها العصبية العربية دولة بنى حمدان التغلبى، التى حاربت العصبية التركية والفارسية حتى أن الخليفة المتقى بالله احتمى بناصر الدولة بن حمدان وقلده إمرة الأمراء هو وأخيه سيف الدولة ودخل ناصر الدولة بغداد فى احتفال عظيم.

وكانت طائفة الزنج والسود تلعب دورا كبيرا فى الخلافة العباسية وكانوا يجلبون من سواحل أفريقيا الشرقية وكان هؤلاء السود قوم أشداء، وكان هناك طائفة من الجند من الزنج وخدم كثير منهم القصر ونبغ منهم كافور الاخشيدى الذى ملك مصر والشام وكان من هؤلاء العبيد صنف من الخصيان وحاول آدم متز أن يطعن على الإسلام عند حديثه عن الخصيان فقال: « وهنا دخل على الإسلام حولى عام ٢٠٠ هـ بسبب تقلص الروح العربية عادات شرقية قديمة رغم ماجاء به النبى — عليه السلام — وشأنها من الإنكار والمنع الصريح وقد احتال المسلمون للإفلات من حرمة منع الخصاء بأن كانوا يشترون الخصيان تاركين لليهود والنصارى أثم هذا العمل الشنيع »[1].

ويذكر المسعودى الأخبار عن الخصيان فيقول: « وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصون كثيرا من أولادهم كفعل الروم بأولادهم، وما اجمع عليه الخصيان من النصارى وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو[2] ».

وقد أدى كثرة الرقيق إلى قيام ثورة الزنج التى استمرت أكثر من أربع عشرة

---

(١) الحضارة الأسلامية فى القرن الرابع، آدم متز جـ ٢ ص ١١

(٢) مروج الذهب للمسعودى جـ ٤ ص ٢٤٧

سنة وكثر شراء الرقيقات اللاتى أصبح منهن مغنيات وارتفع ثمنهن وكان من طبقات الشعب فى ذلك العصر أهل الذمة (النصارى واليهود) . وكان الاسلام أكثر الأديان السماوية تسامحا مع المخالفين له فى الأديان وبخاصة أهل الكتاب وكانوا يعيشون فى أمن واستقرار ويقيمون شعائرهم الدينية فى سلام وكان الخليفة يعين بطريقا لهم بعهد خاص وكان يتمتع بنفوذ كبير من أبناء ملته ، وكان لليهود رئيس خاص يلقب أحيانا بالملك ويدفع له أهل ملته الضرائب فيأخذ نصفها ويرسل النصف الآخر إلى بيت المال ، وانتشرت أديرة النصارى فى أنحاء المملكة وكانت غنية ببساتينها وخمورها وفى القرن الرابع اعترفت الدولة العباسية بالمجوس بجانب ذلك كان هناك بعض الروم الذين سبوا بعد الحروب التى انتصر فيها المسلمون وكان فى بغداد دار الروم وكان لهم دير يسمى دير الروم وكنيسه على مذهب النسطورية .

وكان مستوى المعيشة رهن بالتقرب من الخليفة أو الوزير أو من هو من علية القوم وكانت قصور الخلفاء واسعة كل السعة وكانت دور بغداد وسامرا على مثال دور الفرس والروم وكانت مبنية بالآجر ومغطاة بالكلس وكانت قصور الخلفاء تشتمل على دور واسعة وقباب وأروقة وبساتين وانتشرت الحمامات الساخنة ، وفى القرن الرابع الهجرى ظهرت من جديد فيما يتعلق بالمقابر عادة غير إسلامية وهى بناء الكبراء لأنفسهم وفى حياتهم تربا ليدفنوا فيها وأول من فعل ذلك المقتدر وكذلك الراضى (م ٣٢٩هـ) وكانت تشق الجيوب وتصبغ الوجوه بصمر على الجنائز رغم نهى الاسلام عن ذلك ، (١)

وكانت أنواع التسلية فى ذلك العصر الشطرنج والنرد وذكر لنا المسعودى

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ، آدم متز ج٢ ص ١٥

آلات الشطرنج فقال« وقد ذكر الناس من سلف وخلف أن جميع آلات الشطرنج على اختلاف هيئاتها ست صور لم يشهر فى اللعب غيرها ثم أمه أخرى تسمى الجوارح استحدثت فى زماننا هذا وهى سبعة أبيات فى ثمانية » .(٢)

وعرف النرد وكان يستعمل فى اللعب به ثلاثون حجراً رقعتان على رقعة رسم اثنا عشر منزلا أو أربعة وعشرون منزلا وكان من أحب أنواع التسليه عند الخلفاء والكبراء سباق الخليل وكانت السباحة والمصارعة من أهم أنواع التسلية عند العباسيين أيضا يضاف إلى ذلك الصيد وقد ولع به الخلفاء والامراء .

هذه هى الحالة السياسية والثقافية والاجتماعية فى عصر ابن دريد ونستطيع أن نقول أن الحياة السياسية فى العصر الذى نشأ فيه ابن دريد كانت مضطربة تموج بالثورات والقلاقل ، وقد إستولى الترك على معظم السلطات وضعف شأن الخلافة ، وكان أبرز الثورات فى ذلك العصر ثورة الزنج والبابكية ولا نستطيع أن نحد لإبن دريد دوراً فى الحياة السياسية فى ذلك العصر بدليل أنه فر من البصرة بعد دخول الزنج البصرة وقتلوا استاذه الرياشى . ولكنا نجد لابن دريد بعض الاتصالات السياسية فى بلاد أخرى فهو يتصل بقومه فى عمان ولكنه لا يتصل بمعاركهم بالمشاركة بل يكتفى بحضهم على أخذ الثأر بمن قتل منهم ، وهو يجد فى فارس شهرة سياسية واسعة بعد أن ولاه ابنى ميكال ديوان فارس . فكانت الكتب تصدر عن رأيه ، ولا ينفذ أمراً إلا بعد توقيعه . وفى الحياة الثقافية نجد لابن دريد شهرة واسعة فهو شاعر ذو ديوان وان كان يتميز بنوع خاص من الشعر واشتهر بمقصورته التى ابتدعها وصارت مثلا لغيره من الشعراء

---

(١) مروج الذهب للمسعودى جـ ٤ ص ٢٢٥ و٢٢٦

سابقة لاننكر له فضله . وفى النثر نجد النثر يتطور فى ذلك العصر فقد ظهر الجاحظ وأصبح النثر مدعما بكتاب وفنون ويدلى ابن دريد بدلوه فى الدلاء ويشهد له كثير من الباحثين المحدثين مثل دكتور زكى مبارك ودكتور مصطفى الشكعه بانه يرجع الفضل اليه فى التمهيد لفن المقامة التى أرسى دعائمها بديع الزمان الهمذانى وعن الحياة الاجتماعية نجد أن ابن دريد كان بينه وبين كثير من الناس عداوة ثم أحس إنه لم يأخذ مكانته فى البصرة فكان يتحدث فى كثير من شعره عن الزمن وإخلاص الناس وقد خرج إلينا بكثير من الحكم الرائعة التى إزدان بها شعره .

الفصل الثاني

حيــــــــاته



١ - نسبه وأصله :

هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهيه بن حنتم بن الحسن ابن حمامى بن جرو بن واسع بن سلمة بن جشم بن حاضر بن أسد بن عدى ، وينتسب إلى قبيلة الأزد ، أما لقبه دريد فهو تصغير أدرد « والأدرد الذى تحاتت أسنانه ، والأنثى درداء ومثل من أمثالهم ألـــين من الوقة الدرداء (١) » وأما الأزد فكانت تسكن مأرب « فتفرقت فسكن بعضهم عمان منهم مالك بن فهم وكان أول من لحق بعمان من الأزد وقد قاتل الفرس وانتصر ثم جاءت قبائل كثيرة من الأزد »(٢)

ولقد صارت العشيرة التى نبغ فيها ابن دريد من رؤساء أهل عمان وذوى اليسار منهم ولما صارت البصرة مصرا وكان لها مكانة سياسية وتجارية وعلمية ارتبط أهل عمان بها وكان أهل ابن دريد من أولئك الذين ارتبطوا بالبصرة بل أنهم جعلوها موطن إقامة لهم .

ب - ولادته ونشأته :

ولد ابن دريد فى البصرة بسكة صالح عام ثلاث وعشرين ومائتين فى خلافة المعتصم ، ولاخلاف بين المؤرخين حول ولادته بالبصرة واختلف أصحاب التراجم فى نشأته ، قال ابن خلكان أنه نشأ بالبصرة وتعلم فيها (٣) وقال ابن النديم

---

(١) الاشتقاق . ابن دريد تحقيق عبد السلام هارون ص ٢٤٢
(٢) تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان : للسالمى ج ١ ص ١٣٠
(٣) وفيات الاعيان : لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٨

ولد بالبصرة وقرأ على علمائها (١) وقال المرزبانى (٢) والسمعانى (٣) والخطيب البغدادى (٤) وابن الانبارى (٥) أنه نشأ بعمان .

ونستطيع أن نفسر هذا التناقض بين روايات المؤرخين بأن أهله كانوا دائمى الترحال بين البصرة وعمان ، فلعلهم كانوا فى البصرة حين ولد ابن دريد ثم ارتحلوا إلى عمان وعاش طفولته هناك ولما صار أهلا للعلم أقام بالبصرة مع عمه الحسين ابن دريد ، ولاخلاف فى تعلمه بالبصرة ، إذ كان معلمه الاول أبو عثمان الاشنانداني وقد روى ابن دريد عنه كتاب معانى الشعر وكان الاشنانداني من جلسة علماء البصرة ومن خلان الصدق لعمه .

أما عن طفولة ابن دريد فلا نعرف عنها شيئا غير ما ذكر أنه نشأ برعاية عمه الحسين ولا ندرى لم تولاه برعايته ؟ وهل مات أبوه قبل أن ينضج ؟ أم لم يكن لعمه ابن فتبناه ؟ ولذلك رباه ، ونرجح أن عمه تفرس فى ابن دريد مخايل الذكاء وتمثل له مستقبلا وظهر ذلك واضحا فى قصة ابن دريد التى حفظ فيها ديوان الحارث بن حلزه فى مدة غـــداء معلمه الاشنانداني مع عمه كما سيأتى أو أن أباه كان كثير الاولاد ولكن هذا الرأى يبعده أن أباه كان ثريا ومن ذوى اليسار .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٧
(٢) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٦٩
(٣) الانساب للسمعانى ص ١٢٦
(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٣ ص ١٩٥
(٥) نزهة الالباء فى طبقات الادباء : ابن الانبارى ص ٣٢٠

ه ـ طلبه العلم ، رحلته ، شيوخه :

تأدب ابن دريد بالبصرة ، قرأ على علمائها ، طلب اللغة والادب والشعر وظهر نبوغه وقوة حفظه مبكرا وكان عمه قد عهد إلى إبن عثمان الاشناندانى بتربيته وقد ذكر ياقوت فى معجم الادباء (١) والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (٢) والوزير جمال الدين القفطى فى أنباه الرواه (٣) على انباه النحاه قصة طريفه تبين قوة حفظه وهى « قال إبن دريد كان أبو عثمان الاشناندانى معلمى وكان عمى الحسين بن دريد يتولى تربيتى فاذا آراد الاكل استدعى أبا عثمان يأكل معه فدخل عمى يوما وأبو عثمان المعلم يروى قصيدة الحارث بن حلزه التى أولها :

آذنتنـــا ببينها أسماء　　　رب ثاو يمل منـــه الثواء

فقال له عمى : إذا حفظت هذه القصيدة وهبت له كذا وكذا ثم دعا بالمعلم يأكل معه فدخل اليه فأكلا وتحدثا بعد الاكل ساعة قال فالى أن رجع المعلم حفظت ديوان الحارث بن حلزة بأسره فخرج المعلم فعرفته بذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره على فوجـــدنى قد حفظته فدخل الزعمى فأخبره فأعطانى ما كان وعدنى به » .

كان ابن دريد واسع الحفظ ، قال « أحمد بن يوسف الازرق انه لم ير أحفظ

---

(١) معجم الادباء : ياقوت الحموى : نشر د . الرفاعي ج ٦ ص ٤٨٥
(٢) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادى ج ٢ ص ١١٦
(٣) انباه الرواه على انباه النحاه : جمال الدين القفطي وتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ج٣ ص ٩٢

منه، كان قرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى اتمامها ويحفظها (١) ويذكر جمال القفطى « وكان أبو بكر واسع الرواية ما رأى الرواة احفظ منه وكان يقرأ عليه دواوين العرب فيسابق إلى إتمامها بالحفظ لها (٢) » وقد كتب ابن دريد كتابا سماه ماسئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا ويدل قوة حفظه ما ذكره المؤرخون « إنه أملى ابن دريد الجمهره فى فارس ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه » (٣) ونراه فى شيخوخته وهو ابن أربع وسبعين سنه (يملى كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظا لايستعين فى شىء من الكتب إلا فى باب الهمزة ، فإنه طالع له بعض الكتب » (٤) ويقال كان ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء (٥) .

د - شيوخه : (١) عمه الحسين بن دريد

تولى عمه تربيته منذ الصغر وتعهد للاشناندانى بتعليمه وروى ابن دريد عن عمه كتاب مسالمات الأشراف ولم يصلنا هذا الكتاب « ويظن المستشرق د . كرينكو أن الكتاب إما من مؤلفات المدائنى أو ابن الكلبى ، وكان الحسين راوية لابن الكلبى (٦) .

---

(١) طبقات الشافعية : السبكى حـ ٢ ص ١٤٥
(٢) أنباه الرواة على أبناه النحاة جمال الدين القفطى جـ٢ ص ٩٢
(٣) بغيه الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطى ص ٣٠
(٤) معجم الادباء : ياقوت الحموى جـ ٦ ص ٤٩٠ والمزهر : جلال الدين السيوطى جـ ١ ص ٥٨
(٥) طبقات الشافعية : السبكى جـ ٢ ص ١٤٥
(٦) ديوان ابن دريد هامش ص ٤

ويذكر ابن النديم عمه وسماه الحسن بن محمد وهو خطأ والصواب الحسين بن دريد كما ذكرته معظم كتب الطبقات .

(٣) أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناندانى :

وكان الاشناندانى شيخ ابن دريد الاول ومؤدبه ويذكر ابن النديم الاشناندانى باختصار ويكنيه أبا عثمان ويقول « ومثل الاشناندانى ويكنى أبا عثمان روى عنه أبو بكر ابن دريد ولقيه بالبصره وله من الكتب معانى الشعر وكتاب الابيات » (١) . وذكره ابن النديم فى موضع آخر فى من جمع بين المذهبين (٢) .

أما كتاب معانى الشعر الذى رواه ابن دريد عن أبى عثمان الاشناندانى فهو مجموعة من الاشعار التى ألفها المتقدمون واختيرت من جيد الشعر القديم وهو يشرح هذه المختارات ويظهر الخفى من معانيها. ويفسر اللفظ الغريب تفسيرا رائعا فالكتاب بداية التأليف فى شرح الأبيات وبيان معانيها ، وقد طبع الكتاب طبعات وأهمها طبعة دمشق التى حققها عز الدين التنوخى وجعل لها ذيلا ، ومن نماذج الكتاب الشاهد الاول قال أبو بكر محمد بن دريد الأزدى أنشدنى أبو عثمان الأشناندانى سعيد بن هارون قال

وشعناء غبراء الفروع منيفة ... بها توصف الحسناء أو هى أجمل
دعوت بها أبناء ليل كأنهم ... وقد أبصروها معطشون قد انهلوا

(١) الفهرست لإبن النديم ص ٩٥
(٢) الفهرست لإبن النديم ص ١٣٩

وقال أبو عثمان : يصف ناراً جعلها شعثاء لتفرق أعاليها كأنها شعثاء الرأس وغبراء يعني غـبرة الدخان وقوله (تصف الحسناء) فإن العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شعلة نار وكأنها بيضة فى روضة يقول بها توصف الحسناء أو هي أجمل حسنا منها والمنيفة المشرفة والعطش الذى عطشت أبله . وقد دعوت بها أبناء ليل يعنى أحيانا دعاهم ضوئها فلما رأوا كأنهم من السرور بها معطشون قد أوردوا أبلهم (١) .

ونموذج آخر وهو الشاهد الرابع عشر :

قال أبو بكر محمد بن دريد أنشدنى أبو عثمان الأشناندانى سعيد بن هرون قـال :

قاسمت جنان الفلاة فنتهم بمهجة واستبدوا لصاحـبى
ولم احتمل عارا ولكل نجدة عذارى شفيق النفس بين السباسب

صاحبه يعنى قومه ، يقول قاسمت الجن فنتهم بنفسى وتركت لهم النوم وليس بعار تركى النوم كما أنه عار أن أترك صاحبى ولكنها نجدة يريد أن النوم ليس بفعله . (٢)

(٣) أبو حاتم السجستانى

كان أبو حاتم من علماء اللغة فى القرن الثالث وكان كثير الرواية عن أبى زيد وأبى عبيدة والأصمعى عالما باللغة والشعر ، واعتمد عليه ابن دريد اعتماداً كبيراً

---

(١) معانى الشعر لابى عثمان سعيد بن هارون الاشناندانى تحقيق عز الدين التنوخى ص ٤

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٠

فى تعلمه علوم اللغة وروى عنه كثيراً . وكان كثير التآليف الكتب فى اللغة ويقول الشعر صادق الرواية . وكان يتبحر فى الكتب ويخرج المعنى حاذق بذلك دقيق النظر فيه » (١) ، وذكر له ابن النديم حوالى أربعين مؤلفاً فى اللغة والقراءات ومنها كتب مايلحن فيه العامة والمذكور والمؤنث والمقصور والممدود ، وكتاب القراءات وكتاب الادغام ، وكتاب اختلاف المصاحف وكتاب الفصاحة . (٢) ويذكر ياقوت عنه « كان إماما فى غريب القرآن واللغة والشعر أخذ عن أبى زيد والاصمعى وأبى عبيدة وغيرهم وكان حسن العلم بالعروض وقول الشعر الجيد وله كتاب فى الفصاحة » (٣)

(٤) أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشى

كان أبو الفضل مولى محمد بن سليمان بن على الهاشمى وكان عبداً لرجل يسمى رياش فلما اعتق بقى نسبه إلى رياش ، وأخذ عن الاصمعى وكان يحفظ كتبه وكتب أبى زيد الانصارى كلها (٤) وقد قتل الرياشى فى فتنة الزنج حينما دخلوا البصرة وتوفى عام ٢٥٧ هـ .

(٥) عبد الرحمن بن أخى الاصمعى :

يكنى أبا محمد وقيل يكنى أبا الحسن وكان من الثقلاء ثقة فيما يرويه عن عمه

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٨٢
(٢) معجم ياقوت (معجم الادباء) جـ ٦ ص ٦٨
(٣) معجم الادباء لياقوت جـ ١٢ ص ٤٤
(٤) النثر الفنى فى القرن الرابع د . زكى مبارك جـ ١ ص ٣٠٣

وعن غيره من العلماء ولا من الكتب كتاب معانى الشعر . ويذكر دكتور زكى مبارك أن «دكتور طه حسين» يرتاب فى رواية ابن دريد عن ابن أخى الاصمعى وكان يرى فى كلمة ابن أخى الاصمعى مثارا للشك (١) ولم يذكر دكتور زكى مبارك المصدر الذى استقى منه كلام الدكتور طه حسين ، ويرد على شكه هذا بأن رواه العرب كانوا يستعملون مثل هذا التعبير مثل الاصفهانى ينقل « حدثنى أبو مسلم عن ابن أخى رزمان وقال ياقوت « قال أبو حيان وكان يختلف إلى مجلس ابن سعد على بن المستنير وكان هذا ابن بنت قطرب » . (٢)

ويذكر الدكتور زكى مبارك (٣) أن هناك رجلا يسمى أحمد بن حاتم يدعى أنه ابن إخت الأصمعى وهو متهم فى روايته رغم أن ابن النديم (٤) يذكر عنه أنه روى عن الاصمعى بلا إتهام ومحل القول فإن ابن أخى الاصمعى متهم ولذلك فان ابن دريد متهم فى روايته عن ابن أخى الاصمعى . .

(٦) العتبى :

كان من أفصح الناس وكان شاعراً وله كتب الخيل والأعارب وأشعار النساء اللاتى أحببن ثم أبغضن وكتاب الأخلاق وتوفى عام ٢٢٨ هـ (٥)

وبالإضافة إلى هؤلاء الشيوخ تتلمذ ابن دريد أيضا للسكن بن سعيد الجرموذى

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع : دكتور زكى مبارك جـ ١ ص ٢٠٣

(٢) معجم الادباء : ياقوت جـ ٦ ص ٦٨

(٣) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : دكتور زكى مبارك جـ ١ ص ٢٠٥

(٤) الفهرست لإبن النديم ص ٨٩

(٥) نفس المصدر السابق ص ١٨٢

والفضل أو المفضل بن محمد بن العلاف وحامد بن طرفه والزيادى وأبى جنكان المهزمى الشاعر والغنوى والحسن بن خضر والعكلى وأبى عمران الكلاف .

رحلات ابن دريد :

اعتنى المؤرخون بذكر رحلات ابن دريد لأن لها نتائج هامة فى حياته . وأثرت هذه الرحلات فى شخصية ابن دريد وأهم رحلة له رحلته إلى فارس التى مكنته مركزا وسلطة لدى ابنى ميكال ونجده يؤلف فى هذه الرحلة أهم مؤلفاته الجمهرة ويمدح ابنى ميكال بمقصورته المشهورة ولم يتفق أصحاب الطبقات فى عدد هذه الرحلات . قال المرزبانى « نشأ بعمان ثم تنقل فى جزائر البحر وفارس ثم ورد مدينة السلام (١) ، وقال الخطيب البغدادى : « نشأ بعمان وتنقل فى جزائر البحر والبصرة وفارس وورد بغداد » (٢) وقال جلال الدين السيوطى « ثم صار إلى عمان فأقام بها إلى أن مات » (٣) ، وقال ياقوت الحموى : « ثم صار إلى عمان ثم صار إلى جزيرة ابن عمر ثم صار إلى فارس ثم قدم بغداد »(٤) وقال ابن النديم وأقام بالبصرة ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة ثم صار إلى جزيرة ابن عمر فسكنها مدة ثم صار إلى فارس فقطنها ثم صار إلى بغداد فنزلها » (٥) ، وقال ابن خلكان « ثم انتقل عن البصرة عند ظهور الزنج وسكن عمان ثم صار إلى البصرة وسكنها

---

(١) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٦١

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٢ ص ١٩٥

(٣) بغية الوعاة لجلال الدين السيوطى ص ٢

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ٦ ص ٤٦٤

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٩٤

زماناً ثم خرج إلى نواحى فارس ثم وصل بغداد » (١)

اتخذ إبن دريد البصرة مستقراً لأهميتها العلمية فبعد نشأته بعمان يرجع إلى البصرة أن يمكث هناك — إلى أن وقعت فتنة لزنج وكانت من أعظم الحوادث الإسلامية فى ذلك العصر ، وقد تحدثنا عنها فى الحياة السياسية — لقد رأيناهم يغيرون على البلاد الإسلامية ويخربونها ولم تسلم البصرة من تخريبهم فدخلوها عام ٢٥٧ للهجرة فخربوها وقتلوا الرياشى وكان استاذاً لابن دريد وكان عمر ابن دريد حينذاك أربعا وثلاثين سنة وكان عمه حيا فانتقلا إلى وطنهما عمان وأقام بها ابن دريد اثنتى عشرة سنة وتنقل ابن دريد فى جزر البحر وجزر ابن عمر ، ولما انقضت فتنة لزنج رجع اليها وبقى هناك إلى أن قلد المقتدر بالله عبد الله بن محمد بن ميكال الأعمال بكور الاهواز فضم اليه ابنه اسماعيل أبا العباس الميكالى وطلب ابن دريد لتأديبه فرحل ابن دريد إلى الاهواز لتأديبه ، وهذه أهم الفترات فى حياة ابن دريد ، فقد نال المنزلة العليا فى فارس وقلدة الميكالى ديوان فارس وعمل لهما كتاب الجمهرة وقلداه ديوان فارس فكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمراً إلا بعد توقيعه فأفاد معهما أموالا عظيمة وكان لايمسك درهما سخاء كرما ومدحهما بقصدته المقصورة فوصلاه بعشرة الاف درهم » (٢)

ويتضح من مقام ابن دريد فى فارس إنه كان يعامل معاملة العلماء ذوى المكانة العالية ، فقد أصبح عالما لغويا له شأنه بين العلماء ونجد ابن دريد يرجع

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٨

(٢) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبد الحق بن العماد الحنبلى ج ١ ص ٢٨٩

إلى البصرة وقد مات عبد الله ولم يقبل ابنه اسماعيل العمالة ورجع إلى خراسان ونيسابور فرجع ابن دريد إلى بغداد عام ثمان وثلاثمائه ولما وصل إلى بغداد أنزله على بن محمد الخوارى فى جواره وأفضل عليه وعرف الامام المقتدر بالله خبره ومكانه من العلم فأمر بأن يجرى عليه خمسون دينارا كل شهر ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته .

شخصيته العلمية

شارك ابن دريد مشاركة فعالة فى ارساء علوم اللغة فى البصرة وكانت النهضة اللغوية قد أتت ثمارها فنال ابن دريد شهرة عريضة بين المعاصرين والمتأخرين . اشترك ابن دريد بعد أن تضح علميا فى التأليف المبكر للغة والمعاجم فألف فى الرسائل التى مهدت لظهور فن المعاجم ، مثل غريب الحديث ، وغريب القرآن ، ولغات القرآن ، والخيل الصغير والخيل الكبير وقد وصلتنا من تأليفه المبكرة كتابا صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث وله مؤلف مخطوط هو اخبار ابن دريد كتبه الشنقيطى بخطة ، وكانت شخصيته العلمية تتميز بقوة الحفظ وكان منهجه العلمى يقوم على الرواية تارة وعلى التعليم تارة كان يكتب روايته عن أساتذته أو يكتب ليتعلم شباب العرب لغتهم ورغم ذلك فقد اتهمه كثيرون بأنه كان يتسامح فى الروايه (وقيل أنه كان يتسامح فى الرواية عن المشايخ فيسند إلى كل واحد مايخطر له » (١)

وكان الازهرى من أولئك الذين هاجموا ابن دريد فى شخصيته العلمية

---

(١) أنباه الرواه على انباه النحاه . جمال الدين القفطى تحقيق محمد أبو الفضل ج ٢ ص ٩٢

واتهمه بافتعال العربية فقال وقد ذكر ابن دريد فى طبقة غير الثقات . « ومن ألف فى عصرنا مكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التى ليس لها أصول وإدخال ماليس من كلام العرب فى كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى صاحب كتاب الجمهرة وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب الملاحن » (١) . وسنحاول أن نناقش هذه التهمة عند حديثنا عن كتاب الجمهرة .

وكان لإبن دريد مجالس علمية أدبية تجمع الأدباء والعلماء . ومن هذه المجالس ماحكى عن الرصافى عن بعض أصحابه قال حضرت مجلس ابن دريد وقد سأله بعض الناس عن معنى قول الشاعر :

هجرتك لا قلى منى ولكن ... رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الحائمات الورد لما ... رأت أن المنية الورود
تفيض نفوسها ظمأ وتخشى ... حماما فهى تنظر من بعيد

فقال فى الحائم الذى يدور حول الماء ولايصل إليه ، يقال حام يحوم حياماً ومعنى الشعر أن الإبل تأكل الافاعى فى الصيف فتحمى فتلتهب بحرارتها وتطلب الماء فاذا وقعت عليه امتنعت من شربه وحامت حول تنسجه . ولإنها أى شربته فى تلك الحال صادف الماء السم الذى فى جوفها فتلفت ، فلا تزال تدفع بشرب الماء حتى يطول بها الزمان فيسكن ثوران السم ثم تشربه فلا يضرها ، ويقال فاض الميت وفاضت نفسه وفاضت نفسه أيضا جائز عند الجميع الأصمعى (٢) ،

(١) تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى تحقيق عبد السلام هارون ص ٣١ المقدمة

(٢) معجم الأدباء : ياقوت الحموى : الجزء السادس ص ٤٩١ و ٤٩٢ طبعة د . الرفاعى

ومنها ماحكى عن السيرفى قال : حضرت مجلس أبى بكر بن دريد ولم يكن يعرفنى قبل ذلك فجلست فأنشد أحد الحاضرين بيتين يعزيان لسيدنا آدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى حسن وطيب وقل بشاشة الوجه القبيح

قال ابن دريد أن هذا الشعر قد قيل قديما وجار فيه الاقواء فقلت : أن له وجها يخرجه عن الاقواء . نصب بشاشة وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين فيكون بهذا التقدير نكرة منتصبة على التمييز ، ثم رفع الوجه باسناد وقل اليه فيصير اللفظ « وقل بشاشة الوجه المليح » قال فرفعنى حتى أقعدنى جنبه » (١)

وقد تتبع د . زكى مبارك هذه الرواية واعتبرها سذاجة مطبقة واتهم ابن دريد بأنه على سعة علمه وقوة ذكائه كان يطمئن إلى بعض الحقائق المزيفة التى يتداولها الناس « وفى سذاجة مطبقة أن يظن أن آدم كان يتكلم العربية حتى يؤخذ عليه أنه أول من وقع فى الاقواء » (٢)

وقيل فى مجلسه : (٣)

من يكن للظباء طالب صيد فعليه بمجلس إبن دريد
أن فيه لاوجها فيدتنى عن طلب العلى بأوثق قيد

(١) طبقات الشافعية : للسبكى ج ٢ ص ١٤٥ أو ١٤٦
(٢) النثر الفنى فى القرن الرابع ج ١ ص ٣٠٤ د . زكى مبارك
(٣) بقية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه للسيوطى ص ٣٠

وذكر السيوطى أيضا فى البغية (١) قال ابن خالويه فى شرح المقصورة كان ببغداد عياد ابن عمر إبن الخايس الكرمانى صاحب لغة وكان يطعن على ابن دريد وينقض عليه الجمهرة فجاء غلام لابن دريد فجلس بحذائه فى الجامع ونقض على الكرمانى جميع ما نقضه على ابن دريد فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم قال أبو بكر بن دريد أعزه الله تعالى عننت الفرس إذا حبسته بعنانه فإن حبسته بمقوده فليس بمعن. قال الكرمانى الجاهل اخطأ ابن دريد لانه إن كان من عننت فيجب أن يكون معنونا وان كان من اعننت فيجب أن يكون معنا وأخطأ لكذا وكذا فوقف شاعر على الحلقة فقال اكتبوا :

اذللت كرمان وعرضتها	لجحفل مثل عديد الحصى
وإبن دريد غرة فيهم	فى بحره مثلك كم غوصا
جثا على الركبة حتى إذا	أحس نزرا قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها	لاصفعن هامته بالعصا

فلم يلتفت إلى الكرمانى بعد ذلك.

ويذكر الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (٢) «حدثنى على بن محمد بن نصر قال سمعت أبا بكر الابهرى المالكى يقول : جلست الى جنب ابن دريد وهو يحدث ومعه جزء فيه (١٠) قال الاصمعى فكان يقول فى واحد حدثنا الرياشى وفى آخر حدثنا أبو حاتم وفى آخر حدثنا ابن أخى الاصمعى عن الاصمعى يقول كما يجىء على قلبه».

---

(١) المصدر السابق ص ٣١
(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٢ ص ١٩٥

أما شخصيته العلمية الرائعة فتظهر بتأليفه معجم الجمهرة وهو أهم أعماله العلمية وتظهر فيه شخصيته التى تتميز بقوة الحفظ وملكة اللغة وحب تعلمها فقد أملى الجمهرة من حفظه مرات فقد قيل «وله من الكتب كتاب الجمهره فى علم اللغة مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان لأنه أملاه بفارس وأملاه ببغداد من حفظه فلما اختلف الاملاء زاد ونقص ولما أملاه بفارس على غلامه تعلم من أول الكتاب» (١) وقيل أيضا «قال بعضهم أملى ابن دريد الجمهرة من حفظه سنة ٢٩٧هـ فما استعان عليها بالنظر فى شيء من الكتب إلا فى الهمزة واللفيف (٢)» ، وكانت هذه المجالس لها تأثير كبير فيمن التفوا حول ابن دريد ويكفى أن يكون بين تلاميذ ابن دريد مشاهير العلماء مثل أبى على القالى تلميذه الأول وأبى على الفارسى والأصفهانى صاحب الاغانى والآمدى وابن خالويه .

وكان ابن دريد شاعراً وكان شاعراً مكثراً بارعا ابتكر فى شعره ويقال عنه أنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء ، يقول المسعودى فى مروج الذهب «وكان ممن برع فى زماننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها واورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين وكان يذهب فى الشعر كل مذهب فطورا يجزل وطوراً يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو يأتى عليه كتابنا هذا (٣)» .

وقال أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين «وكان أحفظ الناس وأوسعهم

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٨

(٢) المزهر للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل وآخرين جـ١ ص ٩٢

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلى بن الحسين المسعودى جـ٤ ص ٢٢ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

علما وأقدرهم على الشعر وما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر وابى بكر بن دريد (١)». غير أن الدكتور زكى مبارك يرى «أن ابن دريد كان شاعراً مقلا تحفظ له الابيات والمقطوعات وبعض القصائد ولكن كان يسكب روحه فيما ينظمه من الشعر فتسرى معانيه قوية سحارة بلا جلبة ولاضوضاء كما تفعل الجفون النواعس بألباب الشعراء» (٢)

وقد ترك لنا ابن دريد من آثاره الشعرية ديوانه المطبوع وقصيدته المشهورة المقصورة التى اشتملت على أكثر المقصور وهى من أحسن شعره وذكر فيها من الحكم والامثال وحالته مع الزمن واحداثا تاريخية تبين مواقف بعض العظماء من الزمن. وهناك أشعار أخرى متناثرة فى كتب الادب المختلفة وأهمها كتاب الامالى لابى على القالى الذى يروى أكثر رواياته عن ابن دريد ويذكر كثيراً من شعره وكتاب أمالى الزجاجى الذى ذكر له قصيدته وشرحها وكتاب أدب الدنيا والدين للماوردى وغير ذلك من الكتب الأدبية . أما الديوان فقد طبعته لجنة التأليف فى مصر وحققه محمد بدر الدين العلوى وجمع شعره من الكتب الادبية ويرى المحقق أن ابن دريد لم يكن شاعراً من حيث صناعته بل كان ينظم الشعر كلما بعثته باعثة من قريحة المدح أو الهجو أو غير ذلك فكان شعره نفثة المصدور بالمعنى الحقيقى» . (٣)

وقد نظم ابن دريد الشعر وعمره عشرون عاما وكان يجمع فى شعره كثيرا

---

(١) مراتب النحويين لابى الطيب اللغوى تحقيق محمد أبو الفضل ص ٨

(٢) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى دكتور زكى مبارك ج١ ص ٢٧٨

(٣) مقدمة الديوان ص ٢٢ (ديوان ابن دريد)

من أغراضه فنيه النسب والمدح والحماسة والهجاء والوعظ ويستعمل احيانا الاسلوب السهل وأحيانا أخرى يظهر كما له فى الدقائق اللغوية .

أما المقصورة والتى مدح بها ابنى ميكال والتى ذاعت على مر الزمن وعارضها كثيرون كان آخرهم الشيخ رشيد رضا فى مقصورته وأول قصيدة ابن دريد المقصورة فى رواية أبى اسحاق ابن مخلد :

ياظبية أشبه شىء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقى

وكثير من الروايات تجعل أول المقصورة :

أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

ولهذه المقصورة شروح كثيرة « شرحها تلميذه ابن خالويه والتبريزى والجواليقى وابن هشام اللخمى والزمخشرى وخمست المقصوره ، خمسها سعد بن على الأربلى وعبد الله ابن عمر الأ جازى والحسين محمد بن الملا جرجيس وهناك تخمين للمقصورة من نظم مجد الدين اسعد بن أحمد بن على الأربلى » (١)

وعارضه فى المقصورة جماعه من الشعراء منهم التنوخى الانطاكى وأول مقصورته .

لولا انتهائى ولم أطع نهى النهى أى مدى يغلب من جاز المدى

وعارضه أبو الحسن حازم بن محمد بن خلف بن حازم الاندلسى المتوفى عام ٦٨٤ ه وآخر من عارضه رشيد رضا وأول مقصورته :

---

(١) تاريخ الآدب العربى : كارل بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار ج ٢ ص ١٧١

تبارك الباریء مبدع الورى　　　　بالحق والحلم عن ظهر غنى

ونستطيع أن نقول أن ابن دريد أول من ابتدع فن المقصورة رغم مايذكره المسعودى فى مروج الذهب حين قال « وقد سبق إلى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصير الحلوانى بن زيد الداعى الحسنى بطبرستان بقوله :

قفا خليلى على تلك الربى　　　　وسائلاها أين ذاتيك الربى (١)

ونرد على رأى المسعودى ونقول أن قصيدة الحلوانى لم تكن مقصورة كاملة ولم يسر بها الركبان مثلما سارت مقصورة ابن دريد .

ويقال أن أول شعر له (٢) :

ثوب الشباب على اليوم بهجته　　　　وسوف تنزعه عنى يد الكبر

أنا ابن عشرين مازادت ولانقصت　　　　أن ابن عشرين من شيب على خطر

ومن شعره الجميل الذى يتضح فيه التصوير الجميل والخيال الرقيق وقد خرج يريد عمان فنزل تحت نخلة فإذا فاختتان تزقوان فى فرعها فقال (٣) :

أقول لورقاوين فى فرع نخلة　　　　وقد طفل الامساء أو جنح العصر

وقد بسطت هاتا لتلك جناحها　　　　ومال على هاتيك من هذه النحر

ليهنكما أن لم تراعا بفرقة　　　　وما دب فى تشتيت شملكما الدهر

فلم أر مثلى قطع الشوق قلبه　　　　على أنه يحكى قساوته الصخر

---

(١) مروج الذهب للمسعودى جـ ٤ ص ٣٢٠

(٢) ديوان ابن دريد ١٦٨ وانظر أيضا معجم الادباء لياقوت جـ ٨ ص ٤٨٤ وتاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٩٦

(٣) ديوان ابن دريد ٩٦

وهى أبيات تفيض بالرفق والحنان ، وتمثل ائتلاف الطير ارق تمثيل ولايعرف قيمتها إلا من ألف صناعة الطير فى صحوات الربيـــع ، ومن شعر ابن دريد هذان البيتان (١) .

عانقت منه وقد مال النعاس به | والكأس تقسم سكرا بين جلاس
ريحانه ضمخت بالمسك ناضرة | تمج بدر الندى فى حر انفاس

وفى هذين البيتين صورة شعرية جذابه ويعتبر البيت الثانى وثبة من وثبات الخيال .

وتحدث ابن دريد فى شعره عن قومه من أهل عمان ، وكانت عاطفته تنزع إلى موطنه الأول ونجد من شعره قصيدتين تتعلق بسياسة عمان الداخلية وهما يتحدثان عن وقعة الروضة وهى الوقعة التى قتل فيها رجال من ولد مالك بن فهم وهو أحد أجداد بن دريد وقد تحدث عنها السالمى فى تحفة الأعيان (٢) ، وهى بايجاز أن جماعة من اليمن ارادوا عزل راشد بن النضر منهم فهم بن وارث الكلبى ومصعب وأبو خالد ابنا سليمان الكلبيان وكاتبا مسلما واحمد بن عيسى بن سلمة وسألوهما أن يبايعا لهما فى الباطنية من العتيك بن بنى عمران ومن كان على رأسهم من ولد مالك بن فهم وخرجوا جميعا وأخذوا طريق الجبل يريدان عزل راشد بن النضر وكان الخبر قد اتصل به فلما صاروا بالروضة بالقرب من تنوف من حدود الجوف وجه اليهم راشد السرايا والجيوش فكبسهم بالروضة من تنوف فوقعت عليهم وقعة شديدة .

---

(١) ديوان ابن دريد ٧٠
(٢) تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان للسالمى ج ١

يقول ابن دريد فى القصيدة الأولى (١) يعير قومه من ولد مالك بن فهم ويحرضهم على أخذ ثأر من قتل منهم بالروضة :

وله ناب وخطب جليل ... بل رزايا لهن عبء ثقيل
بل غرام مباده بل دهاريـ ... ـس عظام وقوعهن وبيل
أن بالقاع سن تنوف محلا ... ليس للمكرمات عنه حويل

ويقول فيها :

أقليل عديدكم فتقولوا ... إننا فى الوغى نفير قليل
أم ضعاف عند ثأركم فتلذوا ... مشرب الذل والضعيف ذليل
أم نساء يذعى لهن بعول ... إن ستر المحصنات البعول

ويخاطب جماعة من قومه فيقول :

يا سليمان حرد العزم قدما ... تدرك الوتر منجدا وهو نول
يا فراهيد أنت نجم المساعى ... انتم العدة الحماة النصول

أما القصيدة الثانية (٢) فقال يرثى من قتل من قومه فى وقعة الروضة بتنوف من اليمن وغيرهم .

انها ثارت قداح المنايا ... يوم حازت خصاصها بتنوفا
يوم قالت للردى استقص حظى ... يوم لم تعطف إلا الشريفا

---

(١) ديوان ابن دريد ١٠١ وتحدث عنها السالمى فى تحفة الأعيان جـ١ وذكر أنها محرفة فى أغلب المصادر .

(٢) الديوان ٨٢

ومن اغراض الشعر التي اشترك فيها ابن دريد الرثاء والهجاء فمن الرثاء قصيدتان يرثي في الاولى الإمام الشافعي وفي الثانية يؤبنه ، قال يرثي الإمام الشافعي (١)

بملفتيه للشيب طوالع ذوائد عن ورد التصابي روادع
تصرفنه طوع العنان وربما دعاه الصبا فاقتاده وهو طالع

ويقول فيها :

لرأى ابن ادريس ابن عم محمد ضياء اذا ما أظلم الخطب ساطع
إذا المعضلات المشكلات تشابها سما منه نور في دجاهن لامع
أبى الله إلا رفعه وعلوه وليس لما يعليه ذو العرش واضع

وأبن الإمام الشافعي فقال : (٢)

واذا قرأت كلامه قدرته سحبان أو يوفي على سحبان
لو كان شاهده معد خاطبا وذوو الفصاحة من بني قحطان

ومن فنون شعره ماقاله في اخلاق الناس (٣) وقد أجاد :

أرى الناس قد أغروا ببغي وريبة وغي اذا ما ميز الناس عاقل
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم إلى نحو ماعاب الخليقة مائل
إذا ما رأوا خيراً رموه بظنة وان عاينوا شراً فكل مناضل

وقد هجا ابن دريد من عاداه فقال يعرض بالباهلي اللغوي وهي قصيدة

---

(١) الديوان ٧٧
(٢) ديوان ابن دريد ١٩ وطبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ١٤٦
(٣) الديوان ٩٩

تمثلىء بالغريب (١) يقول فيها :

ديار الحى بالرس	إلى العمرين ، فالابرق
كرجع النقش فى الطرس	إذا نمق لم ينمق

ويقول فيها :

وما الكهدل فى الخيـ	عل والكافر فى اليملق
وما الاسناخ فى الأرعا	ظ و لأرصاف إذ يلزق
وما النعو وما البغو	وما المعو إذا يغرق
وما البعل وما الجعل	وما الجبار إذ نتق
وما الجامور والساجو	ر فى السكة فالزردق

ونظرة واحدة إلى ألفاظ هذه القصيدة مثل الكهدل والنعو والجامور.. الخ نجد أنها كلمات غريبة تحتاج إلى شرح مطول .

ومن حكمه ماذكره البلوى فى كتابه ألف باء (٢) « ومن أمثالهم من جهل شيئا عاداه » وفى ذلك يقول ابن دريد :

جهلت فعاديت العلوم وأهلها	كذلك يعارض العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى أن يرى متصوراً	ويكره لا أدرى أصيبت مقاتله

وقد ذكر الزجاجى فى أماليه (٣) هذه القصيدة الجميلة فيقول :

---

(١) ديوان ابن دريد ٨٧

(٢) ألف باء : أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى ص ١٩

(٣) أمالى الزجاجى:عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى تحقيق عبد السلام هارون ص ٧٠

أعن الشمس عشاء كشفت تلك السجوف
أم عن البدر تمرى موهنا ذلك النصيف

والزجاجى تعليق على القصيدة يذكر شرح مفرداتها .

ومن شعره أيضا فى الوصف الرائع (١) :

غراء لو جلت الخدود شعاعها للشمس عند طلوعها لم تشرق
غصن على دعص تأود فوقه قمر تألق تحت ليل مطبق
لو قيل للحسن احتكم لم يعدها أو قيل خاطب غيرها لم ينطق

وقال فى وصف الخمر (٢) :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق قبل مزاجها فلما مزجناها حكت خد عاشق

ورغم أن بعض المصادر لا تذكر هذين البيتين لابن دريد فمعجم الأدباء (٣) ينسبها لأبى ناجية كذلك ابن خلكان فى وفيات الأعيان (٤) ينسبها إلى أبى ناجية ولكننا نعتقد أنها لابن دريد وخاصة أنه كان يشرب الخمر أو كان متهمابشربها . أما أبو على القالى فيذكر فى أماليه نماذج من شعر ابن دريد وكتاب الأمالى لأبى على القالى مصدر أساسى لاخبار ابن دريد وأكثر روايات القالى عن ابن دريد

---

(١) نهاية الإرب : للنويرى ج ٢ ص ٩٩

(٢) ديوان ابن دريد ٨٦

(٣) معجم الادباء : ياقوت ٤٨٧ ج٦

(٤) الوفيات ج١ ص ٤٩٩

وذكر أبو على القالى من شعر ابن دريد فى أماليه : (١)

قلب تقطع فاستحال نجيعا	فجرى فصار مع الدموع دموعا
ردت إلى أحشائه زفراته	فعضضن منه جوانحا وضلوعا
عجبا لنار ضرمت فى صدره	فاستنبطت من جفنه ينبوعا

وقال أيضا وانشدنا أبو بكر لنفسه (٢) :

إن الذى أبقيت من جسمه	يا متلف الصب ولم يشعر
صبابة لو أنهـــا دمعة	تجول فى جفنه لم تنظر

ومن الامالى أيضا (٣) قال : وقرأت على أبى بكر بن دريد لنفسه فى قصيدة له أولها هذه الابيات :

ليس المفسر دانيا كالمفسر	حكم المعذر غير حكم المعذر
لو كنت أعلم أن لحظك موبقى	لحذرت من عينيك مالم أحذر
لاتحسبى دمعى تحدر إنما	نفسى جرت فى دمعى المتحدر

وإذا كان ابن دريد شاعراً فى عصره فقد اشترك فى نهضة النثر فى ذلك العصر وقد أثار الدكتور زكى مبارك قضية هامة تتعلق بنثر ابن دريد فقد اكتشف أن ابن دريد هو مخترع فن المقامات فى الأدب العربى وكان من المعـــروف أن بديع الزمان الهمذانى هو أول من أنشأ فن المقامات وكان الحريرى هو الذى نشر أن بديع الزمان هو مخترع فن المقامات حتى اكتشف الدكتور زكى مبارك

---

(١) الامالى جـ١ ص ٧٩

(٢) الامالى لابى على القالى جـ١ ص ٢٢٣

(٣) المصدر السابق جـ٢ ص ١١٥

نصا ذكره أبو إسحاق الحصرى حيث عرض للكلام عن بديع الزمان فقال: «كلامه غض المكاسر أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفا والهوى يعشقه ظرفا ، ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى أغرب بأربعين حديثا وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره واستنخبها من محاذق فكره وأبداها للابصار والبصائر وأهداها للافكار والضمائر ، فى معارض عجمية وألفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع ولا ترفع له حجبها الاسماع ، وتوسع فيها ، إذ صرف ألفاظها ومعانيها فى وجوه مختلفة وضروب منصرفه ، عارضها بأربعمائة مقامة فى الكدية تذوب حسنا لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى(١).»

ويعتبر الدكتور زكى مبارك أن هـــذا النص دليل على أن ابن دريد هو مخترع فن المقامات ولكن ماهى المقامة ، وما هى أحاديث ابن دريد التى كانت مقدمة لتطور فن المقامات فى رأى الدكتور زكى مبارك ، فالمقام فى اللغة المجلس أو اسم الموضع بالفتح والضم قال تعالى «أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا»(٢) وعرف العرب كلمة المقامة فى الجاهلية ، يقول زهير بن أبى سلمى عنها بمعنى مجلس القبيلة :

وفيها مقامات حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل

وتوسع العرب بعد ذلك فى معنى الكلمة فأصبحوا يطلقونها على خطبهم ، وأحاديثهم التى يقولونها فى مجالسهم وتتطور الدلالة فى العصر الإسلامى وتدل على الموقف الذى كان يقفه الواعظ بين يدى الخليفة أو غيره متحدثا فى الوعظ ثم

---

(١) زهر الآداب وثمر الالباب : أبو إسحق الحصرى ج١ ص ٣٠٨

(٢) سورة مريم : آية ٧٢

يعنى التطور عليها حتى تدل على المحاضرة التي تلقى . ثم تطورت المقامة فأصبحت تعنى القصص الذى وضع قصداً والذى أراد أصحابه أن يدونوا به بعض الأوصاف عن طريق الحكايات الصغيرة أو يذيعوا بعض النوادر والفكاهات أو يعطوا بعض الجوانب التاريخية صورة مغرضة يخدمون بها بعض الأحزاب ، أو يشرحوا بعض النظريات الفلسفية والأدبية أو يصنوا بعض الحوادث الغرامية (١) » وقد تطور هذا الفن من القصص فى القرن الرابع الهجرى ويقال أن بديع الزمان قد ألف مقاماته عام ٣٨٢ ﻫ وجعل لها شخصيتين خياليتين هما أبو الفتح الاسكندرى وعيسى بن هشام ، ولنر الآن أحاديث ابن دريد التى يدعى زكى مبارك أنها كانت أساس المقامات . ونرى هذه الأحاديث قد نقلها أبو على القالى عن ابن دريد فى كتاب الأمالى وتشتمل على طائفة من القصص المسجوعة وكانت هذه الأحاديث قد رويت على ألسنة أناس مجهولين فأحيانا عن الأعراب وتارة أخرى عن أقيال اليمن الذين لا يعرف لهم اسم ولا يحتفظ لهم بتاريخ وتتناول هذه الأحاديث فى جملتها جانبا من الدعاية والفن من ذلك الرجل الخليع واهتم ابن دريد بتصوير الشمائل العربية وشغف بنوع خاص بتقديم طائفة من الصور المختلفة من أحلام النساء فى فهم الرجال وإعجاب البنات بأعمال الآباء ويتحـــدث ابن دريد عن شجعان العرب وفرسانهم وكرامهم . وهذه نماذج من أحاديث ابن دريد ؛ ذكر أبو على القالى فى الأمالى (٢) : « وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى قال قالت عجوز من العرب لثلاث بنات لها صفن ما تحببن من الأزواج : فقالت الكبرى أريد أروع بساما أحذ جذاما

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : دكتور زكى مبارك جـ١ ص ٢٤٢

(٢) الأمالى لأبى على القالى جـ١ ص ١٧ طبعة بولاق

سيد ناديه وثمال عافيه ومحب راجيه فاؤه رحب وفياده صعب ، وقالت الوسطى أريده عالى السناء مهمم المضاء ، عظيم ثار متمم أيسار ، يقيد ويبيد ويبدى ويعيد ، .. الخ ، وذكر أبو على القالى من حديث أوس بن حارثة (١) لابنه مالك قوله : « يامالك المنية ولا الدنية والعتاب قبل العقاب والتجلد لا التبلد ، واعلم أن القبر خير من الفقر وشر شارب المشتف وأقبح طاعم المقتف وذهاب البصر خير من كثير من النظر » وذكر أبو على القالى حديثا آخر لخنافر الحميرى وخوله الإسلام مرويا عن ابن دريد فقال (٢) : « وحدثنا أبو بكر قال حدثنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال كان خنافر ابن التوأم الحميرى كاهنا وكان قد أوتى بسطة فى الجسم وسعة فى المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبى (صلى الله عليه وسلم) وظهر الإسلام أغار على أبل لمراد فأكتسحها ثم يستطرد فى هذا الحديث ويقول ماهممنا فقال خنافر فقلت شصار فقال أسمع أقل قلت قل أسمع فقال عنه تغنم لكل مدة نهاية ولكل ذى أمد غاية قلت أجل فقال كل دولة إلى أجل ثم يتاح لها حول انتسخت النحل ورجعت إلى حفائفها الملل » ، وهناك حديث النسوة اللائى أشرن على بنت الملك بالتزوج - وذكره أبو على القالى عن ابن دريد « كان قيل من أقيال حمير منع الولد دهراً ثم ولدت له بنت فبنى لها قصراً منيفا بعيداً عن الناس » ويستطرد فيقول « فقلن لها يوما يابنت الكرام لو تزوجت لتم لك الملك فقالت وما الزوج فقالت إحداهن الزوج عز فى الشدائد وفى الخطوب مساعد إن غضبت عطف وإن مرضت لطف » وذكر القال

---

(١) نفس المرجع جـ١ ص ١٢

(٢) نفس المرجع جـ٢ ص ١٣

مجانسا فى صفة الأسد فقال راويا عن ابن دريد (١) : اجتمع عند يزيد بن معاوية أبو زبيد الطائى وجميل بن معمر العذرى والأخطل التغلبى فقال لهم أيكم يصف الأسد فى غير شعر فقال أبو زبيد أنا يا أمير المؤمنين لونه ورد وزئيره رعد وقال مرة أخرى زغد ووثبه شد وأخذه جد وهرله شديد وشره عيد ونابه حديد وأنفه أخثم وخده أورم ومشفره أولم وكفاه عراضتان ووجنتاه نائتتان .. الخ »

وذكر أبو على حديث (٢) الجوارى الخمس اللاتى وصفن خيل أبائهن فقال :

« قالت الأولى فرس أبى ورده ذات كفل مزحلق ومتن أخلق وجوف أخوق ونفس مروح وعين طروح وقالت الثانية : فرس أبى اللعاب وما اللعاب غبية سماء واضطرام غاب » .

أما مقامات بديع الزمان الهمذانى والتى عزاها إلى أبى الفتح الاسكندرى فى نشأتها وإلى عيسى ابن هشام فى روايتها وكلاهما مجهول فمن مقاماته المقامة الخمرية التى وضعت قصدا لوصف الصهباء فيحدثنا عيسى بن هشام « أنه كان فى عنفوان شبيبته عدل ميزان عمله وعدل بين جده وهزله فجعل النهار للناس والليل للكأس وأنه اجتمع فى بعض لياليه مع أخوان الخلوة فمازالوا يتعاطون نجوم الأقداح حتى نفذ ماعمهم من الراح ثم دعتهم دواعى الشطارة إلى حان الخمارة ، والليل أخضر الديباج معتلم الأمواج .. الخ وقول بديع الزمان فى المقامة الأسدية : « إلى أن اتفقت لى حاجة بحمص فشحذت الحرص فى صحبة أفراد كنجوم الليل أحلى من ظهور الخيل وأخذنا الطريق تنتهب مسافته ونستأصل شأفته ولم نزل اسنمة النجاد بتلك حتى صارت كالعصى ورجعت كالقسى » .

---

(١) ذيل الامالى والنوادر ص ٢٢

(٢) الامالى لابن على القالى ج١ ص ١٩٠

وإذا قارنا بين أحاديث ابن دريد ومقامات بديع الزمان الهمذانى فهناك آراء حول نشأة المقامة وحول الاختلاف بين ابن دريد وبديع الزمان، فأما الدكتور زكى مبارك فيرى أن ابن دريد منشىء فن المقامات وأن الحريرى هو الذى أذاع الخطأ وهو أن بديع الزمان منشىء المقامة (١) ، أما الدكتور شوقى ضيف فيرى أن أحاديث ابن دريد (٢) : « كانت تمتلىء باللفظ الغريب فهى أحاديث ألفت لغرض تعليم الناشئة اللغة وأن ابن دريد أثر فى الهمذانى من ناحية الشكل ورأى آخر ذكره باحث حديث تبين التشابه بين المقامة الأسدية لبديع الزمان وحديث صفة الأسد الذى ذكره أبو على فى ذيل الأمالى ولكن بديع الزمان كان هدفه من المقامات يدور حول الكدية وهو سؤال الناس وهو ما نطلق عليه فى عصرنا (بالأدباتية) التى كادت تنقرض .

وهناك رأى آخر ذكره الدكتور عبد الرحمن ياغى (٣) « إن رأى الدكتور زكى مبارك غير صائب وأن بديع الزمان هو مبتكر فن المقامات فى الأدب العربى » .

شخصيته العادية وتهمة شرب الخمر التى رماه بها المؤرخون :

كان ابن دريد جامعا لخلال الخير وخيرها العلم وقد ذكر المؤرخون حادثة طريفة تبين حلمه فقد ذكر ياقوت فى معجم الأدباء « حكى عن أبى هلال العسكرى

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : دكتور زكى مبارك جـ١ ص ٢٤١

(٢) الفن ومذاهبه فى النثر العربى دكتور شوقى ضيف ص ٢٤٨ وأيضا المقامة فى فنون الأدب العربى : دكتور شوقى ضيف

(٣) رأى فى المقامات : دكتور عبد الرحمن طبع بيروت ص ١٨

قال أخبرنا أبو أحمد قال كنا فى مجلس ابن دريد وكان يتضجر ممن يخطىء فى قراءته فحضر غلام وضىء فجعل يقرأ ويكثر الخطأ وابن دريد صابر عليه فتعجب أهل المجلس فقال رجل منهم لاتعجبوا فإن فى وجهه غفران ذنوبه فسمعها ابن دريد فلما أراد أن يقرأ قال له هات يامن ليس فى وجهه غفران ذنوبه (١)، وذكر ياقوت فى معجم الأدباء « قال قال السمعانى سمعت الأمير أبا نصر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد الميكالى يقول : تذاكرنا المتنزهات يوما وابن دريد حاضر فقال بعضهم أنزه الأماكن غوطة دمشق وقال آخرون بل نهر الابلة وقال آخرون بل سغد سمرقند وقال بعضهم نهروان بغداد وقال بعضهم شعب بوان بأرض فارس وقال بعضهم نوبهار بلخ وهو بناء للبرامكة فقال ابن دريد هذه فنزهات العيون فاين أنتم عن متنزهات القلوب قلنا وماهى يا أبا بكر قال عيون الاخبار للقتبى والزهرة لابن داود وقلق المشتاق لابن أبى طاهر ثم أنشأ يقول:

ومن تك نزهته قينة ... وكأس تحث وكأس تصب
فنزهتنا واستراحتنا ... تلاقى العيون ودرس الكتب

وهذا حوار جميل كانت لفتة ابن دريد فيه لفتة الشاعر الفيلسوف إذ يقول : هذه متنزهات العيون فأين أنتم من متنزهات القلوب ، وفى البيتين اللذين أنشدهما لفتة أيضا فى قوله تلاقى العيون التى قدمها فى متعة القلب على درس الكتب وهو رجل يرى الجمال فى الطبيعة الناطقة ـــ طبيعة الإنسان الجذاب التى يؤثرها على جمال الأنهار والبحار والمروج الفيحاء والرياض الغناء .

وكان ابن دريد سمحا جوادا لايمسك درهما ويحكى أن سائلا سأله شيئا فلم

---

(١) معجم الأدباء : ياقوت الحموى ص ١٢٨ جـ ١٨ طبعة أحمد فريد رفاعى

يكن عنده غير دن من نبيذ فوهبه له فأنكر عليه أحد غلمانه وقال تتصدق بالنبيذ فقال لم يكن عندي شيء سواه ثم أهدى له بعد ذلك عشرة دنان من النبيذ فقال لغلامه أخرجنا دنا فجاءنا عشرة ، وهي روح فكاهية لابن دريد ولكنها تلصق به تهمة خطيرة وهي أنه كان يشرب الخمر وقد اتخذ أعداء ابن دريد هذه التهمة ذريعة للنيل منه وبخاصة الازهري في مقدمة التهذيب فبالإضافة إلى أن الازهري اتهمه بافتعال العربية وتوليد الالفاظ وإدخال ماليس من كلام العرب في كلامها يقول : « وألفيته أنا على كبر سنه سكران لايكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره (١) » وهذه أقوال تنسب إليه شرب الخمر صراحة أيضا ، قال عنه تلميذه أبو حفص عمر بن شاهين كنا ندخل على ابن دريد وتستحي لما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى » (٢)، وقال أبو ذر الهروي «سمعت أبا منصور الازهري يقول : دخلت على ابن دريد فرأيته سكران فلم أعد إليه » وسئل عنه الدارقطني فقال تكلموا فيه . فابن دريد متهم بشرب الخمر ولكن هل كان يشرب الخمر فسقاً أم كان يشربها على مذهب أهل العراق من النبيذ وذلك كله يحتاج إلى تفصيل .

كان العرب في الجاهلية يشربون الخمر على اختلاف طبقاتهم دون تحرج وكانوا يصفونها في شعرهم باعتبارها مظهرا من مظاهر الفتوة والكرم وسماحة النفس ومن أشهر شعرائهم الذين وصفوا الخمر الاعشى وغيره من الذين فصلوا القول في الخمر بعض التفصيل حسان بن ثابت وعدي بن زيد وعلقمة بن عبدة(٣)،

---

(١) مقدمة التهذيب : أبو منصور الازهري تحقيق عبد السلام هارون ٣٦

(٢) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ج٢ ص ٢٠٢

(٣) الاتجاهات في الشعر في القرن الثاني الهجري : دكتور محمد مصطفى هدارة صفحة ٤٧٦

ثم جاء الإسلام وتدرج فى تشريعه لتحريم الخمر إذ كان العرب قبل الإسلام يكثرون من شربها ويتغنون بها فى أشعارهم ويتفننون فى وصفها وكانت عادة متأصلة عندهم ولم يكن من السهل تحريمها عليهم فى وقت واحد ولذلك سلك الشارع الإسلامى مسلك التدريج فى التشريع حتى لا يشق الأمر على الناس فكان التحريم على مراحل مختلفة ، المرحلة الأولى: نزل قوله تعالى « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسنا إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون »(١) ، المرحلة الثانية نزل قوله تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما(٢) » ، المرحلة الثالثة نزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون (٣) ، المرحلة الرابعة : نزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله فهل أنتم منتهون)(٤) وبذلك كان تحريم الإسلام للخمر تحريما تاما بعد نزول هذه الآية الكريمة ووضعت السنة النبوية الشريفة حدا لها واستمر تمسك المسلمين بمنع شرب الخمر حتى حتى جاء الخلفاء الامويون وشربوا الخمر وجاء العصر العباسى ووصف الشعراء الخمر وصفا رائعا مثل أبى نواس وأبى الهندى وغيرهما وقد اتخذ بعض الباحثين المحدثين مجون بعض الخلفاء ذريعة للشك فى العلماء وكبار القوم وهو الدكتور

---

(١) سورة النحل الآية ٦٧

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٩

(٣) سورة النساء الآية ٤٣

(٤) سورة المائدة الآية ٩٠ و ٩١

طه حسين فذكر (أن هذا العصر كان عصر شك ومجون وكان عصر رياء ونفاق فكان لكثير من الناس مظهران مختلفان أحدهما للعامة والجمهور وهو مظهر الجد والتقوى والآخر للخاصة ولأنفسهم وهو مظهر اللهو والمجون ألف يخلع فيه العذار وتترك فيه للشهوات حريتها المطلقة ، ومن ذلك أنهم تحدثوا أن الرشيد كان يصلي كل يوم مائة ركعة وأنه أمضى خلافته بين الحج والغزو) . هكذا يتحدث ابن خلدون ولكن هذا لا يكفي لتبرئة الرشيد مما أضيف إليه من أنه كان يلهو ويسكر وكذلك ذكروا عن المأمون خلالا نقية وخصالا طاهرة ربما صحت كلها ولكنها لم تمنع المأمون من أن يلهو ويشرب الخمر (١) . ولكن رأى د. طه حسين مشكوك في صحته فلا نستطيع أن نحكم على عصر بأكمله لأن بعض الخلفاء أو الشعراء أو العلماء كانوا يلهون أو يشربون الخمر وثمة دليل آخر وهو أن كثيراً من الشعراء كانوا يصفون الخمر في شعرهم ولا يشربونها .

وكان موضوع الخمر من أكثر الموضوعات جدلا عند الفقهاء لعدم وجود نص قاطع بالتحريم وقد أشار المستشرق أجناس جولد تسيهر (٢) إلى هذه الناحية فذكر أن الحركة العربية تريد أن تتخلص من الخمر من أجل الحد الشرعي (وأضاف جولد تسيهر أنه (من وقت مبكر اعتبرت في هذه المسألة وجهتان للنظر مختلفتان متناقضتان فقد استدل أحد أشراف الصحابة وهو أبو جندل بآية من القرآن على تخطيه وهي قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) . وذكر جولد تسيهر (٣) أن بعض الصالحين كانوا يشربون

---

(١) حديث الأربعاء ج٢ د . ط . حسين ص ١٢٠

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام : أجناس جولد تسيهر ترجمة محمد موسى وآخرين ص ١١٢

(٣) المرجع السابق ص ١١١

الخمر أو يجيزونها » وقد صرح الخليفة عمر بن عبد العزيز نفسه بجواز النبيذ ، مثل وكيع بن الجراح أحد الفقهاء الكوفيين المشهورين بالزهد (١٢٩ — ١٩٧هـ) كان يداوم على شرب نبيذ الكوفيين وخلف بن هشام أحد قراء الكوفة المشهورين (١٢٩هـ) كان يشرب الشراب وشريك قاضى الكوفة فى عصر الخليفة المهدى كان يحدث بحديث الرسول ويشم من فمه رائحة النبيذ » .

ولكن أكثر ماذكره جولد تسيهر لا يرقى إلى الصحة فهى محاولة للتشكيك فى التاريخ الإسلامى وفى فقه الكوفة بوجه خاص . أما اختلاف الفقهاء فى موضوع الخمر وتحريمها فنستطيع أن نقسمه كما رأوه — فهم يتفقون فى أمور بالنسبة للخمر ويختلفون فى أمور : أما الأمور المتفق عليها فهى :

(١) الخمر المستخرجة من العنب محرمة اتفاقا

(٢) يحل لمكره والمضطر أن يشربها

أما الأمور المختلف عليها فهى :

(١) يحل شرب القليل الذى لا يذكر من النبيذ المستخرج من غير العنب .

(٢) الحكم فى المخدرات التى لا ينطبق عليها تعريف الخمر ولكنها تعمل عملها وأشد .

أما الأمور المتفق عليها وهى :

(١) الخمر المستخرجة من العنب محرمة اتفاقا فاتفق فقهاء المسلمين أن المحرم :

ا — الخمر التى من ماء العنب إذا غلى واشتد .

ب — الطلاء وهو ماء عنب طبخ فذهب أقل من ثلثيه .

جـ — السكر وهو النيىء من ماء الرطب

د ــ نقيع الزبيب نيئا أو أغلى

(٢) المكره على شرب الخمر والمضطر ، إن أكره شخص على شرب الخمر باكراه تام سواء أكره بالوعيد أو الضرب أو ألجئ إلى شربها بأن يفتح فمه ويصب فيه فلا يحد أو المضطر إلى شرب الخمر لا يعاقب إن كان ذلك لدفع غصة ما يقف فى الحلق من عظم ونحوه .

والأمور المختلف عليها وهى :

أولا : شرب القليل الذى لا يسكر من النبيذ المستخرج من غير العنب . اتفق الفقهاء على أن شرب الخمر دون إكراه أو اضطرار محرم. قليلها أو كثيرها واختلفوا فى المسكرات من غير الخمر فقال الأئمة الثلاثة مالك وأحمد والشافعى حكمها حكم الخمر فى تحريم الخمر وفى تحريم القليل والكثير سواء أسكر أم لم يسكر وقال فقهاء العراق وأبو حنيفة وأصحابه المحرم منها هو السكر واحتج أهل الحجاز بحجج منها ما أخرج مسلم عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر وكل خمر حرام . وماروى مالك عن ابن شهاب عن أبى سلمه بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع ، فقال : كل شراب أسكر فهو حرام . واحتج أهل الحجاز باللغة أيضا فقالوا معلوم فى اللغة أن الخمر إنما سميت خمراً لمخامرتها العقل فوجب لذلك أن يتعلق اسم الخمر لغة على كل ما خامر العقل وقالوا إن لم يسلم النظر لغة على كل الانبذة تسمى خمراً شرعا واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وبما روى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة وما روى أيضا عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من العنب خمراً وإن من العسل خمراً ومن الزبيب خمرا وأنا أنهاكم عن كل مسكر .

وأما أهل العراق فيحتجون بحجج أهمها أنهم يستدلون على رأيهم بالآية الكريمة والأحاديث الشريفة الآتية :

أ ـــ استدلوا بظاهر قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) وقالوا السكر هو المسكر ولو كان محرم العين لما سماه الله رزقا حسنا .

ب ـــ وحديث ابن عون الثقفي عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حرمت الخمر لعينها والسكر من غيرها » وقالوا هذا نص لايحتمل التأويل فضعفه أهل الحجاز لأن بعض رواته روى والمسكر من غيرها .

جـ ـــ ماروى عن ابن مسعود إنه قال شهدت تحريم النبيذ كما شهدتم ثم شهدت عليكم فحفظت وروى عن أبي موسى قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذا إلى اليمن فقلت يارسول الله إن بها شرابين يصنعان من البر والشعير أحدهما يقال له المزر والآخر يقال له البتع فما نشرب فقال عليه الصلاة والسلام اشربا ولا تسكرا .

ومن الحجج اللغوية قالوا : إن الخمر اسم للنيىء من ماء العنب المسكر باتفاق أهل اللغة وتسمية غيرها خمراً مجازا وعليه يحمل الحديث (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) وإنما سميت خمراً لامخامرتها العقل بل لتخمرها ، كما يقولون : نص القرآن أن علة التحريم فى الخمر إنما هى الصد عن ذكر الله ووقوع العداوة والبغضاء وهذه العلة توجد فى القدر المسكر لافيما دون ذلك فوجب أن يكون ذلك القدر هو الحرام إلا ما انعقد عليه الإجماع فى تحريم قليل الخمر وغيرها ومع هذا فقد قال أبو حنيفة (لو أعطيت الدنيا بحذافيرها لا أفتى بحرمته لأن فيه تفسيق

بعض الصحابة ، لو أعطيت الدنيا بحذافيرها ما شربته لأنه لا ضرورة فيه »(١) .

وقد كان تحليل أبي حنيفة لشرب النبيذ أثر كبير في جميع الأوساط ويحكى أن رجلا بالكوفة وضع على باب المسجد نبيذا بين يديه وجعل ينادى من يشترى رطلا بدرهم بتحليل أبى حنيفة فقال أبو حنيفة يارجل إنك فعلت قبيحا فقال الست حللت قال صدقت ومن الحلال أن تجامع امرأتك ولو استشهدتها الجامع وجامعتها لاستقبح ذلك »(٢) .

عقوبة شارب الخمر :

روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب فى الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر أربعين وفى موطأ مالك (٣) عن ثور بن زيد أن عمر بن الخطاب استشار فى الخمر يشربها الرجل فقال له على بن أبى طالب نرى أن يجلد ثمانين فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى فجلد عمر فى الخمر ثمانين . ورأى الامام مالك نراه مثلا ماذكره الامام محمد بن أبى زيد القيروانى فى رسالته عن فقه الامام مالك « ومن شرب خمراً أو نبيذا مسكرا حد ثمانين سكر أو لم يسكر ولاسجن عليه ويجرد المحدود ولا تجرد المرأة إلا مما يقيها الضرب ويجلدان قاعدين ولا تحد حامل حتى تضع ولامريض مثقل حتى يبرأ »(٤) .

---

(١) الحدود فى الإسلام أحمد بهنسى ص ٣٤

(٢) الاتجاهات الشعرية فى القرن الثانى الهجرى د. محمد مصطفى هدارة ص ٤٧٦

(٣) موطأ مالك الجزء الاول طبعة الشعب ص ٢٤

(٤) شرح رسالة الامام محمد بن أبى زيد القيروانى للشرنوبي ص ١٩٢

أما الأمام الشافعى فيذكر ابن الحسين بن أحمد الأصفهانى الشافعى فى متن الغاية والتقريب رأيه ومن « شرب خمراً أو شراباً مسكراً يحد أربعين ويجوز أن يبلغ به ثمانين على وجه التعزير ويجب عليه أحد امرين بالبينة أو الأقرار ولا يحد بالقيء والاستنكاه » . (١)

بعد هذا التفصيل هل كان ابن دريد يشرب الخمر على مذهب أهل العراق أم إنها كانت تهمة ملفقة ضده وهل يسقط من قدره وينقص من علمه إذا لصقت به تهمة شرب الخمر ؟

إن عالما قديرا مثل هذا الرجل لايجوز أن ننقص من قدره لهذه التهمة التى اختلف فيها قبل عمره بوقت طويل وكان كثيراً مايتمثل :

فواحزنى أن لاحياة لذيذة ولاعمل يرضى به الله صالح

وثمة أدلة تشفع له وتسقط عنه التهمة فقد ذكر السيوطى (٢) فى بغية الوعاة أنه تاب عن شرب الخمر فى آخر أيام حياته ودليل آخر وهو أن الدارقطنى وهو الذى قال عن ابن دريد (تكلموا فيه) قريب العهد جداً من ابن دريد فقد توفى عام ٣٨٥هـ فكيف يجوز له أن يقول « تكلموا فيه » وهذا الرجل العالم (ابن دريد) الذى أخرج لنا جمهرة اللغة والاشتقاق والمقصورة وجمع لنا تراثا عربيا الا يشفع له علمه وقوة حفظه من إسقاط تلك التهمة .

رجوعه إلى بغداد وإقامته بها :

كان ابن دريد فى البصرة يتلقى العلم بها وعام ٢٥٧هـ دخل الزنج البصرة

---

(١) متن الغاية والتقريب لابن الحسين الاصفهانى الشافعى ص ٣٤

(٢) بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٠

فانتقل ابن دريد إلى عمان وطلبه عبد الله بن ميكال لتأديب ابنه أبو العباس وصنع لهما كتاب الجمهرة ومدحهما بالمقصورة وقلده ديوان فارس وكانت تصدر الكتب عن رأيه ولا ينفذ أمر الابعد توقيعه . وجلب له ذلك أموالا كثيرة وانتقل ابن دريد من فارس إلى بغداد ووصلها عام ثمان وثلاثمائة ولما وصلها انزله على بن محمد الجوارى فى جواره وأفضل عليه وعرف الأمام المقتدر بالله خبره ومكانته فى العلم فأمر أن يجرى عليه خمسين دينارا كل شهر ولم تزل جارية حتى مات فمضى عمره الباقى فى السعة والخفض .

مرضه :

أصاب ابن دريد الفالج وهو فى التسعين من عمره وسقى له الترياقى فبرىء منه وشفى وعاد إلى حياته العلمية يملى على تلاميذه ويسمع منهم ثم عاوده الفالج بعد عام لغـــذاء ضار تناوله وكان يحرك يديه حركة ضعيفة وكان إذا دخل عليه أحد خرج وتألم لدخوله .

قال تلميذه أبو على القالى « وكان يصيح لذلك صياح من يمشى عليه أو يسل بالمسال والداخل بعيد عنه وكان مع هذه الحال ثابت الذهن كامل العقل يرد فيما يسأل عنه ردا صحيحا وعاش بعد ذلك عامين وكنت أسأله عن شكوكى فى اللغة بهذه الحال فيرد بأسرع من النفس بالصدر » .. (١)

موته ودفنه :

يتفق المؤرخون على سنة وفاته وهى عام ٣٢١ هـ ولكنهم يختلفون فى الشهر

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ١ ص٤٩٩

الذي مات فيه والمقبرة التي دفن فيها . فبينما نجد ابن خلكان(١) وابن الانبارى(٢) وأبو الفداء (٣) يتفقون أنه مات فى شعبان عام ٣٢١هـ — نجد ياقوت الحموى يقرر أنه مات لثنتى عشرة ليلة بقيت من رمضان ، ويختلفون فى المقبرة التى دفن فيها . يتفق معظم المؤرخين على أنه دفن فى مقبرة الخيزران واختار ابن خلكان (٤) والمرزبانى (٥) أنه دفن فى المقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقى فى ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم ، وينفرد جلال الدين السيوطى فى المزهر (٦) بقوله أنه مات بعمان وما جاء أيضا فيه أنه مات عام ٣١١ فخطأ ومات ابن دريد ومات فى نفس اليوم أبو هاشم الجبائى وكان من المعتزلة فقال الناس « اليوم مات علم اللغة والكلام » بموت ابن دريد والجبائى .

مراثيه :

رثى ابن دريد جحظه (٧) البرمكى بقوله :

فقدت بابن دريد كل منفعة — لما غدا ثالث الأحجار والترب
قد كنت أبكى لفقد الجود آونة — فصرت أبكى لفقد الجود والادب

---

(١) نفس المصدر السابق جـ١ ص ٥١
(٢) أبناه الرواة على أنباه النحاه للقفطى جـ٣ ص ٩٣
(٣) تاريخ أبو الفدا الجزء الاول ص ٢٥
(٤) وفيات الأعيان لابن خكان جـ١ ص ٥٠٢
(٥) معجم الشعراء المرزبانى ص ٤٦٢
(٦) المزهر للسيوطى جـ٢ ص ٢٨١
(٧) بغية الوعاه للسيوطى ص ٣٠

وذكر أبو على القالى فى نهاية ذيل الامالى والنوادر (١) قصيدة طويلة بلغت (٤٢) بيتا لبعض البغداديين يرثى بها ابن دريد أولها :

يلوم على فرط الاسى ويفند ... خلى من الوجد الذى يتجدد
ويكبر أن ينهل دمع أراقه ... تضرم نار فى الحشا ليس تخمد

ومنها :

عليك (أبا بكر) سلام ورحمة ... بها فى جنان الخلد أنت مخلد
وجاز ثرى ضمنته كل وابل ... من المزن دكان يراح ويرعد

ويقول فيها أيضا

تسير بسر الأنجم الزهر كلما ... خبا ضوء شعر أشرفت تتوقد
لانشرت بالعلم الخليل فخلتنا ... نشاهده أن ضمنا منك مشهد
وجالستنا بالاصمعى ومعمر ... واوجدتنا مالم يكن قبل يوجد

ويختمعها بقوله

مضى (ابن دريد) ثم خلد بعده ... سرائر أمثال تغور وتنجد
بدائع من نظم ونثر كأنها ... عقود زهاها درها حين تعضد

تلاميذه :

استطاع ابن دريد بمجالسه العلمية الرائعة أن يكون مدرسة أثرت المكتبة العربية بمصنفاتها وكان له تلاميذ لهم شأن كبير فى اللغة والنحو والادب وكان منهم أمراء ووزراء مثل أبى العباس اسماعيل بن محمد بن ميكال المتوفى عام

---

(١) ذيل الامالى والنوادر لابى على القالى ص ٢٣١

٣٦٣ هـ وأبى على ابن مقلة الكاتب الوزير والسيرافى وابن على الفارسى نحويان وكان منهم نقاد مثل الآمدى وأدباء مثل أبى على القالى وابى الفرج الاصفهانى ومؤرخون مثل المسعودى .

أما تلميذه (١) أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال فهو تلميذ من نوع خاص فقد كان ابن دريد مؤدبا له فقد استدعاه والده عبد الله بن محمد وكان الخليفة المقتدر بالله قد قلده الأعمال بكور الاهواز واستطاع ابن دريد أن يكون ذائع الصيت بين ابنى ميكال . وقد صنع لهما كتاب الجمهرة ومدحهما بالمقصورة فوصلاه بعشرة آلاف درهم وقلداه ديوان فارس ومن مدحه لابنى ميكال فى المقصورة .

ان العراق لم أفارق أهله   عن شنأ أصدنى ولاقلى
ان كنت أبصرت لهم من بعدهم   مثلا فأغضيت على وخز السفا
حاشا الاميرين اللذين أوفدا   على ظلا من نعيم قد ضفا

ذكر ابن الانبارى فى أنباه الرواة عن اسماعيل بن ميكال « ذكره الحافظ أبو عبد الله فى تاريخ نيسابور فقال : أبو العباس الأديب الشريف شيخ خراسان ووجيهها وعينها فى عصره » (١) وذكره ياقوت فى عدة مواضع منها (٢) « وكان شيخ خراسان ووجيهها فى عصره سمع فى نيسابور من ابن خريمة ومحمد بن اسحق السراج وأبا العباس أحمد بن محمد الماسرجى » وذكره فى التاريخ فقال « ولد أبو العباس بنيسابور ، فلما قلد أمير المؤمنين المقتدر بالله أباه عبد الله بن محمد للأعمال بكور الاهواز حمل إلى حضرة أبيه فاستدعى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد لتأديبه فأجيب إليه إيجابا له . » (٣)

---

(١) أنباه النحاه لابن الانبارى حـ ٢ ص ١٦٠
(٢) و(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموى حـ ٧ ص ٥

ولما مات عبد الله والده لم يقبل إسماعيل أن يكون عاملا بفارس ورجع إلى خراسان ونيسابور وربما رافق ابن دريد أبو العباس الميكالى فى عودته لكن هذا لا تذكره كتب الطبقات وبقى معه مفكراً أين تكون أقامته فانصرف ابن دريد بعد ذلك إلى بغداد وسار أبو العباس إلى أحمد ابن إسماعيل السامانى ومات عام ٦٢ ه بنيسابور وهو ابن اثنتان وتسعون عاما .

(٣) أبو على القالى :

وهو إسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون القالى البغدادى ولد فى أرمينية عام ٢٨٨ه ورحل إلى بغداد طلبا للعلم عام ٣٠٥ه وأقام بها عام ٣٢٨ه ورحل عنها إلى الاندلس عام ٣٣٠ه ودخل قرطبة واستوطنها وأملى كتابه الأمالى بها وسبب شهرته بالقالى راجع إلى إنحداره إلى بغداد مع رفقة من قالى قلا وقد اشتهر فى الأندلس بالبغدادى وتلمذ لأبى بكر بن دريد وقد روى أكثر كتابه البديع (الأمالى) عن ابن دريد وهو مصدر هام لأخبار ابن دريد وأحاديثه وشعره وتلمذ أيضا لأبى بكر بن الانبارى ونفطويه والزجاج والأخفش وابن درستويه ويقال عنه أنه كان أحفظ أهل زمانه للغة الشعر ونحو البصريين ومن تلاميذ ابى على القالى أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى والأندلسى صاحب مختصر العين . ولابى على القالى مؤلفات مشهوره أهمها الأمالى التى ذكرنا أنه كان مصدراً لأخبار وأحاديث وشعر ابن دريد وقد جمع فيه مجموعة من القصص والأخبار العربية واليمنية وطرائف لغوية وشعرية . وله معجم (البارع) ولم يسر فيه على طريقة ابن دريد وإنما سار على طريق الخليل وهى الأبجديه الصوتيه .

(٤) ابن خالويه :

وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه وأصله من همذان ولكنه ذهب

إلى بغداد وأدرك العلماء بها ، وأخذ عن جماعة مثل أبي بكر بن الأنباري وأبي عمر الزاهد وقرأ على أبي سعيد السيرافي وخالط المذهبين وتوفى بحلب في خدمة بني حمدان في سبعين وثلثمائة (١) ولابن خالويه كتب أغلبها في النحو منها كتاب الاستقاق وكتاب الجمل في النحو وكتاب القراءات وكتاب إعراب ثلاثين سورة القرآن وكتاب ليس وقد وصلنا هذان الكتابان ولابن خالويه شرح لمقصورة ابن دريد ونقل عنه السيوطي في مزهره كثيراً من شرحه المقصورة .

(٤) أبو سعيد السيرافي النحوي :

وهو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان وكان أبوه مجوسيا يسمى بهزاو فأسلم وتسمى بأسم عبد الله ولد بسيراف عام ٢٨٠ﻫ وابتدأ بطلب العلم بها وأكب على دراسة اللغة والعلوم الدينية ببلدته وفي العشرين من عمره خرج إلى عمان وتفقه على شيوخها ثم تحول إلى بغداد فدرس اللغة على ابن دريد والنحو على ابن السراج والقراءات على أبي بكر ابن مجاهد وتعمق في الفقه واختير قاضيا لبغداد وأجله الناس وكانوا يخاطبونه بإمام المسلمين وشيخ الاسلام وإلى جانب ذلك كان يعنى بالنحو وكان معتزليا وله مع متى بن يونس مناظرة مشهورة وكان موضوعها « النحو والمنطق أيهما أدق في معرفة صحيح الكلام من سقيمه وسديده من مدخوله » وألف في مصنفا شرح شواهد سيبويه . وترجم لنحاة البصرة في كتابه أخبار النحاة البصريين ومن مؤلفاته أيضا كتاب الوقف والابتداء وكتاب صنعة الشعر والبلاغة وقد شرح مقصورة ابن دريد .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١١٠ .

(٥) ابو بكر محمد بن السرى السراج المتوفى عام ٣١٦ هـ :

وكان من تلاميذ المبرد وعكف على دروسه وتزود منه نحواً ولغة وعنى بجانب ذلك بدراسة المنطق والموسيقى وتحول بعد ذلك إلى حلقات الزجاج ثم استقل عنه بحلقة كان يؤمها كثيرون وفى مقدمتهم السيرافى وأبو على الفارسى وعليه قرأ كتاب سيبويه وكان يهتم بعلل النحو ومقاييسه وفيها كتب كتاب الأصول الكبير — انتزعه من كتاب سيبويه وأضاف إليه اضافات طيبة ويقال إنه قسمه على طريقة المنطق . وضم فى كتابه هذا آراء الأخفش الاوسط والكوفيين موازنا ومقارنا وكان ينظم الشعر ويحسنه وله من الكتب أيضا كتاب مجمل الاصول وكتاب الاشتقاق وكتاب احتجاج الفراء وله آراء نحوية وصرفية كثيرة تداولتها كتب النحو التى جاءت بعده ، فجمهور النحويين يرون أن ليس فعل ناقص لاتصالها بالضمائر مثل لست ولستما ولستن — وذهب إبن السراج إلى إنها لا تتصرف مثل عسى ومات عام ٣٠٦ هـ .

(٦) أبو على الفارسى :

وهو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى أبا — أما أمه مغربية ولد فى أرض فارس بالقرب من شيراز عام ٢٨٨ هـ ، وفى عام ٣٠٧ رحل إلى بغداد وعكف على حلقات البصريين مثل ابن السراج والأخفش الصغير والزجاج وابن دريد ونفطويه كما عكف على حلقات البغداديين الاولين وخاصة حلقات ابن الخياط وشغف بحلقة أبى بكر بن مجاهد تلميذ ثعلب ويقال إنه كان يعتنق مذهب المعتزلة وتفرغ بعد للتدريس والإملاء فى مساجد بغداد مبكراً وكان يعلم الطلاب فى عسكر مكرم وبعض مدن الموصل ويصل حلب عام ٣٤١ هـ ومعه ابن جنى تلميذه الذى شغف به حبا — ولكنه يتحول إلى بعض مدن الشام

ويعود إلى بغداد عام ٣٤٦ ويستدعيه إلى شيراز عضد الدولة البويهى ليأخذ عنه وبعض أفراد اسرته ويفتخر عضد الدولة بذلك حتى إنه يقول أنه غلامه ويظل عنده حتى يعود إلى بغداد وظل بها إلى وفاته عام ٣٧٧ هـ .

هؤلاء هم أهم التلاميذ اللغويين والنحويين ، ومن النقاد برز من تلاميذ ابن دريد :

(٧) أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى المتوفى عام ٣٧٠ هـ .

ولد بالبصرة ولكنه قدم إلى بغداد يحمل عن الأخفش والحامض والزجاج وابن دريد وغيرهم اللغة والنحو وروى الاخبار فى آخر عمره وكان الامدى شاعراً أيضا وله شعر جميل . وكان أديبا أيضا محيط بالادب العربى احاطة تكاد تكون تامة ومن أشهر كتبه النقدية كتابه الموازنة بين البحترى وأبى تمام واختار لنفسه الإنصاف فهو لايقبل شيئا بغير بينة ولايقيم حكما بغير دليل وأما وسائله المعرفة ثم الذوق وكان يعلم شيئا من العلوم الفلسفية المستحدثة .

ومن مشاهير تلاميذ ابن دريد أبو الفرج الاصفهانى صاحب كتاب الاغانى وكان شاعراً مصنفا أديبا « وله رواية يسيرة وأكثر تعويله كان فى تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الاصول الجياد » (١)، وأشهر كتبه كتاب الاغانى وهو من أفضل الكتب التى تتحدث عن أشعار العرب وأخبار الشعراء رغم مايتهمه بعض الباحثين فى روايته (٢)

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٧٢

(٢) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى دكتور زكى مبارك جـ ٢ ص ١٢٣

ومن تلاميذ ابن دريد من المؤرخين أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى وكتابه العظيم مروج الذهب ومعادن الجوهر ، من أهم الكتب التى تؤرخ للخلافة العباسية بطريقة السنين ويمتاز بوصف للحياة الاجتماعية فى ذلك العصر وله كتب أخرى أهمها كتاب ذخائر العلوم وكتاب الاستذكار

ومن تلاميذ ابن دريد الوزير أبو على محمد بن على بن مقلة المتوفى عام ٣٢٨ ه وكان وزيراً للقاهرة بالله استوزره عام ٣٢١ ه ثم عزله وكان وزيراً للراضى وكان كاتبا جوادا وينسب إليه أنه الذى عرب الخط الكوفى إلى الطريقة العربية وكانت الكتابة العربية أولا حميرية متداولة فى اليمن وغيرها ثم نقلت إلى الكوفة واستعملها الناس فلما بعث النبى ﷺ استمر الناس يكتبون بهذا القلم ، وهو طريقة كتابة المصحف العثمانى وفى القرن الثانى الهجرى استعصى الناس الطريقة العربية بسهولتها وحادوا عنها عن الخط الكوفى وبعد ذلك ظهر ابن مقلة فنقل الخط إلى العربية ولم يترك منه شيئا يشابه الكوفى .

وكان ابن مقلة قد اتفق مع الجند واجتمعوا فجاءوا إلى دار الخليفة القاهر وهجموا عليه من سائر الابواب فهرب إلى سطح حمام فاستتر فيه فأتوا بابه وقبضوا عليه وحبسوه وخلعوه من الخلافة وسمروا عينيه بمسمار محمى حتى سالت على خديه وهو أول خليفة سمرت عيناه وذلك فى جمادى الاخرة عام ٣٢٢ ه .

ويضاف إلى تلاميذ ابن دريد غلام ابن دريد وكان يداوم على خدمته وملازمته طالبه وهو أبو الحسين على بن أحمد وكان لثعلب غلام أيضا وكان لابن دريد وراقين منهم أبو الحسن على بن احمد الدريدى واليه صارت كتبه بعد موته وأبو يعقوب اسحاق ابراهيم ابن الجنيد وقد روى عن ابن دريد ابو القاسم عمر بن محمد سعيف كتاب النبات للاصمعى ، ويضاف إلى تلاميذ ابن دريد

المرزبانى صاحب معجم الشعراء وأبو الفتح عبد الله بن أحمد بن محمد المعروف بجحجح ويقال أن نسخة الجمهرة التى احتلها أصح النسخ .

مصنفاته :

١ — جمهرة اللغة : وأملاها حفظا وكتبها لابنى ميكال ويعتبر ابن دريد بهذا المعجم ذا سبق عظيم فى الترتيب الابجدى وقد خصصنا له فصلا خاصا .

٢ — كتاب الاشتقاق وسماه ياقوت والسيوطى اشتقاق أسماء القبائل

٣ — كتاب المجتبى : وهى مجموعة مختارة من كلام النبى صلى الله عليه وسلم المأثورة حكما وأقوالا ومن كلام أبى بكر - رضى الله عنه - وعمر وعثمان وعلى ويمتاز الكتاب باختيار مجموعة كبيرة من كلام نحو عشرين فيلسوفا من فلاسفة اليونان من أمثال سقراط وأرسطاليس .

٤ — كتاب الملاحن :وهو كتاب يبين فيه طريقة استعمال اللفظ بمعنى آخر

٥ — كتاب صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث :وهو من الرسائل اللغوية السابقة والممهدة لتطور المعاجم وقد طبعه وليم زايت ضمن مجموعة جزرة الحاطب وتحفة الطالب .

٦ — كتاب اخبار ابن دريد : وهو مخطوط - كتب مخطوطه المرحوم الشنقيطى - ويوجد بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية تحت رقم ١٠ م

٧ — كتاب أدب الكاتب ولم يجرده من المسودة

٨ — كتاب الامالى : ونقل عنه السيوطى فى المزهر

٩ — كتاب الأنباز وقد فقد

١٠ — البنين والبنات « «

١١ — تقويم اللسان وقد فقد
١٢ — التوسط » »
١٣ — الخيل الصغير والخيل الكبير وقد فقد
١٤ — السلاح وقد فقد
١٥ — غريب القران واجمعت المراجع على أن ابن دريد لم يتمه
١٦ — كتاب فعلت وأفعلت
١٧ — كتاب اللغات فى القرآن ـ وربما كان هو كتاب غريب القرآن
١٨ — كتاب ماسئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا
١٩ — كتاب المتناهى فى اللغة
٢٠ — كتاب المطر
٢١ — كتاب المقتبس ، وكتاب المقتنى ، وكتاب الوشاح

ونقل عنه السيوطى ومحمود بن عمر البغدادى فى خزانة الأدب ويضاف إلى ذلك ديوانه والمقصورة .

هذه هى حياة ابن دريد ، ولد بالبصرة وبها تعلم على أساتذة اللغة فى عصره مثل الأشناندانى وقد روى عنه كتاب معانى الشعر والرياشى والتوزى وأبو حاتم السجستانى ، وكانت أسرته من عمان وينسب إلى قبيلة الازد . وكانت عاطفته طوال حياته مع قومه فى عمان نشهد هذا فى شعره وفى أحاديثه التى رواها عنه تلميذه الخاص أبو على القالى . وفى البصرة أصبح لابن دريد حلقة وتلاميذ وأعداء وأحباء وفى شخصيته العلمية نراه يتحرى الدقة فى الروايات اللغوية ويهاجمه د . زكى مبارك فى عدم تحرى الدقة فى الأحاديث التى يرويها عن الاعرب أو أقيال اليمن . ونراه يشتهر بشدة الحفظ وقد لاحظنا ذلك على شخصه مبكرا وفى حادثة حفظه ديوان

الحارث بن حلزه - ساعة غداء - ومانجده فى املائه الجمهرة من حفظه عدة مرات ومن عنوان كتابه ماسئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا ، وفى شعره نجد لمحات تعبر عن خبرة بالحياة وانصراف عن ملذاتها ، ويمتلىء شعره وخاصة مقصورته بحكم الحياة مع شىء من الفخر . ويستطيع شعره أن يحدد لنا نفسية ابن دريد التى لم تستطع أن تحقق ماتصبو اليه ، ولكنه لم ينتقص من قدر العلماء ولم يكن بادئا بالعدوان فقد رد على نفطويه بعد أن هاجمه واعترف للخليل بن أحمد بفضل السبق عليه فى (العين) . وفى شخصيته العاديه نجده كريما سخيا طريفا ولكنه يتهم بشرب الخمر ويحاول أعداؤه أن يتخذوا من هذه التهمة وسيلة للنيل من علمه والاستهانة به لكنهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلا وقد توفى ابن دريد وترك مدرسة من تلاميذه المخلصين تنوعت فصولها فمنها العالم اللغوى مثل أبى على القالى الذى قدم الينا (البارع) ومنهم الراوية الاديب مثل الاصفهانى صاحب الأغانى ومنهم الناقد مثل الآمدى والمؤرخ مثل المسعودى وغير ذلك مما يجعلنا نعتز بشخصيته العلمية التى أثرت المكتبة العربيه بكنوز اللغة العربية .

الباب الثاني

الفصل الأول

آثـــــاره



مقدمة

ترك لنا ابن دريد مؤلفات عدا على بعضها الزمن ففقدت وبقى بعضها وكان ذخيرة لطالب العلم فمن الكتب التى وصلتنا جمهرة اللغة وقد خصصنا فصلا له وكتاب الاشتقاق ، والمجتنى والملاحن ، ومن شعره الذى وصلنا ديوانه المطبوع ومقصورته الشهيرة وشروحها الكثيرة ، وشعر متناثر هنا وهناك فى بعض كتب الأدب والامالى وقد حاولت أن أجمع بعضا من نصوص الكتب المفقودة التى جمعها لنا السيوطى فى « المزهر » من كتاب الامالى لابن دريد وكتاب الوشاح لابن دريد . وهناك كتب لم يتمها مثل غريب القرآن وقد أجمعت المصادر التاريخية أنه لم يتمه .

وهناك كتاب اختلفت المصادر فى اسمه وحرف فى بعض كتب الطبقات وهو كتاب « صفة السرج واللجام » وصفة السحاب والغيث . فيذكر أحيانا باسم رواة العرب وزوار العرب ورواد العرب والمطر وقد طبع الكتاب فى ليدن بأشراف وليم رايت مع مجموعة باسم « مجموعة جرزة الحاطب وتحفة الطالب » ، وقد قسمه الناشر إلى كتابين أحدهما كتاب صفة السرج واللجام والآخر صفة السحاب والغيث وأخبار الرواد وما حمدوا من الكلأ ، ومعه كتاب تلقيب القوافى لابن كيسان ومقطعات مراث لبعض العرب .

ونلاحظ أن المستشرقين أهتموا اهتماما كبيراً بكتب ابن دريد وكان ف . كرنكو قد نشر الجمهرة وتحدث عن ابن دريد فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكيه عن بواكير المعاجم العربية ، ونشر فرناند وستنفلد كتاب الاشتقاق عام ١٨٥٤ م ووليم رايت نشر لنا صفة السرج واللجام وطبعت أكثر كتب ابن دريد بالهند مثل الجمهرة وسنبدأ حديثنا بكتاب الاشتقاق .

(١) كتاب الاشتقاق :

وهو أهم كتبه بعد الجمهرة ويسمى كتاب الاشتقاق عند أغلب كتب الطبقات فيما عدا الأزهرى فى مقدمة التهذيب ويسميه كتاب اشتقاق الأسماء ، وياقوت الحموى يسميه (كتاب اشتقاق أسماء القبائل) وقد طبع الكتاب وأهم طبعاته جوتنجن عام ١٨٥٤م التى نشرها المستشرق فردناند وستنفلد وطبعة القاهرة التى حققها وشرحها عبد السلام هارون .

أما الاشتقاق فى اللغة فيطلق على معان . قال فى القاموس ، هو أخذ شق الشىء والأخذ فى الكلام وفى الخصومه يمينا وشمالا وأخذ الكلمة من الكلمة وفى الاصطلاح أخذ كلمة من كلمه أو أكثر مع تناسب بينها فى اللفظ والمعنى .

ويرى محمد صديق خان أن الاشتقاق فى اللغة يختلف عن الاشتقاق فى الصرف حيث قال « وعلم الاشتقاق هو علم باحث عن كيفية خروج الكلام بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالاصالة والفرعية باعتبار جوهرها والقيد الاخير يخرج علم الصرف إذ يبحث فيه أيضا عن الاصالة والفرعية بين الكلمة لكن لا بحسب الجوهريه بل بحسب الهيئة (١) .

ويقسم ابن جنى فى الخصائص الاشتقاق نوعين : صغير أو أصغر وكبير أو أكبر، يسمى كلا منها قسمين فالصغير كأن تأخذ أصلا من الاصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه وذلك كتركيب (س ل م) فانك تأخذ منه السلامة فى تصرفه ، نحو سلم ويسلم وسالم ، وسلمان ، وسلمى ، والسلامة (٢) .

---

(١) العلم الخفاق من علم الاشتقاق تاليف محمد صديق خان ص ٣ .

(٢) الخصائص لابن جنى ح ٢ تحقيق محمد النجار ص ٣٣ .

وأما الاشتقاق الاكبر « فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة. وما يتصرف من كل واحد منها عليه وان تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعه والتأويل إليه ومن ذلك تراكيب (ك ل م) وتقاليبها ك م ل — م ل ك ، م ل — ك — ل ك م — ل م ك — (١).

ويعقب على ذلك الامام السيوطى فى المزهر حيث يقول : « وهذا مما ابتدعه الامام أبو الفتح ابن جنى » (٢)

ونعتقد أن السيوطى يعنى أن الفضل له فى التقليب وممن ذهب إلى ذلك الدكتور عبده الراجحى فى كتابه اللغة فى الكتب العربية حيث يقول « ومع أن السيوطى يذكر أن هذا النوع من الاشتقاق مما ابتدعه أبو الفتح فإن مفهوم كلام ابن جنى أنه ليس من ابتداعه وإنما له فضل التلقيب فقط فقد اعتمد عليه الخليل كما ذكرنا (٣).

وكتب آدم متز عن الاشتقاق فقال « وكذلك ظهرت فى القرن الرابع دراسة جدية للاشتقاق اللغوى وبقيت عصراً طويلا وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جنى الموصلى ، وهو الذى ينسب إليه ابتداع بحث جديد فى علم اللغة ، وهو المسمى الاشتقاق الاكبر وهو البحث الذي لايزال يؤتى ثمره إلى اليوم (٤).

---

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٣

(٢) المزهر للسيوطى ج١ ص ٣٤٧

(٣) فقه اللغة فى الكتب العربية د . عبده الراجحى ص ١٦٥

(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع : آدم متز ص ٣٣٠

ونجد اختلاطا بين المصادر فى تعريف الاشتقاق الصغير أو الأصغر والكبير أو الأكبر فهذا هو السيوطى يقول عن الاشتقاق الأكبر فى المزهر نقلا عما ذكره الزجاج فى كتابه « قال قولهم شجرت فلانا بالرمح — تأويله جعلته كالغصن فى الشجرة وقولهم للحلقوم وما يتصل به شجر لأنه مع مايتصل به كأغصان الشجرة وتشاجر القوم، إنما تأويله اختلفوا كاختلاف أغصان الشجرة فكل ماتفرع من هذا الباب فأصله الشجر »(١)

ويسمى عبد القادر بن مصطفى المغربى الاشتقاق الكبير القلب فقال « وهو أن يكون بين اللفظين تناسب فى اللفظ والمعنى دون الترتيب مثل فعل جبذ المشتق من مادة الجذب » ويسمى الاشتقاق الأكـــبر بالإبدال « وهو أن يكون بين اللفظين تناسب فى المعنى والمخرج نحو نعق ونهق (٢) » . وقد كتب عبد الله أدين عن الاشتقاق وقسمه إلى أربعة أقسام :

الأول : الصغير وهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير فى الصيغة مع تشابه بينهما فى المعنى واتفاق فى الحروف الأصيلة وفى ترتيبها مثل المجرد والمزيد من الأفعال والأسمـــاء والجمل والاشتقاق فى الأفعال واشتقاق المشتقات السبعة المشهورة .

الثانى : الكبير ويقصد به انتزاع كلمة من أخرى بتغيير فى بعض أحرفها مع تشابه بينهما فى المعنى وذلك نحو جفا وجذا وبعثر وبحثر .

الثالث : الكبار وهو عند ابن جنى الكبير أو الأكبر .

---

(١) المزهر للسيوطى ج ١ ص ٣٤٦ .

(٢) الاشتقاق والتعريب عبد القادر المغربى ص ١٠

الرابع : الكبار وهو المعروف عند اللغويين بالنحت كالدمعزة من دام عزك (١) .

وكتب ج فندريس فى كتابه «اللغة» عن الاشتقاق فقال : « وتنحصر فى أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتقلبيات التى مرت بها » ثم يرى رأيا فى الاشتقاق فيقول «ولكن الاشتقاق يعطى فكرة زائفة عن طبيعة المفردات لأن كل ما يعنى به هو أن يبين كيف تكونت المفردات » . (٢)

وقد اقترح باحث حديث هـ (حامد عبدالقادر) تسمية الاشتقاق بأنواع : قال « قد يكون من الممكن أن نسمى قد من قط مثلا اشتقاقا أول أوليا وأن نسمى اشتقاق قطع من قط اشتقاقا كبيرا كما يرى ابن جنى ومن تبعه وان نسمى اشتقاق قطع مثلا من قطع اشتقاقا صغيرا وأن نسمى اشتقاق نحو مقطع من قطع اشتقاقا أصغر » . (٣)

وقد كتب عن الاشتقاق جلة من اللغويين والنحويين ذكر السيوطى معظمهم وابن النديم فى الفهرست ، منهم الفضل الضبى المتوفى عام ١٦٨ هـ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ هـ والاصمعى المتوفى عام ٢١٥هـ والأخفش الأوسط المتوفى عام ٢١٥هـ وأبو نصر أحمد بن حاتم الباهلى المتوفى عام ٢٣١هـ والمبرد المتوفى عام ٢٨٥ ، والزجاج المتوفى عام ٣١٦ هـ وابن النحاس المتوفى عام ٣٣٨هـ وابن درستويه

---

(١) الاشتقاق : عبد الله أمين - مقدمة الكتاب - ص ٣ ، ٤ .

(٢) اللغة : ج . فندريس ترجمة الدواخلى والقصاص ص ٢٢٦

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ١١ ص ١٠٤ (سنة ١٩٥٩م) .

المتوفى عام ٣٤٧ ﻫ وابن خالويه المتوفى عام ٣٧٠ ﻫ والرمانى المتوفى عام ٣٨٤ﻫ ، والزجاجى المتوفى عام ٤١٥ ﻫ .

ونستطيع أن نضيف كتاب مقاييس اللغة لابن فارس إلى كتب الاشتقاق وهو معجم يتناول معظم مواد تلك اللغة فى ضوء الاشتقاق . وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى عام ٦٢١ﻫ . وأما كتب الاشتقاق المستحدثة فأهمها العلم الخفاق من علم الاشتقاق لمحمـــد صديق خان المتوفى عام ١٣٠٧ﻫ ، والاشتقاق والتعريب لعبد القادر بن مصطفى المغربى عام ١٢٧٦ﻫ وكتاب الاشتقاق لعبد الله أمين .

وكتاب الاشتقاق لابن دريد لايبحث فى الاشتقاق بعـــامة ولكنه يبحث فى الأعلام واشتقاقها وأسماء القبائل واشتقاقها ولانعدمه يهتم بقبائل من اليمن — أبناء جلدته — وهو يبسط القول فى المادة اللغوية التى اشتقت منها الأسماء ويفسر الآثار الدينية والأدبية التى تتصل بمراداها . ويبين أنساب قبائل العرب وبطونها وأفخاذها وقد عده محمد عبد المنعم خفاجى « أول كتاب من نوعه فى متن اللغة يحلل الاعلام ويشرح أصول اشتقاقها وأسماء المتشابه منها (١) غير أن وستنفلد فى مقدمة الاشتقاق يقول « الفكرة الرئيسية عند ابن دريد كما ذكر هى اشتقاق الاعلام لامعرفة الأنساب ومن المعروف أن علم الاشتقاق من نقط الضعف فى تاريخ الثقافة العربية لان الاشتقاق يتطلب الاطلاع على مختلف اللغات المتقاربة حتى تفهم مكانة الكلمة لغويا وعلاقاتها بغيرها ومع ذلك لم تهتم أمة اهتمام العرب بلغتها لذلك نرى أن بعض الشرح وتفسير الاعلام لايطمئن إليه » (٢)

---

(١) فصيح ثعلب والشروح التى عليه نشر محمد عبد المنعم خفاجى ص ٢١١

(٢) مقدمة الاشتقاق طبعة جوتنجن نشر وستنفلد ١٨٥٤م

سبب تأليف الكتاب :

دفعت الغيرة العربية أن يرد على الشعوبية ونحوهم بعض مطاعنهم على العرب وتترك ابن دريد يتحدث عن سبب تأليف الكتاب يقول فى المقدمة : « وكان الذى حدانا على إنشاء هذا الكتاب أن قوما ممن يطعن على اللسان العربى وينسب أهله إلى التسمية بما لا أصل له فى لغتهم وإلى ادعاء مالم تقع عليه اصطلاح من ولدتهم وعدوا أسماء جهلوا اشتقاقها ولم ينفذ علمهم فى الفحص عنها فعارضوا بالإنكار ». ويقول أيضا : « كان الاميون من العرب الذين نسخ الله عز وجل بدينه الذى اختصهم به النحل وختم بملكهم الدنيا إلى انقضاء الاجل وهداهم لأفضل الملل فى جاهليتهم الجهلاء وضلالتهم العمياء لهم مذاهب فى أسماء أبنائهم وعبيدهم واتلادهم فاستشنع قوم إما جهلا وإما تجاهلا تسميتهم كلبا وكليبا وأكلب ، وخنزيرا وقردا ، وماأشبه ذلك مما لم يستقص ذكره فطعنوا من حيث لا يجب الطعن وعابوا من حيث لا يستنبط عيب » (١) فابن دريد يرى أن يبين لهؤلاء القوم مذهب العرب فى هذه التسمية مبينا أسبابها معرجا فى ذلك على الاشتقاق. وذكر ابن دريد أن السجستانى قال : قيل للعتبى ما بال العرب سمت أبناءها بالأسماء المستشنعة وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة فقال لأنها سميت أبناءها لأعدائها وسمت عبيدها لأنفسها ويرى ابن دريد أن أجابة العتبى تحتاج إلى شرح يوضحها الاشتقاق .

وكانت الشعوبية قد ظهرت فى العصر الأموى — وقد أرهق الأمويون الموالى بكثرة الضرائب ولم يسووا بينهم وبين العرب فى الحقوق — وكانت العصبيات القبلية قد ظهرت بعد حرب صفين ، وأخذ فريق منهم يفخر بحضارته الا ا سية

---

(١) مقدمة كتاب الاشتقاق نشر عبد السلام هارون ص ٣ .

تارة و يمثلهم إسماعيل بن يسار النسائي (١) ، وكان يفاخر العرب بحضارة أمته الفارسية وملوكها الساسانيين الذين غلبوا على الأرض ، والتف هؤلاء حول أبى مسلم الخراساني الذى مالبث أن استولى على الخلافة وقامت الدولة العباسية واستطاع الفرس أن تكون لهم مكانة فى الدولة العباسية وخاصة حين استولى البرامكة على زمام الحكم فى عهد الرشيد وبنو سهل فى عهد المأمون ،وكانت نزعة الشعوبية تقوم على مفاخرة تلك الشعوب وخاصة الفارسى للعرب مفاخرة مستمدة من الحضارة وماكان العرب فيه من بداوة وحياة خشنة غليظة ، وقد حاول المغالون منهم الإزراء من العرب وجعلوهم أدنى مرتبة وهؤلاء هم الشعوبيون الحقيقيون وبرز من الشعوبيين رجال سياسة وشعراء مجان خلعاء اعجبتهم الحضارات الأجنبية وما اقترن بها من خمر واستمتاع بالحياة . وقد طعنوا على العرب أنهم كانوا بدوا رعاة أغنام وإبل ولم يكن لهم ملك ولاحضارة ولامدنية ولامعرفة بالعلوم وقد مضوا يزرون على خطابتهم واعتمادهم فيها على العصى وإشارتهم بها واتكائهم على أطراف القسى كما أزروا على أسلحتهم الساذجة وأطعمتهم الخشنة (٢) ، وحاول الشعوبيون تقبيح تسميتهم الرائعة مثل الكرم ، وحاول البرامكة وآل سهل وآل طاهر بن الحسن أن يشعلوا نار هذه الشعوبية ، ونجد ممن يتهمون بالشعوبية أبا عبيدة اللغوى الاخبارى وكان يهوديا فارسيا ، ثم أسلم وقد حاول تسجيل مثالب العرب وبلغ من فساد رأيه أن طعن فى بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان يرى رأى الخوارج وكان ديوان العربية فى بيته وكان مع ذلك وسخا مدخول

---

(١) الأغاني للاصفهاني ج٤ ص ٤١٠

(٢) العصر العباسى الأول : دكتور شوقى ضيف ص ٧٦

الدين مدخول النسب »(١) .

وأهم شاعر أوقد نيران الشعوبية بشار بن برد ونجده ينسب نفسه من جهة أمه إلى الروم إذ يقول :

وقيصر خالى إذا عددت يوما نسبى (٢)

ونجده بعد قيام الدولة العباسية يتبرأ من العرب وولائهم ناسبا ولاءه إلى الله ذى الجلال يقول :

أصبحت مولى ذى الجلال و بعضهم مولى للعريب فخذ بفضلك فافخر

ورغم ذلك فقد ظلت الروح العربية عالية خفاقة ذلك لأن الخلفاء والولاة والفقهاء والمحدثين وعلماء اللغة ورواة الشعر وقفوا لها بالمرصاد ، وقد رد بعض شعراء العرب على الشعوبية وأصحابها مثل أبى الأصبع الأموى فى قصيدته لعبيد الله بن طاهر حين افتخر فى قصيدة له بنسبه من الفرس وقد رد بعض الموالى أنفسهم على الشعوبية مثل الجاحظ فى البيان والتبيين وابن قتيبة فى رسالته التى سماها كتاب العرب .

كتب ابن دريد إذن كتاب الاشتقاق ليشرح أسماء الرجال والقبائل العربية مبتدئا باسم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليرد على الشعوبية انتقاصها العرب.

منهج الكتاب :

يختلف منهج ابن دريد عمن سبقوه فى كتابته عن الاشتقاق فقد ابتدأ كتابه باشتقاق اسم النبى صلى الله عليه وسلم لغويا ومن سموا باسم محمد فى الجاهلية واشتقاق أسماء آبائه ﷺ وقد سبق ابن دريد فى الحديث عن الأنساب وبخاصة نسب قريش المصعب الزبيرى الذى وصل كتابه إلينا ونشره بروفنسال لكنه لا يتحدث عن اشتقاق الأسماء

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٨٦

(٢) ديوان بشار ج١ ص ٢٧٧

والاعلا وقد بدأ كتابه بولد معد بن عدنان ، ولذا فانا نعتبر غيرة ابن دريد على العربية وحرصه على الحفاظ على الإسلام دفعه أن يبدأ الحديث باسم النبى - صلى الله عليه وسلم - ثم هو يستعرض كل ما لديه من قوة لغوية ليكشف لنا عن ملكة لغوية بارعة وقد كتب الزبير بن بكار المتوفى عام ٢٥٦ هـ جمهرة نسب قريش وإخبارها الذى شرحه وحققه محمود شاكر عام ١٣٨١ هـ وهو لايسير على نظام دقيق فى اتباعه لنسب قريش لذا كان ابن دريد أول من كتب اشتقاقاً الاعلام مع شرحها لغوياً ويضاف إلى ذلك ما تحتاج اليه المادة اللغوية من تفسير دينى من قرآن كريم وحديث نبوى شريف لقد بدأ ابن دريد كتابه بذكر اشتقاق اسم النبى - صلى الله عليه وسلم - ثم اشتقاق أسماء آبائه إلى معد بن عدنان ، حيث انتهى ، صلى الله عليه وسلم - بنسبه ثم قال « كذب النسابون » ولكن ماذا يعنى ابن دريد بقوله « كذب النسابون » أيتهمهم بالكذب فى نسبهم العمودى للرسول صلى الله عليه وسلم إلى اسماعيل أم ماذا يعنى بقوله كذب النسابون وهذه قضية تحتاج إلى تحليل فقد اتفق النسابون على نسب النبى صلى الله عليه وسلم - إلى عدنان وفيما بعد عدنان اسماعيل عليه السلام فيه خلاف كبير، ذكر ذلك ابن اسحاق صاحب السيرة وتابعه ابن هشام أيضا وقد منع بعضهم الرفع فى النسب إلى عدنان . وقد كتب القلقشندى عن هذا الموضوع وعزا قول ابن دريد « كذب النسابون » إلى النبى صلى الله علية وسلم أو الى عبد الله بن مسعود - وقال وهو الصحيح . يقول القلقشندى فى نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب » وقد منع بعضهم الرفع فى النسب إلى عدنان تمسكا بأنه ليس فى ماوراء عدنان إلى آدم طريق صحيح قال القضاعى فى عيون المعارف فى اخبار الخلاف - وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ولاتجاوزا معد بن عدنان كذب النسابون ثم قرأ وقرونا بين

ذلك كثيراً ولو شاء أن يعلم علمه ، والصحيح أنه قول ابن مسعود . (١)

ويتحدث القلقشندى فى موضع آخر من كتابه عن بنى عدنان فيذكر أنها قبيلة من ولد اسماعيل وإنه اختلف فى نسبهم إلى ابراهيم اختلافا كثيراً ، فابن اسحق يرى نسبهم عدنان بن أود بن حقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام - ووافقه عليه البيهقى ؛ ونقل الطبرى عن هشام بن محمد فيما بين عدنان وقيدار نحو أربعين أبا ومن النسابين من يعد بين اسماعيل وعدنان عشرين أبا وخمسة عشر أبا ونحو ذلك . (٢)

ويتحدث ابن دريد فى كتابه عن أنساب العرب العدنانيه والقحطانيه ويبين اشتقاق هذه الأنساب ورجال هذه القبائل فى شرح كامل ويجمع المادة اللغوية المتصلة بكل اسم وعلم أو قبيلة وادواد التى يحملها العلم المشتق فى الرجوع به إلى سواء العربية ويوضح ذلك بتفسير كثير من آى القرآن الكريم .

فكتاب الاشتقاق اذن لاغنى عنه لمن يريد أن يضبط الأعلام العربية ويتميز هذا الضبط بشرح صرفى ومداول لغوى ، ويعتقد الاستاذ عبد السلام هارون أن ابن دريد كتب الاشتقاق والجمهرة فى وقت واحد ذلك لاقرب الشبه بين التأليف فيهما وأن ابن دريد كان يزاوج بينهما ويصل مابين المؤلفين بالاشارة فى كل منهما إلى الآخر .

---

(١) نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى مطبعة الرياض : بغداد ج ٢١ ص ٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٥

مـــواد الكتاب

ينقسم الكتاب إلى جزأين يتحدث فى الجزء الأول مبتدئا باشتقاق اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وآباء الرسول الكريم وأمهاته وأعمامه ثم ينتقل إلى اشتقاق أسماء العشرة المبشرين بالجنه ويبتدىء بعد ذلك باشتقاق أسماء القبائل فيتحدث عن بنى هاشم وعبد شمس وعبد الدار ومضر وقبائل تميم بن مر ونهشل وعبد شمس ، وفى الجزء الثانى يتحدث عن قبائل قيس بن غيلان وربيعه وينتقل إلى الحديث عن قبائل اليمن من قحطان مثل طيىء والازد.... والأوس والخزرج ونسب تميم . ويختتم الكتاب باشتقاق اسماء يشتمل عليها الكتاب ومما اشتق من أسماء الشجر وما نسمى وهو مشتق من اسماء الأرضين . وهو لايعتمد أحيانا على نقل صريح الروايات مثل ما فعل عند حديثه عن اشتقاق اسم النبى صلى الله عليه وسلم « روى بعض نقلة العلم أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما ولد أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ودعا رجال قريش وكانت سنتهم فى المولود إذا ولد فى استقبال الليل كفؤا عليه قدراً حتى يصبح كما فعلوا ذلك بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأصبحوا وقد اكتشفت عنه القدر وهو شاخص إلى السماء » (١) وهو يتحرج صراحه عن الدخول فى بحث اشتقاق لفظ الجلالة فيقول ,, فأما اشتقاق اسم الله عز وجل فقد أقدم قوم على تفسيره ولا أحب أن أقول فيـــه شيئا ،، . (٢)

وهو يستعين فى شرحه الأسماء بآيات القرآن الكريم وقد يفسر بعض ألفاظها

---

١ ـــ كتاب الاشتقاق ص ٨

٢ ـــ نفس المصدر ص ١١

وقد استشهد بآيات من القرآن الكريم فيما يقرب من مائة وثلاثين آية ولكنه قد يفسر الآية بوجه واحد بما يقارب تفسير العلم. قال مثلا ,, فى اشتقاق اسم عبد الله أبي النبى صلى الله عليه وسلم : ،، وقد سمت العرب عبداً وعبيداً ومعبداً وعبيداً ويمكن أن يكون اشتقاق عبيده ومعبد من العبد وهو الانف من قول الله عز وجل ,, فأنا أول العابدين أى الآنفين الجاحدين ،، (١) مع أن الآية الكريمة ولفظ العابدين الذى اعتمد عليها ابن دريد لهشروح عدة. وقد استعان ابن دريد فى شرحه لاشتقاق الأسماء والقبائل بالحديث الشريف وقد بلغ حمـــلة ما ستشهد به من الحديث الشريف ما يقرب من واحد وتسعين حديثاً شريفاً وهو لايذكر فى الحديث السند أو الراوى ولعلنا نلتمس له العذر إذ أنه يتحدث بأدلة فى محل الاستشهاد لا دراسة الحديث نفسه ، ومن أمثلة ما استشهد به ابن دريد من الأحاديث النبوية المشهورة ,, الثيب تعرب عن نفسها (٢) ولكنه يأتى به ناقصا فتمام الحديث مارواه ابن ماجه فى السنن ،، الثيب تعرب عن نفسها والبكر رضاها صمتها ,, وقد ذكر هذا الحديث عينه بصيغة أخرى حين تحدث عن يعرب .. ولد قحطان مع اليمن وفى الحديث ,, والأيم تعرب عن نفسها ،، (٣) ولم يكن ابن دريد ذا طول فى علم الحديث وكان يقول الحديث مرة ناقصا وبروايتين دون الرجوع فى ذلك إلى الروايات وهذا ما نجده أيضا فى كتابه المجتنى الذى سنتحدث عنه . وقد استعان فى شرحه بالأمثال العربية أيضا وذكر ستة وسبعين مثلا فى كتابه مثل عسى الغوير أبؤسا ، ولايقبل لقصير رأى ، وشب عمرو عن الطوق

---

١ – الاشتقاق ص ١٣٥

٢ – نفس المصدر ص ٣٢٤

٣ – نفس المصدر ص ٣٢٢

وأمثال أخرى تكشف عن قوة حفظه وسعة علمه وحرصه على إظهار الروح العربية فى كتابه ونجد مايؤكد هذا أيضا ما يستشهد به من الشعر للحارث بن حلزه وزهير بن أبى سلمى والأعشى وذى الرمة وعبيد بن الابرص وامرؤ القيس وغيرهم من الشعراء الجاهلين والاسلاميين .ونجده يفسر بعض الألفاظ الغريبة فى اللغة وهذه حال ابن دريد فى معظم مصنفاته . يقول مثلا فى اشتقاق الاسماء الآتية .

,, شنظير وعطرق ، مازيناه ـ واشتقاق شنظير من سوء الخلق ـ رجل شنظير والعطرق ـ الطويل المضطرب الخلق وخزعل اسم اشتقاقه من الخزعلة ـ وهو مثل الخذعلة وهو الذى إذا مشى سفى التراب باحدى قدميه على الأخرى ،، (١)

أية ما يكون الأمر فالكتاب مصدر أساسى لمن يستشيره فى ضبط الاعلام والقبائل وتراث أدبى حفظ لنا أمثال العرب ونوادرهم وهو إلى جانب ذلك يعتبر فذا فى كتابته عن اشتقاق اسماء القبائل والاعلام بطريقة لغوية وصرفية مستنداً إلى التفسير بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والشعر والأمثال والنوادر . وقد ذكر الاستاذ عبد السلام هارون بعض النقد للكتاب من أخطاء لغوية مثل ,, والعافية تعيف القتيل وقال أن صحة العافية اشتقاقها من عفا يعفو وفى قوله من اشتقاق حجوان وان كان من حج الشى يحجه والصواب حجا يحجو وقوله مقاس مفعال من قاس يقيس والصواب أنه من مقس . ويذكر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا على عتبة بن أبى لهب فقال,, اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الاسد مع أن عتبة قد أسلم وحسن إسلامه والصواب عتبة بن أبى واسع وقد وافقه على ذلك محمد عبد المنعم خفاجى فى شرحه للجزء الذى نشره

---

١ ـ الاشتقاق لابن دريد ص ٥٦٠

(٢) كتاب المجتنى :

وهذا مصنف آخر لابن دريد - صغير الحجم - نشر الكتاب فى حيدر أباد بالهند عام ١٣٤٢هـ بتصحيح السيد هاشم الندوى ونشره قبل ذلك ف كرنكو . وراوى الكتاب أبو اليمن زيد الحسن بن زيد الكندى المتوفى عام ٦١٣هـ رواه عن أبى محمد عبد الله بن على المغربى النحوى عن أبى منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين ابن عبد العزيز عن أبى الطيب محمد بن أحمد بن خلف بن خاقان عن أبى بكر ابن دريد .

والكتاب مختارات من الأقوال المأثورة ، ابتدأ الكتاب بأقوال الرسول — صلى الله عليه وسلم — وبما سمع عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فعمر فعثمان فعلى فالحسن فمعاوية ثم عقد بابا من كلام العلماء وكرر الباب مرة أخرى وباب من نوادر الفلاسفة وعيون الشعر المستحسن والأمثال المنظومة الحكيمة .

سبب تأليفه الكتاب :

يتضح من قراءة الكتاب أن ابن دريد كتب المجتنى ليزود الباحث بما يختاره من عيون الأقوال المأثورة مبتدئا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين وطرفا من كلام الحكماء ونوادر الفلاسفة وعيون الشعر المستحسن فهو يريد أن يعرض لنا فى كتابه ما اختاره من الكلام المأثور والكلام المستحسن ليكون زادا لكل متعلم ونحن نعلم أن ابن دريد كان ينزع فى بعض مؤلفاته إلى التعليم — أو يعلم الباحثين اللغة وعيون الشعر بل إنه كان مؤدبا لابن ميكال وقصيدته المقصورة المشهورة تنبىء عن نزعته التعليمية وأيضا أحاديثه الأربعين

(*) المجتنى : تحقيق السيد الندوى ص ٢

المتناثرة فى كتاب الأمالى لأبى على القالى تخبر أيضا عن نزعة تعليمية واضحة .

يقول ابن دريد فى مقدمة الكتاب : « هذا كتاب يشتمل على فنون شتى من الأخبار المونقة والألفاظ المسترسلة والأشعار الرائقة والمعانى الفخمة والحكم المتناهية والأحاديث المنتخبة سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه ظرائف الآثار كما تجتنى منه طائب الثمار » (١)

منهج الكتاب :

عرض ابن دريد فى كتابه لأقوال مختارة للرسول — صلى الله عليه وسلم — بطريقة مختصرة تحتاج إلى تعليق ، وقد صرح فى مقدمة الكتاب أنه جرى فيه الاختصار إذا كان الاكثار مقرونا بالسآمة وقد قال من قبلنا لنا إذا كان الايجاز عيا وخير الامور أوسطها » .

فهو ينهج فى كتابه إلى الاختصار وهذا عهده فى جل كتبه ماعدا الجمهرة والاشتقاق فنجده فى الملاحن وصفه السرج واللجام وصفة السحاب والغيث يميل إلى الاختصار أيضا ويذكر أنه ينهج فى كتابه باستفتاحه الحديث بما جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم ويقول : « وقد ضمنت هذا الكتاب اخبار أشعار سمعتها فعروتها إلى من سمعتها وأشياء قرأتها فيما قرأت من الكتب على أشياخنا رحمهم الله إجازة ومنها سماع » (٢)

فهو يبين أمانته العلمية فى نسب الشىء إلى قائلة وحرصه على الحفاظ

(١ المصدر السابق ص ٣

(٢ نفس المصدر السابق ص ٣

تقديمه الدين على أى شيء فهو يفتتح كتابه بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد افتتح كتاب الاشتقاق كما رأينا من قبل باشتقاق اسم الرسول — صلى الله عليه وسلم — .

مواد الكتاب :

ذكر ابن دريد بعد المقدمة عيونا من أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - مايقرب من خمسين حديثا نبويا شريفا وقد ذكرها مختصرة لايذكر رواة ولا يصلها بسند وهو يختار جزءا من الحديث ويذكر بعض الشرح والتعليق عليه . وإنا لنعجب كيف يذكر ابن دريد أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - دون سند ويذكرها مختصرة لاتوضح المعنى المراد وكان الحديث قد دون فى عهده واضطلع البخارى ومسلم وغيرهما بجمع الحديث الشريف وتدوينه . وهو مأخذ نأخذه على ابن دريد فمن الواجب عليه وقد استفتح الكتاب بأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم أن يذكر الحديث على الأقل مرويا عن صحابى أو يكمل الحديث ليتضح المعنى . وهو يسهب فى شرح بعض الأحاديث ويعرض بعضها دون شرح وأحيانا يذكر أنه لايعرف معناه مثل حديث » وقوله ياخيل الله أركبى « قاله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه لاأدرى فى أيها » ويكرر بعض الأقوال المنسوبة إلى الرسول — صلى الله عليه وسلم — مثل الحديث المشهور « الأعمال بالنيات » يذكره هكذا ويذكره مرة أخرى قوله صلى الله عليه وسلم « نية المؤمن خير من عمله » . وقد جاء هذا الحديث الشريف فى صحيح البخارى فى باب ماجاء أن الأعمال بالنية ولكل امرىء مانوى حديث عبد الله بن مسلمة قال أخبرنا مالك عن يحيى ابن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الأعمال بالنية ولكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله

ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه . » (١) وماذكره فى باب « ماسمى من النبى صلى الله عليه وسلم » يشرح الحديث لغويا مثل قوله صلى الله عليه وسلم حمى الوطيس قال بعد أن ذكر مناسبته «والوطيس حفيرة تحفر فى الأرض شبيهة بالتنور يختبز فيها والجمع وطس فإذا كانت حفيرة أعظم من الوطيس يستوى فيها اللحم فهى أزن والجمع أزن » . وقد ذكر هذا الحديث الشريف ابن عبد البر فى كتابه الدرر واختصار المغزى والسير فى غزوة حنين « حين حملت هوازن على المسلمين ونادى الرسول صلى الله عليه المؤمنين (أنا رسول الله يا معشر الأنصار يا أصحاب الشجرة أو يا أصحاب الشجرة ، واشتدت الحرب وكثر الطعن والجلاد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركابته فنظر إلى مجتلد القوم فقال الآن حمى الوطيس وضرب على بن أبى طالب عرقوب جمل صاحب الراية أو فرسه فنزعه) (٢) وذكره ابن هشام أيضا صاحب السيرة فى غزوة حنين مطولا . (٣)

وقد ذكر ابن دريد بعض أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم دون شرح لغوى أو شرح عام مثل قوله صلى الله عليه وسيم المستشار مؤتمن وحبك الشيء يعمى ويصم ، ويمضى ابن دريد فيذكر ماحفظه من كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه ولكنه يمر سريعا على بعض كلامه دون شرح وهكذا عن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ولكنا نلاحظ أنه يأتى هنا بالرواية أو السند الذى روى عنه القول وربما كان ابن دريد يتحرج فى ناحية الحديث الشريف حرصا منه على

---

(١) صحيح البخارى ج١ ص ١١ طبعة الشعب .

(٢) الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبدالبر تحقيق شوقى ضيف ص٢٢٣

(٣) سيرة ابن هشام ج٤ ص ٨٧ المجلس الاعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦

عدم الخوض فى أشياء قد يجهلها ولم يكن محدثا أو ذا طول فى علوم الحديث ، ونلاحظ أيضا أنه يذكر أقوالا محفوظة كثيرة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وذكر أقوالا مختصرة للحسن بن على رضى الله عنهما ومعاوية بن أبى سفيان أيضا وهو فى حديثه فى باب من كلام الحكماء يذكر حكما لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، وللاحنف ولا يذكر أسماء الحكماء الذين ينقل عنهم بقية الأقوال وهو ماناأخذه على ابن دريد من عدم الدقة فهو يقول مثلا وقال آخر (نكاية الأحزان فى القلوب أبلغ فى الأجسام من أثر السرور ونقصان الأجساد بالحزن أكثر من زيادتها بالفرح) (١)

ونأتى إلى باب يتميز به كتابه وهو من نوادر الفلاسفة وهو يذكر لنا أقوالا مأثورة لسقراط ونيورجانس والاسكندر وأرسطاطاليس وهياجريس وهيبوقريطس وأفلاطون ونعجب كيف استطاع ابن دريد أن ينقل إلينا هذه الأقوال من نوادر الفلاسفة وهو لغوى قح وأغلب الظن أنه حفظها وسمعها من شيوخه رغم أنه لم يذكر من روى عنه هذه الأقوال . ولكن لماذا يذكر ابن دريد هذه النوادر للفلاسفة وماهدفه منها ! وهذه قضية أخرى — ذلك أن العرب كانوا قد ترجموا كثيرا من المصنفات اليونانية إلى اللغة السريانية ويذكر المسعودى أن المنصور كان أول خليفة قرب المنجمين وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الاعجمية إلى العربية ومنها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السند والهند وترجمت له كتب أرسطاطاليس عن المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطى لبطليموس وكتاب الأرثماطيقى وكتاب أوقليدس (٢) .) وقد شجع البرامكة الترجمة

(١) المجتنى لابن دريد ص ٨ تحقيق إبراهيم

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج٤ ص ٢٤١

وعنوا بإعادة ترجمة بعض الكتب اليونانية التى ترجمت قبل عصرهم بحيث تكون أكثر دقة واتقانا على نحو ما صنع يحيى بن خالد بكتاب المجسطى لبطليموس (١)، ونشطت الترجمة أيضا فى عهد المأمون ومن أشهر المترجمين ابن مطر وقد اشتهر بتحريره لكتاب الأصول فى الهندسة لاقليدس وكتاب المجسطى لبطليموس ويحيى بن البطريق وقد ترجم لافلاطون قصة طيماوس وترجم لارسطاليس مختصرا فى النفس وكتبه فى الآثار العلوية وفى الحيوان وفى العالم . وكتب الدكتور على سامى النشار فى انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامى وهو يرى أن الفلسفة اليونانية لم تعرف أولا فى عصر المنصور ولكنها كانت معلومة للمسلمين قبل ذلك ويكذب قصة حرق مكتبة الاسكندرية ويرى أيضا أنه خلال الترجمة من اليونانية إلى العربية حدثت فى خلال هذا النقل بعض الأخطاء العلمية والفنية وحرفت بعض المذاهب واختلطت مذاهب بأخرى ونسبت مذاهب بأخرى ونسبت مذاهب لغير أصحابها (٢)، وهو يذكر لنا شيئا مما عرفه المسلمون من هؤلاء الفلاسفة مثل طاليس الذين عرفوا عنه أول فلاسفة أيونيا وأنه أول من حاول أن يفسر أصل الوجود (٣)، وعرف المسلمون فيثاغورس ويذكرون أن فيثاغورس كان يرى أن المبادىء منها الواحدة وهى الاله والخير وأنها من طبيعة الواحد وهى العقل ويذكر الدكتور على النشار المدرسة التصورية المثالية ويعنى بهم سقراط وأفلاطون وأرسطو وأما سقراط فقد احتل مكانة كبرى فى العالم الإسلامى . لقد صوروه فى صورة نبى أو قديس — يحدث أبناء أثينا عن الوعــــد والوعيد والثواب

---

(١) العصر العباسى الأول للدكتور شوقى ضيف ص ١١٢

(٢) نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص ١٠٦ دكتور على سامى النشار

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٠٦ جـ ١

والعقاب والخطيئة والقوة وتظهر أهمية سقراط فى تاريخ الأمثال والأحاديث فقد وصل إلى المسلمين كثير من حكمه وانتشرت فى كتبه الأمثال والحكم » (١)

إذن فقد نقل ابن دريد حكم سقراط وغيره ايزود القارىء بأقوال متنوعة — فمع ذكره أقوال للرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم وكلام الحكماء يذكر نوادر الفلاسفة ، ونجد ابن النديم يعقد بابا عن الفلاسفة فيذكر أفلاطون وكتبه وأرسطاليس ونسبه ويذكر كتبا كثيرة له فى المنطقيات والطبيعيات والالهيات والخلقيات فمن كتبه المنطقية وهى ثمانية كتب قاطيغورياس معناه المقولات باري أرمانياس معناه العبارة أنالوطيقيا معناه تحليل القياس ، أبو رقيطا وهو أنالوطيقا الثانى ومعناه البرهان، طوبيقا ومعناه الجدل، وسوفسطيقا ومعناه المغالطين ، وبطوريقا معناه الخطابة ، أبو طيقا ويقال بوطيقا معناه الشعر » (٢)

ويذكر ابن النديم ترجمة لثاوفرسطيس وديوخس برمكس وفلوطرخس .

ومن أمثلة نوادر الفلاسفة التى ذكرها ابن دريد قال أرسطاليس إن الحاجة إلى العقل أقبح من الحاجة إلى المال وقيل لبولس أى الحيوان لايشبع فقال التاجر الذى يربح . وقيل لسقراط وثيغوس أن غلاما شتمك بالغيب قال لو ضربنى بالسياط وأنا غائب لم أبال غير إنا نشك فى هذه النوادر لأن بعضها له صورة إسلامية كالقول السابق ولكن ربما نقلها ابن دريد هكذا أو مايذكره الدكتور على النشار أن الترجمة من اليونانية إلى العربية قد حدث فيها خلط واضطراب .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٠ ح ١

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٦١

ونجد النويرى فى كتابه نهاية الأرب فى فنون الأدب يذكر نفس الأقوال التى ذكرها ابن دريد للنبى صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وشيئا من كلام الحكماء ولعله نقلها من كتاب المجتنى لابن دريد . ويختتم ابن دريد كتابه بباب من عيون الشعر والمستحسن والأمثال منسوبا إلى أصحابها كما أقر على نفسه فى مقدمة الكتاب فهو يذكر وانشدنى عبد الرحمن عن عمه الأصمعى

ستمضى مع الايام كل مصيبة   وتحدث أحداث تنسى المصائبا

وأنشد علقمة بن عبد الله القسرى :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   اسعد ولما يخل من أهله سعدا

وهل اقبلن النجو أعناق أيق   وقد سال مسيا ثم من صاغه النجد

وأنشده :

صديقك حين تستغنى كثير   ومالك عند فقرك من صديق

فلا تغضب على أحد إذا ما   طوى عنك الزيارة عند ضيق

وأكثر الشعر حكم رأمثال عن الزمان والصديق .

وأخيرا وليس آخرا فالكتاب مجموعة نادرة من أقوال النبى — صلى الله عليه وسلم — وخلفائه الراشدين ومعاوية وكلام الحكماء ونوادر الفلاسفة وهو يزودنا بثقافة لغوية وثقافة عامة تفيدنا فى تراثنا اللغرى .

(٣) كتاب الملاحن :

وهذا كتاب من نوع خاص — صغير الحجم — سماه الملاحن — ولم نعرف من علماء اللغة من ألف مثل هذا الكتاب إلا ماذكره البغدادى فى خزانة الادب (١) ، فهو يذكر كتاب ابن دريد فى الملاحن وكتابا المفجع البصرى يسمى المنقذ وذكر السيوطى فى المزهر عن كتاب الملاحن لابن دريد « وقد ألف فى ذلك ابن دريد تأليفا لطيفا وقد كانت العرب تتعمد ذلك وتقصده إذا أرادت التورية أو التعمية » (٢) .

وقد طبع الكتاب مرتين نشر الكتاب فى أوربا ثوربكة فى هيدابرج عام ١٨٨م ونشر الكتاب فى مصر وصححه وعلق عليه وذيله بذيل ابراهيم اطفيش الجزائرى، والكتاب مجموعة من العبارات اللغوية يستخدم فيها ابن دريد سعة أطلاعه اللغوية فيذكر العبارة بمعنى ثم يحولها إلى معنى آخر وعنوان الكتاب غريب بعض الشيء ولكنه يفسر لنا عنوان الكتاب وسبب تسميته فى مقدمة الكتاب فقال : « معنى قولنا الملاحن لأن اللحن عند العرب الفطنة وقيل لمعاوية أن عبيد الله بن زياد يلحن فى كلامه فقال أو ليس بظريف ابن أخى يتكلم الفارسية فظن معاوية أن الكلام معدولا عن جهته العربية ويستشهد بقول الفزارى

منطق صائب وتلحن أحيا   نا وأصح الحديث ما كان لحنا

يريد أنها تعرض فى كلامها وحديثها فتزيله عن جهته فجعل ذلك لحنا فسمى اللحن

---

(١) خزانة الأدب محمود بن عمر البغدادى جـ٢ ص ١١٣

(٢) السيوطى : المزهر فى علوم اللغة جـ١ ص ٥٦٧ تحقيق محمد أبى الفضل وآخرين .

لحنا لأنه يخرج عن قصده (١) . وقد أخذ ابن دريد هذا المعنى ليتفق مع ما يريد أن يثبته في كتابه . وقد وردت مادة « لحن » في أغلب المعاجم بمعان مختلفة وكانت كلمة اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب ، ظاهرة ظلت فترة معينة من تاريخ العربية ، وإذا تلمسنا مادة اللحن في المعاجم العربية نجدهم يذكرون معاني مختلفة لها ، فهذا ابن منظور يذكر في مادة « لحن » « .... » اللحن من الأصوات المصوغة الموضوعة وجمعه ألحان ولحون ولحن في قراءته إذا غرد وطرب فيها بالحان ، واللحن واللحن ترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك ولحن له يلحن لحنا قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره لانه يحيله بالتورية عن الواضح المفهوم ومنه قولهم لحن الرجل فهو لحن إذا فهم وفطن لما يفطن له غيره وقول الطرماح :

وأديت إلى القول عنهن زوله ... تلاحن أو تدنو لقول الملاحن

أي تكلم بمعنى كلام لا يفطن له ويخفى على الناس غيرى وألحن في كلامه أي أخطأ »(٢)

أما البيت الذى يستشهد به ابن دريد وهو قول مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري:

منطق صائب وتلحن أحيا ... نا وخير الحديث ماكان لحنا

فقد ذكرته معظم المعاجم بمعنى « وخير الحديث من مثل هذه الجارية ماكان لا يعرفه كل أحد فإنما يعرف أوصافه وقيل معنى قوله وتلحن أحيانا أنها تخطىء في الإعراب وذلك أنه يستملح من الجوارى ذلك إذا كان خفيفا ويستثقل منهن لزوم حامد الإعراب .

وقد عقد يوهان فك في كتابه العربية ملحقا ذكر فيه مادة لحن وذكر أنه أول قول الشاعر : منطق صائب وتلحن أحيا ... نا وخير الحديث ماكان لحنا

وقال : « ولما اشتهر لفظ اللحن في الاستعمال المتأخر بالمعنيين بالخطأ اللغوى والغناء وهم الجاحظ فظن أن الشاعر أراد أنها تلحن في الكلام أي تخطىء

---

(١) الملاحن لابن دريد تحقيق إبراهيم أطفيش - المقدمة -

(٢) لسان العرب : ابن منظور : المجلد الثالث عشر مادة - لحن -

وأن اللحن فى الكلام كان يستحسن من النساء كما أملى ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ على تلاميذه تصحيحا مدعوما بالحجة للتفسير الذى ذكره الجاحظ وصحح ذلك أيضا الصولى » (١) رأيت أبا على القالى وهو تلميذ ابن دريد يذكر رأى ابن دريد فى تفسير البيت :

منطق صائب وتلحن أحيا نا وخير الحديث ماكان لحنا

قال « وهذا مذهب أبى بكر بن دريد فى تفسير قول الشاعر منطق صائب وتلحن أحيانا قال يريد يعرض فى حديثها فتزيله عن جهته لئلا يفهمه الحاضرون ثم قال وخير الحديث ما كان لحنا أى خير الحديث ما كان لحنا ، أى خير الحديث مافهمه صاحبك الذى تحب افهامه وحده وخفى على غيره » (٢)

وملخص القول أن مادة لحن لها معان مختلفة وليس ماذكره ابن دريد من أن معناه عند العرب الفطنة وقد ذكرت كتب الأدب أبوابا فى الاعراب واللحن بمعنى الخطأ مثل ابن عبد ربه فى العقد الفريد فقال « قال عبد الملك بن مروان ، اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب والجدرى فى الوجه وقيل له لقد عجل عليك الشيب ياأمير المومنين قال شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن » (٣)

ويذكر الجوهرى فى الصحاح « اللحن الخطأ فى الأعراب يقال فلان لحان ولحانة أى كثير الخطأ أو التلحين التخطئة ، واللحن واحد الالحان واللحون ومنه

(١) العربية : يوهان فك : ملحق الكتاب مادة (لحن)
(٢) الامالى لأبى على القالى الجزء الأول ص ٦
(٣) العقد الفريد ابن عبد ربه ج ص ٢٩٥

الحديث « إقرأوا القرآن بلحون العرب » (١)

وقد جمع أبو علي القالي (٢) معنى اللحن في كتابه الامالي فذكر عنها « قال أبو بكر ابن الانباري رحمه الله معنى قوله عز وجل » ولتعرفنهم في لحن القول ،، أي في معنى القول وفي مذهب القول ، واللحن بفتح الحاء الفطنة وربما اسكنوا الحاء في الفطنة ورجل لحن أي فطن ،، . وذكر أبو علي نصوصا في معنى اللحن ،، منه الحديث الشريف الذى يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلين اختصما اليه في مواريث وأشياء قد ورثت فقال عليه السلام لعل أحدكم أن يكون الحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار فقال كل واحد من الرجلين يارسول الله حقى هذا لصاحبي فقال لا ولكن اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحال كل واحد منكما صاحبه .

وهو يجمع لنا معنى اللحن بالمعنيين الخطأ والفطنة فيقول (٣) . يقال قد لحن الرجل لحنا فهو لاحن إذا خطأ ولحن يلحن لحنا فهو لحن إذا أصاب وفطن وتفهم من قول معاوية حيث قال للناس كيف ابن زياد فيكم قالوا ظريف على أنه يلحن قال فذاك أظرف له ذهب معاوية إلى اللحن الذى هو الفطنة وذهبوا إلى اللحن الذى هو الخطأ،أن العرب كانوا يدركون أن اللحن إما أن يكون معناه الخطأ أو معناه الفطنة وذكر أبو علي القالي معنى آخر للحن وهو (اللغة) وهو رأى الإصمعي وأبي زيد الأنصاري ومنه قول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه تعلموا

---

(١) الصحاح للجوهري ج ٢ باب النون فصل اللام

(٢) كتاب الامالي لابن علي القالي ج ١ ص ٦

(٣) الأغاني لأبي علي القالي ج١ ص ٧ .

الفرائض والسنن واللحن كما تعلمون القرآن فاللحن اللغة .

وقد وضح ابن الأثير ما نقله عنه صاحب لسان العرب معنى اللحن والتفرقة بين معنى الخطأ ومعنى الفطنة فى قوله « اللحن الميل عن جهة الاستقامة » واللحن بفتح الحاء الفطنة قال ابن الأعرابى اللحن بالسكون الفطنة والخطأ سواء قال وعامة أهل اللغة فى هذا على خلافه قالوا الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون ( ) .

ونضيف إلى ما ذكره ابن الأثير أن اللحن كان فى فـــترة معينة من تاريخ العربية بمعنى الخطأ وذلك باختلاط العجم بالعرب فألف العلماء كتبا فى لحن العامة وأشعرهم الكسائى وكتاب لحن العوام لابى بكر محمد بن حسن بن مذحج الزبيدى وقد وصلنا الكتابان وحقق كتاب الزبيدى دكتور رمضان عبدالتواب .

هذا هو معنى اللحن فما معنى الملاحن ؟ ولم سمى ابن دريد كتابه بالملاحن ؟

جاء فى ذيل الملاحن من النسخة المصرية « فى النسخة الأوربية وهى التى نشرها (ثربكه) فى هيدلبرج عام ١٨٨٢م » الملاحن طرق من الكلام كان العرب تتعمدها إذا أرادت التعمية والتورية وهى من باب إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر « قال الخفاجى فى شفاء الغليل » ملاحن العرب ألغازها وهى الحاجاة لأنها تاهر بالحجى ، والمعاياه والرمز والمعمى والمتأخرون من الادباء إصطلحوا على التفريق بينها وهو ليس بأمر لغوي وقد يعلق على كتاباتهم كقولهم للحز أشعر وللماء أشهب إلى غير ذلك (٢) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور المجلد الثالث عشر مادة (لحن) .

(٢) كتاب الملاحن بتحقيق إبراهيم أطفيش الجزائرى لابن دريد (الذيل) .

وهذا الكلام يحتاج إلى توضيح فلاشك أن هناك فرقا بين الالغاز والاحاجى والكناية والتعريض والملاحن وإن كانت تتقارب فى الهدف .

أما الكناية فهى « اللفظ الدال على الشىء على غير الوضع الحقيقى بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه كاللمس والجماع فان الجماع اسم موضوع حقيقى اللمس كناية عنه » (١) .

وأما التعريض « فكقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

فى فتية من قريش قال قائلهم   ببطن مكة لما أسلموا زولوا

فعرض بعمر بن الخطاب وقيل بأبى بكر رضى الله عنهما وقيل برسول الله صلى الله عليه وسلم تعريض مدح ومن أفضل التعريض مما يجل عن جمع الكلام قوله عز وجل (ذق إنك أنت العزيز الكريم) (٢) ، أى الذى كان يقال له هذا أو يقوله وهو أبو جهل ، لانه قال ما بين جبليها - يعنى مكة — أعز منى ولا أكرم وقيل بل ذلك على معنى الاستهزاء به (٣) .

أما الاحاجى وهى الأغاليط من الكلام وتسمى الألغاز وهو الطريق الذى يلتوى ويشكل على سالكه ويسمى أيضا بالمعمى ويشبه بالكناية تارة وبالتعريض تارة أخرى ويشبه بالمغالطات المعنوية فاللغز والاحجيه كل معنى يستخرج

---

(١) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير حـ ١ ص ٢٢٠ .
(٢) العمدة فى محاسن الشعر وادابه ونقده لابى الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد حـ١ ص ٣٠٣ .
(٣) سورة الدخان آية ٤٩ .

بالحدس والفكر . ومن أمثلة اللغز قول بعضهم فى الخلخال (١) .

ومغرور بلا جرم مليح اللون معشوق
له قد الهلال على مليح القد ممشوق
وأكثر ما يرى أبداً على الامشاط فى السوق

ومن أمثلة اللغز قول بعضهم فى القلم (٢) :

وأرشق مرهوف الشباة مهفهف يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له ان فاق شرقا وغربا وتعنو له ملاكها وتطيع
حمى الملك مفطوما كما كان تحتمى به الأسد فى الآجام وهو رضيع

ومن أطرف الألغاز قول مجد الدين أبو الميمن الكنانى حيث قال ملغزاً فى البراغيث (٣) :

ومعشر يستحل الناس قتلهم كما استحلوا دم الحجاج فى الحرم
إذا سفكت دمائهم فما سفكت يداى من دمه المسفوك غير دمى

وقد فصل محمود بن عبد القادر البغدادى فى خزانة الآدب (٤) . القول فى هذه الأنواع فقال : « وإذا اعتبرت الكلام من حيث أن قائله لم يصرح بغرضه سميته تعريضا وكناية وأكثر أرباب الحياء من الناس مضطراً إلى مثله وإذا أعتبرت من حيث أن قائله يوهمك شيئا ويريد غيره سميته لحنا وسميت مسائله الملاحن »

---

(١) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير حـ ١ ص ٢٠.

(٢) و (٣) حياة الحيوان الكبرى : كمال الدين الدميرى حـ١ ص ٩٣ و ١٢٣.

(٤) خزانة الادب محمود بن عبد القادر البغدادى حـ٣ ص ١٧٧ .

أما اللحن والملاحن فذكره ابن رشيق فى العمده فقال « اللحن وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه وأن كان على غير وجهه قال الله تعالى (ولتعرفنهم فى لحن القول) (١) ويذكر «ابن رشيق» أن الملاحن يسميه الناس فى عصره المحاجاة لدلالته الاجتماعية وكل لغز داخل فى الاحاجى .

ومجمل القول أن المصطلحات الكناية والتعريض والمحاجاة واللغز والملاحن ذكرتها كتب الأدب والبلاغة بمعان مختلفة عن بعضها البعض الآخر لكنها تقترب كلها من معنى الاخفاء والتعمية وعدول اللفظ إلى معنى آخر وهذا هو الذى سار عليه ابن دريد فى كتابه الملاحن .

سبب تأليف الكتاب

ذكر ابن دريد سبب تأليفه الكتاب فى مقدمة كتابه فقال : ,, هذا كتاب الفناه ليفزع اليه المجبر المضطر على اليمين المكره عليها فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف مايظهر ليسلمه من عادته الظالم ويتخلص من حيف الغاشية وسميناه كتاب الملاحن واشتققنا له هذا الاسم من اللغة العربية الفصيحة التى لايشوبها الكدر ولايستولى عليها التكلف ،، (٢)

فابن دريد يريد أن يجد مخرجا عن طريق اللغة وألفاظها للمضطر على اليمين وهذه تهمة خطيرة نستطيع أن نوجهها إلى ابن دريد فهو يستخدم اللغة للخروج من حلف اليمين فان كانت التهمة تخفف عنه فى قوله ,, المضطهد على اليمين المكره عليها والشرع يبيح للمضطر أن يفعل أشياء مخالفة لاضطراره اليها ولكنها

---

(١) سورة محمد أية ٣٠ .

(٢) كتاب الملاحن لابن دريد تحقيق ابراهيم اطفيش (المقدمة) ص ١

مشروطة بشروط وتشبه تهمة ابن دريد فى الملاحن مسألة الحيل الشرعية وقد قوبلت فى بعض أوساط الفقهاء بهجوم شديد - وكانت قد وضعت الحيل الشرعية أساسا للتحايل على قلب طريقة مشروعة وضعت لأمر معين واستعمالها فى حالة أخرى بقصد التوصل إلى إثبات حق أومنع ظلم أو إلى التبرير بسبب الحاجة وهذا النوع من الحيل الشرعية لايهدم مصلحة شرعية فهو إذن جائز فى جميع المذاهب الإسلامية .

ومجمل القول أن كتاب ابن دريد فى الملاحن يشبه مسألة الحيل فهو يتساهل أو يتسامح ويتحايل على اللغة للميل إلى معنى أخر ولعل هذه العبارات التى ذكرها فى كتابه دفعت من لحقوه إلى اتهامه بتلفيق العربيــــة مثل الازهرى .

منهج الكتاب

لم يذكر ابن دريد منهجه فى مقدمة كتابه (الملاحن) لكنا نستطيع أن نفهم من حديثه فى المقدمة أنه يستخدم اللغة ومعانى الالفاظ المختلفة داخل العبارة التى تتحول إلى معنى أو يتخلص من معناها الذى وضعت له إلى معنى آخر ليخلص المضطر أو المجبر على اليمين المكره عليها ويستخدم فى هذا المنهج سعة حفظه للغة ومعرفة استخدام الكلمة وكثرة مرادفاتها ونلاحظ أحياناً أنه أثناء استخدام بعض العبارات يكون المعنى الذى يريده قلقا مثل قوله

„ وتقول والله مالفلان عندى جارية ولااغتصبته عليها يعنى سفينه قال الله تعالى (وله الجوارى المنشآت فى البحر) (١) فالجارية بمعنى السفينة لاتستقيم

(١) سورة الرحمن اية ٢٤

مع قوله ولا اغتصبته عليها . وقوله « وتقول والله ما رأيت فلانا قط ولا كلمته - فمعنى ما رأيته أى ما ضربت رئته » . فلو افترضنا أن شخصا يقف أمام قاض يحلف يمينا مثل هذا اليمين ثم يقول للقاضى والله إنى لا أقصد أنى ما رأيت فلانا بمعنى الرؤية ولكن بمعنى أنى لم اضربه على رئته فإن القاضى لايسلم بقوله .

وأكثر عبارات ابن دريد فى الملاحن تبعد المعنى ولاتدنيه . وهذه أمثلة من عباراته يقول

(١) والله ما أملك كلبا وهو المسمار فى قائم السيف ولا فهدا (وهو المسمار فى وسط الرحل ولا شعيرة وهى رأس المسمار من القصة ولاحنوان وهو دبس الرطب .

(٢) ويقول ولاضربت له يدأ وهى واحدة لأيادى المصطنعة ولارجلا وهى القطعة العظيمة من الجراد - ولا أخبرته أى ما زعمت له خبرة وهى شاة يشتريها قوم يقتسمون بينهم .

فى المثال الأول نجد البعد الكبير بين معنى الكلب وهو الحيوان المعروف وبين الكلب وهو المسمار فى قائم السيف وبين الفهد وبين المسمار فى وسط الرحل وأى تقارب فى المعنى نستطيع أن نفهمه بين الصقر وبين دبس الرطب . وبين الرجل وبين القطعة العظيمة من الجراد وبين قوله وأخبرته وبين مازعمت له خبرة وهى الشاه يشتريها قوم يقتسمون بينهم

وابن دريد يستشهد فى كتابه ببعض الشعر قال مثلا

وتقول « والله ماأخذت من فلان عسلا ولا خلا فالعسل عدو من عدو الذئب والخل الطريق فى الرمل ويستشهد بقوله الراجز

إذا الثريا طلعت عشاء　　　　فبع الراعى غنم كساء

وآية ما كان الأمر فالكتاب مجموعة من العبارات يستخدم فيها ابن دريد سعة علمه باللغة يكشف لنا عن معانى العبارات بمعان مختلفة وقد أفادنا ابن دريد بهذه المعانى والألفاظ المشتركة والمتضاربة ونستطيع أن نستخدمها فى استعمالات أخرى من كناية وتعريض وغير ذلك رغم ماتعيب عليه فى بعض عباراته أو سبب تأليف الكتاب .

والكتاب يمكن أن يعد نوعاً من المعاجم التى نرجع اليها فى رصد المعانى غير المألوفة للالفاظ التى يتضمنها وقد نستطيع أن نفيد منه عند بحث تدرج هذه المعانى وظروف استعمالها .

(٤) كتابا صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث:

مقدمة :

كتابا صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث رسالتان صغيرتان لابن دريد وقد ذكر أصحاب التراجم هاتين الرسالتين بأسماء مختلفة فيذكران باسم المطر أو الرواد مرة أو زوار العرب — ورواة العرب وقد ذكرهما ابن النديم فى الفهرست تحت عنوان « كتاب السرج واللجام وكتاب صفة السحاب والغيث »(١).

ونشر وليم رايت الرسالتين مع مجموعة سماها مجموعة «جرزة الحاطب وتحفة الطالب» فى ليدن عام ١٨٥٩م وتشمل المجموعة رسالتى ابن دريد وكتاب تلقيب القوافى وتلقيب حركاتها لابن كيسان ومقطعات مرات لبعض العرب مروية عن ابن الأعرابى .

الرسالة الأولى — صفة السرج واللجام — صغيرة الحجم والثانية — صفة السحاب والغيث — أكبر منها ويعتمد فيها ابن دريد على ما قاله العرب فى وصف السحاب والغيث ، والرسالتان من مجموع الرسائل التى سبقت ظهور فن المعاجم العربية اللغوية وكانت هذه الرسائل مجهوداً مبكراً قام به علماء اللغة فى عصور مبكرة من تاريخ العربية يحافظون به على اللغة من اللحن واختلاط العجمة بها وكانت الفتوحات الاسلامية قد أوجدت طبقة من الناس لا يحسنون العربية مثل الموالى والزنوج وغيرهم وشاع اللحن حتى تحدث به بعض الخلفاء مثل الوليد

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٧ .

بن عبد الملك فما كان من علماء اللغة إلا أن شمروا عن ساعد الجد ينهضون بالتأليف في متن اللغة وجمع كلماتها ، وقد أختلف الباحثون المحدثون في هذه الرسائل وأسبقها وأولوية تأليفها فعلى حين يذكر أحمد أمين في ضحى الاسلام (١) ، ثلاث مراحل لجمع اللغة الأولى جمع الكلمات حيثما اتفق فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر ويسمع كلمة في أسم السيف وأخرى في الزرع والنبات، وغيرهما في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك فيدون ذلك كله حيثما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع » .

المرحلة الثانية : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد كالمحدث يجمع أحاديث الصلاة وأحاديث البيع .. الخ توجت هذه المرحلة بكتب تؤلف في الموضوع الواحد ، فألف أبو زيد كتابا في المطر وكتابا في اللبن والف الاصمعي كتبا كثيرة صغيرة كل كتاب في موضوع فكتاب في النخل والكرم وكتاب في الشاة .... الخ .

المرحلة الثالثة : وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى الكلمة .

ويتفق الدكتور حسين نصار (٢) مع أحمد أمين في تقسيمه لهذه المراحل الثلاث التي نظمت جمع اللغة ولكنه يخالفه في مناقشته لعملية التسلسل الزمني لهذه المؤلفات فقد رأى أحمد أمين أن الخليل واضع الفكرة الثالثة كان أسبق

---

(١) ضحى الاسلام — الجزء الثاني — أحمد أمين ص ٢٦٤ طبعة النهضة المصرية ١٩٦١ .

(٢) المعجم العربي : دكتور حسين نصار الجزء الأول ص ٣٥ .

زمنا من أبي زيد والأصمعي وغيرهم من واضعي الفترة الثانية وهو يرد على هذا التساؤل بأن الثلاثة الخليل والأصمعي وأبا زيد تعاصروا زمنا طويلا (١) .

ويرد الدكتور حسين نصار بأن التسلسل الزمني معقول نظريا لا عمليا ويرى أن المرحلة الأولى اختلطت فيها عدة دراسات حول القرآن والحديث ورسائل أخرى ينطبق عليها وصف هذه المباحث ، وهي كتب النوادر والأمالي وكان أكثر اللغويين القدماء يملون على تلاميذهم من معارفهم بلا نظام معين (٢)

ويذهب المرحوم الدكتور محمد أبو الفرج إلى أن البداية المعجمية التي ابتدأ بها العرب كانت حول دراسة الكلمة بالنسبة للقرآن الكريم . فقد كانت من الفاظ القرآن ما هو غريب على بعض العرب ليسأل الجاهل منهم عنه العارف فيفسر العارف بطريقته الخاصة ما استغلق على السائل وكان من أول الذين عرفوا في هذا الشأن عبد الله بن عباس الصحابي المتوفي عام ١٨ ه وله كتاب يسمى غريب القرآن ولكنه يشك في نسبة الكتاب إليه .

وقد ذهب دكتور إبراهيم نجا في كتابه « المعاجم اللغويه »(٣) إلى أن تسجيل اللغة قد سلك طرائق مختلفة ويرى أنه قد بدأ أولا بتاليف رسائل خاصة في الالفاظ والمعاني وهذه أسبق المراحل اللغوية وقد تبعها كثير من الثقات مثل

---

(١) ضحى الاسلام : أحمد أمين : الجزء الثاني ص ٢٦٤ .

(٢) المعجم العربي : نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ج ١ ص ٣٥ .

(٣) المعاجم اللغويه دكتور إبراهيم محمد نجا ص ١ مطبعة الموسكي ١٩٦٨ .

الأصمعى فى أسماء الوحوش والغابات والشجر وأبا حنيفة الدينورى فى الأنواء والنبات ثم اتجه العلماء إلى إيراد الألفاظ الموضوعة لمختلف المعانى مثل كتاب الالفاظ لابن السكيت المتوفى عام ٢٤٤هـ، والألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى المتوفى عام ٣٢٧هـ ومبادىء اللغة للاسكافى المتوفى عام ٤٢١هـ وفقه اللغة للثعالبى المتوفى عام ٤٢٩هـ والمخصص لابن سيده المتوفى عام ٤٥٨هـ. ثم اتجه العلماء إلى إخراج مؤلفات تجمع الألفاظ بطريقة خاصة وتشرحها شرحا دقيقا مؤيدا بما يدعم وجهتهم من القرآن والحديث وفصيح الشعـــر ، وذكر دكتور إبراهيم نجا أن لفظ معجم لا يعرف على وجه التحديد متى أطلق ومتى شاع ويقال أنه أطلق أولا على معجم الصحابة لأبى يعلى وتبعه البغوى فى كتابيه اللذين ألفهما فى أسماء الصحابة وأطلق على أحدهما المعجم الكبير وعلى الآخر المعجم الصغير ثم شاع إطلاق هذه اللفظة على الكتب الجامعة من حديث وأدب وتاريخ وغيرهما كمعجم الادباء والبلدان لياقوت الحموى .

لكن هذا الرأى الذى ذكره دكتور إبراهيم نجا لا يقترب من الصواب فقد ذكر أن ثانية المراحل وهى إيراد ألفاظ موضوعة لمختلف المعانى وذكر كتاب الالفاظ لابن السكيت المتوفى عام ٢٤٤هـ فكيف يسبق الخليل وقد توفى الخليل قبله بكثير . ورأينا كتاب الألفاظ الكتابية للهمذانى وقد توفى عام ٣٢٧هـ كيف يسبق ابن دريد فى الجمهرة وقد توفى عام ٣٢١هـ ومثل ذلك يقال عن مبادىء اللغه للاسكافى المتوفى عام ٤٢١هـ ، والثعالبى فى فقه اللغة وقد توفى عام ٤٢٩هـ ، ونرجح أصح الأراء التى ذكرها أحمد أمين وصححها دكتور حسين نصار وتابعه دكتور محمد أبو الفرج . شارك ابن دريد إذن فى المراحل الأولى لجمع اللغة وكانت مشاركته بهاتين الرسالتين صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث وشارك بكتب أخرى عفى عليها الزمن منها كتاب غريب القرآن وغريب الحديث .

(١) كتاب صفة السرج واللجام :

أهتم اللغويون فى المرحلة الأولى لجمع اللغة بالتأليف فى الخيل والأبل لما لها من أهمية خاصة عند العربى ، فالخيل عنده عدته للقتال وزينته يفتخر بها أمام الناس والإبل وسيلة المواصلات الرئيسية وكان الشعـــراء فى الجاهلية يفخرون بخيلهم مثل امرىء القيس وعنترة الذى كان قد وضع لفرسه اسما وكان يحاوره الحديث . وكان العربى يصون الخيل ويكرمها حتى أن الرجل ليبيت جائعا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده .

يقول هشام بن محمد بن السائب فى مقـــدمة كتاب أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام «كانت العرب ترتبط الخيل فى الجاهلية والإسلام معرفه بفضلها وماجعل الله تعالى فيها من العز وتشرفا بها وتصـــبر على المخمصة واللاواء ... وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد ، وتفتخر بذلك فى أشعارها فلم تزل على ذلك من حب الخيل ومعرفة لأفضالها حتى بعث الله نبيه عليه السلام فأمره الله باتخاذها وارتباطها » (١) .

وقد بلغ من اهتمام اللغويين بالتأليف فى الخيل إلى الكتابة فى أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها مثلما فعل ابن الكلبى فى كتابه أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها وهو يتحدث عن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم «لزاز ولحاف والمرتجز والسلب واليعسوب» .

ويتحدث عن داحس والغبراء وعن خيل للعرب مشهورة » .

---

(١) أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها لابن الكلبى تحقيق دكتور أحمد زكى ص ٦ — الدار القومية للطباعة ١٩٦٥ .

ومن مؤلفي الخيل في المرحلة الأولى النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٤هـ وأبو عمرو الشيباني المتوفى عام ٢٠٦هـ وابنه عمرو بن أبي عمرو الشيباني المتوفى عام ؟ هـ والتوزي المتوفى عام ٢٢٣هـ والرياشي المتوفى عام ٢٥٧هـ وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠هـ وله ثلاث كتب في الخيل وأسمائها وحضرها ..

وفي القرن الرابع نجد من مؤلفي الخيل ابن الانباري المتوفى عام ٣٠٤هـ والزجاج المتوفى عام ٣٢٠هـ واليزيدي المتوفى عام ٣٤٠هـ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١هـ وأبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء المتوفى عام ٣٢٥هـ وأبو علي القالي المتوفى عام ٣٥٦هـ هذا عن المؤلفين وقد ذكر أبو علي القالي في كتاب الأمالي شيئاً عن ترتيب أسنان (١) الابل وأسمائها وكرام الابل ومايستحب طوله وقصره (٢) من الفرس ومايستحب من الفرس هذا وقد جمع الثعالبي (٣) بعضا من أوصاف الفرس بالكرم والعتق وأوصاف الفرس التي جرت مجرى التشبيه وخصص ابن سيده (٤) في المخصص فصلا عن الفرس وأوصافها وغير ذلك نجد من كتب الادب التي كانت تنقل عن الآخرين فأنها لاتخلو من وصف للفرس والابل .

أما ابن دريد في كتابه صفة السرج واللجام فإنه يختار أهم شيء للفرس وهو مايجعله معدا للقتال أو الركوب وهو السرج واللجام وقد ذكر ابن النديم (٥)

---

(١) كتاب الأمالي لابن علي القالي ج١ ص ٣٣

(٢) المصدر السابق ج٢ ص ٢٠٥ و ٢٥٢

(٣) فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور الثعالبي ص ٢٢٩

(٤) المخصص الجزء السادس لابن سيده ص ٩٤

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٨٦

أن لأبي عبيده معمر بن المثنى كتابين هما كتاب السرج وكتاب اللجام ولم يصلنا الكتابان .

سبب تأليف الكتاب ومنهجه فيه :

لم يذكر ابن دريد فى مقدمة الكتاب سبب تأليفه الكتاب وقد اعتاد أن يذكر فى مقدمة كتبه سبب تأليفه ونعتقد أن سبب التأليف واضح فلا حاجة لذكره أو ربما كتب مقدمة وضاعت فهو يدخل فى الموضوع مباشرة دون تمهيد .

أما منهجه فى الكتاب فقد قسم الكتاب إلى قسمين قسم تحدث فيه عن السرج وتعريفه وأنواعه ونلاحظ هنا أنه لا يفسر المادة لغويا كعادته بل إنه أحيانا يحلل الكلمة صرفيا ومثال ذلك ما قاله « والقربوس فى وزن مفعول وهى مقدمه ومؤخره » (١)

وقال فى موضع آخر « ثم المثيرة غير مهموز وهو ماتمشى ظهر السرج بين القربوسين ونهى عن ركوب المياثر الضمر وأصلها من قولهم فراش وثير إذا كان كثير الحشو وكان فى الأصل بوثره فقلبت الواو ياء لكسرة الميم لأنها ميم مفعلة)

والقسم الثانى من الكتاب عن وصف اللجام ، ومن صفاته للسرج يصف القربوسين من السرج وهى بمنزلة السرخين من الرحل وخشبة القربوس يسمى القبقب ويصف بعض اجزاء السرج فهناك الابزيم وهى حلقة تعطف ويكون وسطها حديده شبيهة بفأس اللجام صغيرة تدخل فى الثقب وفى الحزام سير دقيق يعقد بالحلقة الثانية التى تشد فيها الطية يسمى الاطنابه .

---

(١) كتاب صفة السرج واللجان ضمن مجموعة جرزة الحاطب وتحفة الطالب باشراف ولى رايت سنة ١٨٨٢ ص ١ و ٢

ومن وصفة للجام « اللجام (١) هو الحديدة التى فى فم الفرس ثم كثر فى كلامهم حتى سمى اللجام بسيوره وآلته لجاما — وفيه السكيمة والمسحل وهو حديدة تحت الحنك وفى اللجام الفراستان وهى الحديدتان اللتان يشد بهما أطراف العذارين » .

ويستعين ابن دريد فى شرحه بالشعر وقد لا يأتى بالبيت كاملا قال مثلا :

وفى الحزام أيضا ابزيم قال الشاعر :

يدق ابزيم الحزام حشمة

وقد لا يذكر اسم الشاعر كما ذكر فى قوله (٢) والسير الذى يجمع بين الخياصتين الطبة والجمع طباب وأنشد :

ارته من الحرباء فى كل موطن طبابا فمأواه النهار المراكد

وشرحه فى الكتاب غامض بعض الشيء فهو لا يذكر اشتقاق الأسماء الذى يذكرها وهو ينقلها نقلا وربما حفظها ابن دريد عن شيوخه ولكنه أمين فى نقلة ورغم عدم وضوح شرحه وتفسيره فان الكتاب تراث خالد لجمهور اللغويين الأول فى مرحلة جمع اللغة الاولى والتى شارك فيها ابن دريد مشاركة فعالة .

---

(١) صفة السرج واللجام لإبن دريد ضمن مجموعة جرزة الحاطب وتحفة الطالب اشراف وليم رايت ص ٧

(٢) المصدر السابق ص ٢

كتاب صفة السحاب والغيث

كتب ابن دريد هذه الرسالة فى مرحلة جمع اللغة الأولى واختار السحاب والغيث لما للسحاب والمطر من أهمية عند العربى، فالعربى ينتظر الغيث ويتمناه فهو يعيش فى صحراء لا انهار فيها فالمطر حياته ومصدر رزقه منه يشرب وبه يزرع بعض ما يأكل منه وأحب العربى الرياح التى تحمل الخير مثل ريح الصبا. وكره الرياح الخبيثة ورأينا من أسباب الصراع بين القبائل قتالهم حول الماء بل أن شاعرهم كان يعتز بأن قومه يردون الماء قبل غيرهم فهم يشربون الماء صفوا لا كدر فيه، قال عمرو بن كلثوم:

ونشرب أن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

وقد يكون معنى البيت أنهم مقدمون فى كل شىء سابقون لغيرهم من القبائل واختار الماء لأنها صلة الصراع ومصدر الخير، وجاء الإسلام وانتشر وفتح بلاداً كثيرة جلبت الخير للمسلمين وكانوا سادة العالم آنذاك ورغم ذلك فقد حدثت أزمات للمسلمين مثل عام الرمادة عام ثمان عشرة للهجرة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان من أسبابها عدم نزول الغيث، ولذلك عرف الإسلام صلاة الإستقساء وفيها يطلبون من الله تعالى المطر ليعيشوا. عرف ابن دريد بذكائه ماللمطر من أهمية عند العرب فكتب فيه ولانعرف أحداً اختار هذه الصفة (صفة السحاب) الحامل للمطر ولكننا نجد أهم كتب المطر وهو كتاب المطر لأبى زيد الأنصاري م ٢١٥ ﻫ وقد وصلنا كتاب أبى زيد ونشر مفردا ونشر مع مجموعة باسم البلغة فى شذور اللغة بإشراف أوغست هفنر وتحتوى المجموعة على كتاب النبات والشجر للأصمعى وكتاب النحل والكرم للأصمعى وكتاب المطر لأبى زيد

الأنصارى ونجد بعد ابن دريد من ذكر عن المطر والسحاب ، الثعالبى فى فقه اللغة وسر العربية ، وخصص ابن سيده فى معجمه المخصص فصلا عن السحاب والمطر وذكر النويرى فى نهاية الارب بعضها عن أمور المطر والسحاب ولكن كل هؤلاء كانوا نقلة عن أبى زيد والاصمعى وابن دريد ، فلابى زيد الانصارى وابن دريد فضل السبق والتأليف .

سبب تأليف كتاب صفة السحاب والغيث ومنهجه فيه

يذكر ابن دريد فى مقدمه الكتاب سبب تأليف الكتاب ومنهجه فيه فيقول فى مقدمة الكتاب « هذا كتاب جمعنا فيه ما ذكرته العرب فى جاهليتها وإسلامها من وصف المطر والسحاب وما نعته لرواد من البقاع ونرغب إلى الله عز وجل فى التوفيق للصواب »

وفى هذا الكتاب نجده ينقل عن العرب ويذكر أحاديث للاعراب ثم يشرحها ويفسرها لغويا فمهمته فى هذه الرسالة كانت التفسير والشرح لما نقله عن الأعراب ونلاحظ أن ابن دريد ابتدأ كتابه بحديث النبى - ﷺ - عن السحاب وقد ذكر أبو على القالى هذا الحديث فى كتابه الأمالى (١) وتلك ملاحظة نستدل بها على تقدم علوم الدين عند ابن دريد على غيرها كما رأينا ذلك عنده فى كتاب المجتنى وكتاب الاشتقاق ويتخذ ابن دريد من الاحاديث التى يرويها ما يتعلق بالسحاب والغيث فيفسرها وقال ذلك ماذكروا فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم - حين قالوا يارسول الله هذه سحابة فقال : كيف ترون قواعدها قالوا ماأحسنها وأشد

(١) كتاب الأمالى لابن على القالى الجزء الأول ص ٩

استقامتها ذكر تفسير العبارات فقواعدها : أسافلها ورحاها وسطها ومعظمها وبواسقها أعاليها (١)

وهكذا يستمر فى تفسير الألفاظ فيشرحها باختصار تارة وباسهاب تارة أخرى ثم يختار ابن دريد أحاديث لبعض العرب عن السحاب والمطر يراها الأصمعى أو أبو حاتم السجستانى ونلاحظ أنه يختار ما يكون من الأحاديث التى تمتلىء بغريب اللغة فيشرحها ويفسرها ومثال ذلك ماذكره من حديث معمر بن حماد مع ابنته حين سمع رعداً وقال لها ماترين فقالت أراها حماء عقاقة كأنها حولاء ناقة لها سيروان وهدروان فقال مرى ولابأس عليك .

ويفسر ابن دريد هذه الألفاظ فيقول : « قولها حماء عقاقة : الحماء السوداء تضرب إلى الحمرة والعقاقة تنعق بالبرق والحولاء جلدة رقيقة تقع على سلبل الناقة كأنها مرآة »

فمهمته فى الرسالة كانت تفسيراً وشرحا للألفاظ الغريبة عن السحاب ، وتحدث ابن دريد عن السحاب فذكر السد وهو السحاب الذى يسد الأفق والعوارق وهى قطع من السحاب تتفرق عنه والهيدبو هو ما تدلى من السحاب ، والسحاب العارض والرباب وهو من السحاب تراه كأنه متعلق والقزعة وهى القطعة من السحاب صغيرة ومن المطر الديمة وهو المطر يدوم أياما فى سكون والطبق من المطر الذى يطبق الأرض والمربع الذى يمرع أى يخصب والمجلجل الذى تسمع لرعده جلجلة والمسحنفر الجارى والسح الصب والسفوح المنسفح .

---

(١) كتاب صفة السحاب والغيث ص ٢ (ضمن مجموعة جرزة الحاطب) تحت إشراف وليم رايت

ونلاحظ أن ابن دريد لا يسير على منهجه الذى ذكره فى المقدمة فهو يذكر أنه جمع أخبار ما ذكرته العرب فى جاهليتها وإسلامها من وصف المطر ومانعته الرواد وهو يشرح هذه الأخبار أو لا يشرحها رغم حاجته للشرح فمنهجه مضطرب بعض الشىء ورغم هذه العيوب فإننا نتخذله عذره بأنه حاول أن يجمع ما استطاع جهده من أحاديث العرب وهم أهل البادية التى كان ينتقل إليهم العلماء وينقلون عنهم وهم أهل الفصاحة وكان العلماء اللغويون يقضون معهم أوقاتا كثيرة بل بلغ الأمر بعد ذلك أن الخلفاء كانوا يرسلون أولادهم إلى البادية ليتعلموا العربية الفصيحة ، وإذا كان ابن دريد قد ذكر فى شرحه كثيرا من غريب اللغة فإننا نلاحظ أيضا أنه ذكر أحاديث يكثر فيها البديع وهى أحاديث مسجوعة منسقة مرتبة . وهذا يؤيد ماذكر من قبل عن تمهيده لفن المقامات فى الأدب العربى .

وإذ ألقينا نظرة على كتاب المطر لأبى زيد الأنصارى الذى نشر مع مجموعة كتب الأصمعى ، نرى منهجه يختلف عن منهج ابن دريد فهو يذكر فى مقدمة كتابه فقرات المطر ومراحله قال ,, قال القيسيون أول المطر الوسمى وأنواؤه العرقوبان المؤخرتان من الدلو ثم الشرط ثم الثريا وبين كل نجمين نحو من خمس عشر ليلة ثم الشترى بعد الوسمى ،، (١) .

وهو يذكر لنا أول أسماء المطر القطقط وهو أصغر المطر والرذاذ وبقية أسمائه مثل الطش والديمة والذهاب وغير ذلك .

---

(١) مجموعة البلغة فى شذور اللغة تحتوى على كتب للاصمعى وكتاب المطر لأبى زيد ص ٢ ، نشرها أوغست هفنر ببروت .

ويذكر لنا من أسماء السحاب ــ الغيمة ــ الغراء ــ الجماء ــ والخلق وغير ذلك .

فكتاب أبي زيد الأنصاري تعريف لأسماء المطر والسحاب دون تفسير هذه الأسماء وبذلك يتميز ابن دريد بالشرح والتفسير .

وقد ذكر الثعالبي في فقه اللغة من أوصاف السحاب عن أكثر الأئمة :

« أول ماينشأ السحاب فهو النشيء ، فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب فإذا تغيرت له السماء فهو الغمام فإذا أظل السماء فهو العارض »(١)

ففي أمطار الأزمنه يروى عن ابي عمرو والأصمعي « أول مايبدو المطر في إقبال الشتاء فاسمه الخريف يليه الوسمي ثم الربيع ثم الصميم ثم الحميم » .

وفي تفصيل أسماء المطر وأوضاعه عن أكثر الأئمة « إذا أحيا الأرض بعد موتها فهو الحياء فإذا جاء عقيب المحل أو عند الحاجة اليه فهو الغيث فإذا دام مع سكون فهو الديمة ... الخ »(٢)

وما ذكره الثعالبي فهو منقول عن اللغويين الأولين ولكنه يرتب هذه الأوصاف ترتيبا منتظما .

أما ابن سيده فقد ذكر في معجمه المخصص وصفا للسحاب والمطر ويتميز ابن سيده وهو أيضا جامع وناقل عن غيره من العلماء ــ أنه لا ينقل إلا من الثقة مثل الخليل وابن الأعرابي وابن دريد وغيرهم . يقول ابن سيده « في السحاب

---

(١) و (٢) فقه اللغة وسر العربية أبي منصور الثعالبي ص ٤١٠ و ٤١٢

وأنواعه - صاحب العين - سميت سحابة لانسحابها فى الهواء - أبو عبيدة - الدجن اظلال السماء الأرض - ابن دريد الجمع ادجان ودجون وليلة مدجان ،، أما عن المطر فقال : ,, أبو زيد الرش المطر الخفيف القايل ... الخ ،، (١)

ونستطيع أن نقول أن ابن دريد وأبا زيد كانا مصدرين لكل من كتب فى المطر والسحاب مثل الثعالبى فى فقه اللغة وسر العربية وابن سيده فى المخصص والنويرى فى نهاية الأرب .

---

(١) معجم المخصص لابن سيده الاندلسى المجلد التاسع ص ٩٣ طبعة بولاق ١٣١٩ هـ

الديوان

ديوان ابن دريد :

مقدمة :

نشر ديوان ابن دريد بالقاهرة عام ١٩٤١م وقام بتحقيق الديوان السيد محمد بدر الدين العلوى أستاذ اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية ـ عليكرة ـ وقام المحقق بمجهود فجمع شعر ابن دريد من كتب الأدب المختلفة التى تناثر فيها أشعار ابن دريد وأهم هذه الكتب كتاب الأمالى لأبى على القالى الذى كان تلميذا مخلصا لابن دريد وأمالى الزجاجى وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، وغير ذلك من كتب الطبقات . وقدم المحقق إلينا من الديوان وصاحبه فذكر مختصرا عن حياة ابن دريد وحاول تصحيح ماحرف من شعره فى كتب الأدب المختلفة .

كان ابن دريد شاعرا ولكن هل كان شاعرا محترفا أم هاويا نظم الشعر ؟

يذكر المسعودى فى مروج الذهب « وكان مجيدا قد برع فى زمننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين ، وكان يذهب فى الشعر كل مذهب فطوراً يجزل وطوراً يرق وشعره أكثر من أن نحصيه » (١) .

ويذكر الوزير جمال الدين القفطى فى أنباه الرواه عن ابن دريد ,, وكان رأس العلم والمتقدم فى حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب وله شعر كثير ،، (٢) .

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلى بن الحسين المسعودى ج٤ ص ٣٢٠

(٢) أنباه الرواه على أنباه النحاه للقفطى ج٢ ص ٩٢ تحقيق محمد أبى الفضل

وتذكر كتب الطبقات مثل شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ومراتب النحويين لأبي الطيب أنه كان يقال أن ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء ، يقول أبو الطيب : ,, وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على شعر وما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامها فى صدر خلف الأحمر وأبى بكر بن دريد ،،(١)

ونستطيع أن نفهم من هذه النصوص أن ابن دريد كان شاعراً وكان يحفظ أشعار العرب ويذكر أبياتا من الشعـــر فى كتبه التى صنفها يستشهد بها وخاصة الجمهرة والاشتقاق وقد مر بنا أنه حفظ ديوان الحارث بن حلزه فى مدة قصيرة لا تتجاوز وقت الغذاء وقد روى ابن دريد كتاب معانى الشعر للاشنانداني وهو من الكتب الأولى فى شرح الشواهد الشعرية .

ولكن الدكتور زكى مبارك يرى أن ابن دريد كان شاعرا مقلا تحفظ له الأبيات والمقطوعات وبعض القصائد ولكنه كان يسكب روحه فيما ينظمه من الشعر فتسرى معانيه قوية سحاقة بلا جلبة ،، (٢)

ويرى أحمد الاسكندرى أن ابن دريد ,, لم يكن شاعرا من حيث صناعته — وكان ينظم الشعر كلما بعثته باعثه من المديح أو الهجو إذ كان فى الأصل عالما مدرسا مصنفا (٣) .

ونحن نرى أن ابن دريد كان شاعرا مجيدا رغم أنه لم يكن محترفا وأن مقصورته

---

(١) مراتب النحويين لأبى الطيب عبد الواحد بن على اللغوى تحقيق محمد أبى الفضل ص ٩٤

(٢) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : دكتور زكى مبارك ج١ ص ٢٧٩

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية فى العصر العباسى : أحمد الاسكندرى ص ١٠٠

الرائعة التى ذاع صيتها لتدل على إبداعه الفنى وقريحته الشعرية الذكية وسعة ملكته اللغوية ولذلك نراه يستعرض ملكته اللغوية وقوة حفظه فى كثير من شعره.

ويقال إن ابن دريد ابتدأ نظم الشعر وعمره عشرون عاما ويروى له بيتان يقال إنهما أول شعره وهما :

ثوب الشباب على اليوم بهجته وسوف تنزعه عنى يد الكبر

أنا ابن عشرين مازادت ومانقصت إن ابن عشرين عن شيب على خطر

والبيت الثانى يشير إلى أن ابن دريد نظم الشعر وعمره عشرون عاما وهذا يدل على ملكة شعرية مبكرة عند ابن دريد .

مذهب ابن دريد الشعرى :

كان ابن دريد شاعرا ولكنه لم يكن مشهورا فى عصره أنه شاعر أكثر من شهرته اللغوية ولكن مقصورته التى سبق بها الشعراء جعلته ذا شهرة عريضة بين الخلف الذين عارضوه فيها . وكان ابن دريد ينظم الشعر إذا دعت الحاجة إلى ذلك فقد كان له أعداء يعرضون به مثل نفطويه والباهلى اللغوى المتوفى عام ٢٣١ﻫ وكان يمدح كثيرا من الأشراف وأشهر ممدوحيه ابنا ميكال وقد مدح غيرهما مثل حجر بن أحمد الحويمى وابن يحيى من أهل البصرة ومثل يحيى بن عبد الوهاب البصرى الكاتب .

ولابن دريد مراث بديعه أشهرها مرثيتان للامام الشافعى ومرثية لابن جرير الطبرى .

وقد ذكر ابن دريد فى المقصورة أن شعره نفثه المصدور (١) .

---

(١) شرح المقصورة الدريدية (مع مجموعة لامية العرب) البيت رقم ٧٥

لكنها نفثة مصدور إذا　　　جاش لغام من نواحية غما

ويقول فى قصيدة له فى الديوان (١).

حبا الشعر تعظيما أناس وإنه　　　لاحقر عندى من نفاثة نافث

وهل يحفل البحر اللغام إذا عمى　　　فطاح على تياره المتلاطث

ونجد من شعره مايتضح اتصاله بقومه وبعاطفته التى لاتنسى موطنه وأهله وله قصيدتان يعرض فيهما قوله على أخذ الثأر لمن قتل منهم فى موقعة الروضة والقصيدة الأولى قالها يرثى من قتل فى هذه الوقعة (٢) ويقول فى أولها :

إنما فازت قداح المنايا　　　يوم حازت حفلها بتنوفا

يوم قالت للردى استقصى حظى　　　يوم لم تصطف إلا الشريفا

والقصيدة الأخرى وهو يحرض قومه على أخذ الثأر وأولها :

وله نابه وخطب جليل　　　بل رزايا لهن عبء ثقيل

بدأ ابن دريد نظم الشعر وعمره عشرون عاما وأول شعر قاله البيتان اللذان ذكرناهما ثم تدرج فى قول الشعر حتى صار ذا منزلة عظيمة فى الشعر وشعره يجمع فيه النسيب مثل الأقدمين وفيه مدح وهجاء وحماسة ووعظ ويتحدث عن أخلاق الناس وهو يستعمل المرونة الشعرية تارة ومرة يظهر كماله فى الدقائق اللغوية مثل تعريضه بالباهلى وقصديته المقصورة والممدود وفية الحكمة ونرى فى بعض شعره صنائع وبدائع كما فى مراثيه

أما مقصورته الرائعة التى سنتحدث عنها فهى تدل على ملكة شعرية وقد حاول

---

(١) الديوان ص٤٨ البيت رقم ٣٤ و ٣٥ من القصيدة الثائية.

(٢) الديوان قصيدة ابن دريد اللامية والفائية

الخروج فيها عن طريقة الجاهليين وصدر الإسلام فى النسيب والتشبيب وكان محافظا فيها على بساطة العرض وعدم التكلف الصناعى غير ماذكر فيها من بعض الألفاظ الغريبة .

وينبغى أن نشير إلى أن ابن دريد كان يروى الشعر وكان ناقدا لغويا لهذا الشعر وقد ذكر السبكى (١) فى طبقات الشافعية خبرا مؤداه أن أحد الحاضرين انشد بيتين يعزيان لآدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى حسن وطيب وقل بشاشة الوجه المليح

فقال ابن دريد هذا الشعر قد قيل قديما وجاء فيه الاقواء . قال أبو سعيد السيرافى تلميذ ابن دريد وراوى الخبر ،، فقلت له إن كان له وجها يخرج عنه الاقواء نصبت بشاشة وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين فيكون بهذا التقدير نكره منتصبة على التمييز ثم رفع الوجه بإسناد قل إليه فيصير وقل بشاشة الوجه المليح .،، ويعقب السبكى على هذا الخبر ويقول ،، وغير أنى رأيت أبا العلاء المعرى فى رسالته التى سماها رسالة الغفران قد أنكر على ابن دريد إنشاد هذا الشعر على وجه الاقواء وذكر أن الرواية الصحيحة :

وغودر فى الثرى الوجه الفليح

قال أبو العلاء والوجه الذى قاله أبو سعيد فى تخريجه شر من الإقواء عشر مرات ،، (٢) .

---

(١) طبقات الشافعية : السبكى جـ٢ ص ٢١٢

(٢) نفس المصدر السابق جـ٢ ص ٢١٢

وقد التقط د. زكى مبارك هذا الخبر واتخذه هدفا للهجوم على ابن دريد ورأى أنه على سعة عقله وقوة ذكائه كان يطمئن إلى بعض الحقائق المزيفة التى يتداولها الناس فكان يذكر أن أول من أقوى الشعر أبونا آدم عليه السلام فى قوله :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح

وأردف زكى مبارك ,, وهذه سذاجة مطبقة أن نظن أن آدام كان يتكلم العربية حتى يؤخذ عليه أنه أول من وقع عليه الإقواء ،، (١) .

ونستطيع أن نجد دليلا ندافع به عن ابن دريد فى هذا الخبر ذلك أن ابن دريد لم يكن راويا له وأنه قال عندما أنشد أحد الحاضرين هذا الشعر ,, هذا الشعر قد قيل قديما ،، ولم يقل إنه منسوب لآدم عليه السلام .

ومن نقد ابن دريد للشعر ماروى عن أبى على القالى أنه روى أمام ابن دريد بيتا لامرىء القيس وهو :

وسالفة كسحوق اللبا ن أضرم فيها الغوى السعر

وقال ابن دريد وهذا محال وكيف تشبه عنق الفرس بشجرة اللبان وهى قدر قعدة الرجل وإنما هو كسحوق الليان ، والليان الفحل ،، (٢)

اقسام الديوان ومواده :

قسم محقق الديوان السيد محمد بدر الدين العلوى ــ الديوان تقسيما حسب

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : دكتور زكى مبارك جـ١ ص ٢٤٦

(٢) طبقات الشافعية : السبكى جـ٢ ص ١٤٥

الحروف الابجدية دون ترتيب الموضوعات أو الأغراض ، ذلك لأنه نقل معظم شعر ابن دريد من أمهات الكتب وخاصة أمالى أبى على القالى وهو يجمع قصائد وأبياتا وربما نقل بيتين أو أكثر وبدأ الديوان بقول ابن دريد :

ليس السليم سليم أفعى حره	لكن سليم المقلة النجلاء
نظرت ولاوسن يخالط عينها	نظر المريض بسورة الاغفاء

وقد ذكر هذين البيتين أبو على القالى فى أماليه (١) تحت عنوان « فصل ماقيل فى فنون الظرف » وننتقل إلى شعر ابن دريد الذى وضعه لهدف فذكر قصيدة لابن دريد يمدح فيها المشتغلين بالحديث الشريف ونجد فى هذه الأبيات شعرا قلقا غير مبدع فالابيات كأنها تخلع من مكانها أو هو يجرى وراءها ليضعها فى مكانها . يقول ابن دريد يمدح المشتغلين بالحديث :

أهلا وسهلا بالذين أودهم	وأحبهم فى الله ذى الآلاء
أهلا بقوم صالحين ذوى نفحات	غر الوجوه وزين كل ملاء
يسعون فى طلب الحديث بعفة	وتوفر وسكينة وحياء
لهم المهابة والجلالة والنهى	وفضائل جلت عن الإحصاء

ورغم قلق أبياته فإنا نجد فى هذه الأبيات روحا لحب الدين ومدح علمائه .

أما القصيدة التى ذكرها المحقق تحت عنوان « فصل فى معرفة مايمد ويقصر وأولها :

لاتركنن إلى الهوى	واذكر مفارقة الهواء

---

(١) أبوعلى القالى : الامالى جـ ١ ص ٥٢ .

فهى إن دلت فإنما تدل على براعة ابن دريد اللغوية واستغلالها فى الشعر ، ومن المؤكد أن ابن دريد نظم هذه القصيدة للتعليم كما فعل فى المقصورة وأحاديثه المتناثرة فى كتاب الأمالى لأبى على القالى وقد استطاع ابن دريد تنسيق الألفاظ واختيار كلمات مرتبة فذكر كلمات فى الشطر الأول مقصورة وفى الشطر الثانى ممدودة ومعناهما مختلفان ، وأحيانا يختار ألفاظا مقصورة فى الأول من البيت وممدودة فى الشطر الثانى والمعنى واحد . مثل النوع الأول (الهوى ، الهواء) والثرى والثراء ، ومن النوع الثانى (الفحى والفحاء) والخوى والخواء .

ويفصل القول فى نوع كل قسم ذكره . وهذا يدل على تمكن لغوى بارع وذكاء مبدع جعله من التمكن بحيث ينظم أبياتا بهذه الصورة التى رأيناها .

وتسمى هذه القصيدة فى كثير من المصادر بالمقصورة الصغرى . وهو مانجده عند التبريزى (١) فى شرح المقصورة الدريدية فبعد أن شرح المقصورة ذكر هذه القصيدة وسماها المقصورة الصغرى ولكنها ليست مشروحة ونجدها فى مجموعة أعجب العجب (٢) فى شرح لامية العرب الزمخشرى تحت اسم المقصورة الصغرى ولكنها ليست مشروحة ، وتسميها بعض المصادر منظومة فى المقصور والممدود مع خلاف فى المعنى ، أو كتاب المقصور والممدود وتوجد نسخة مخطوطة فى مجموعة ومعها شرح قصيدة أبى مدين ومعها منظومة فى المقصور والممدود (٣) .

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد للتبريزى طبع دمشق ، ذيل شرح مقصورة ابن دريد . ص ٣٤٥

(٢) أعجب العجب فى شرح لامية العرب للزمخشرى ؛ ذيل المقصورة الكبرى ص ٢٤٥ .

(٣) مجموعة تشتمل على شرح قصيدة أبى مدين ومنظومة فى المقصور والممدود مع اختلاف المعنى لابن دريد . مخطوطة مكتبة بلدية الإسكندرية تحت رقم ٥٢٤ ب

والقصيدة حكم عن الزمان والدهر ونصائح تحذر من الدنيا وتذكر بالموت. وتنقسم القصيدة إلى أقسام فالقسم الاول هو باب مايفتح أوله ويقصر ويمد والمعنى مختلف ومثال ذلك :

لاتركنن إلى الهوى ... واذكر مفارقة الهواء
يوما تصير إلى الثرى ... ويفوز غيرك بالثراء

ومن القسم الاول أو الباب الأول كما يسميه ابن دريد :

وأرى العشا فى العين أكـ ... ـثر مايكون من العشاء
وأرى الخوا يذكى عقو ... ل ذوى التفكير فى الخواء

وإذا قارنا بين الألفاظ التى ذكرها ابن دريد فإننا نجد (الهوى والهواء) فى الشطر الأول والأول مقصور والثانى ممدود والمعنى مختلف. وفى البيتين الآخرين (العشا والعشاء) ، العشا داء فى العين ، والعشاء الأكل عشيا ، والمعنى مختلف ، (والخوا والخواء) فالخوى الجوع والممدود الخواء الهواء والمعنى مختلف ، وهكذا نجد ابن دريد يستعرض سعة علمه باللغة ويسدى نصائحه إلى تلاميذه والناس ونلاحظ هنا وفى مقصورته الكبرى أنه يكثر من ذكر مصائب الزمن ومحن الدهر ويحذر عن الدنيا والوقوع فى غلوائها . ولاشك أن نفسية ابن دريد قد أصيبت بيأس فى فترة من الفترات ولذلك عده الدلجى من المنكوبين وجعل فلاكته فلاكة نفسية » (١).

ونستطيع أن نجمل القـــول أنه فى الباب الأول ينصح بعدم الركون إلى الدنيا وهوى النفس فإن الموت قادم لامحالة ، وكم من عظيم كان له المكانة والشرف

---

(١) الفلاكة والمفلوكون : الدلجى مطبعة الشعب . ص ١٧١

ووری التراب یعیش وحیداً فی قبره بعد أن کان لا یجد متسعا من الوقت یخلو فیه إلی نفسه .

أما الباب الثانی وهو باب ما یکسر أوله فیقصر و یمد والمعنی مختلف فمن أمثلته :

کم من عظـــام باللوی قد فارقت خنق اللواء
وأری الغنی یدعو الغنـــــــــی إلی الملاهی والغناء
یفنی الانا بعد الانا ومناه فی ملء الاناء

ونستعرض الشواهد فی هذا الباب فنجدها (اللوی - واللواء) فاللوی مقصور وهو حیث یستدیر الرمل ویری ویلتوی ، واللواء ممدود وهو لواء الأمیر والرایة ، والغنی فی البیت الثانی والغناء ، الأول مقصور وهو ضد الفقر والغناء والسماع من شعر وغیره . وفی البیت الثالث (الانا - والاناء) فالانا هی الساعة والاناء الوعاء وهذا القسم کسابقه یدل علی حکم رائعة عن الزمان والحیاة .

أما القسم الثالث وهو باب ما یکسر أوله فیقصر ویفتح ویمد والمعنی واحد فمن أمثلته :

وأری البلی یبلی الجدیـــــــــد وکل شیء للبلاء
کم من أنا یفنی اللیـــــــــالی ثم یفنی بالإناء

فنجد فی البیت الاول (البلی والبلاء) فالأولی مقصورة بمعنی القدم والتغیر والثانیة ممدوده مفتوحه بمعنی الشیء البالی ونجد فی البیت الثانی الأناء والأناء بمعنی بلوغ الشیء منتهاه ، ومن براعة ابن درید اللغویة أنه ذکر لفظ الانا مرة

قبل ذلك فى باب ما يكسر أوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف فى الانا والاناء ثم ذكر (الانا والاناء) بمعنى واحد .

أما الأقسام الأخيرة من القصيده وهو باب ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد ومن أمثلته :

وسكنت بيتا ذا فحى | ولتخرجن من الفحاء

فالفحى والفحاء المتاع أو سقف البيت ، وهناك بيت واحد فى باب ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيه والمعنى مختلف وهو :

وأراك تنظر فى السما | لا صبر فى نظر السماء

فالسما الاول مقصور بمعنى "قرطاس والممدود الخفاش ، وهناك بيت أخير فى باب ما يضم أوله فيقصر ويفتح فيمد والمعنى مختلف : فهو :

شمس الضحى طلعت عليـــــك ولا ترى شمس الضحاء

فالضحى صدر النهار والضحاء النهار

وإذا استعرضنا أغراض الشعر عند ابن دريد فنجد أهمها الرثاء ولابن دريد مراث كثيرة أهمها : مرثيته لابن جرير الطبرى الفقيه المفسر المؤرخ المتوفى عام ٣٠٨ﻫ يقول راثيا أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى :

لن تستطيع لأمر الله تعقيبا | فاستنجد الصبر أو فاستشعر الحوبا

وافزع إلى كنف التسليم وارض بما | قضى المهيمن مكروها ومحبوبا

ويقول فيها :

أودى أبو جعفر والعلم فاصطحبا | أعظم بذا صاحبا إذ ذاك مصحوبا

إن المنية لم تتلف رجـــلا | بل أتلفت علما للدين منصوبا

أهدى الردى للثرى إذ نال مهجته | نجما على من يعادى الحق مصبوبا

والقصيدة جميلة رائعة وتقع فى خمسة وثلاثين بيتا وذكرها الخطيب البغدادى (١) فى تاريخ بغداد وذكرها أيضا السبكى فى طبقات الشافعية (٢) .

وقد رثى ابن دريد عمه الحسين بن دريد وكان أباه الروحى ومعلمه الاول ومتولى تربيته وكان قد جلب إليه الاشنانداني ليؤدبه وقال يرثى عمه :

نجم العلى بعدك منقض　　　وركنه الأوثق منهض
ياواحد لم تبق لى واحدا　　　يرجى به الإبرام والنقض
أو بل بطن الارض من ظهرها　　　يوم حوت جثمانه الارض

ومن مراثيه الرائعة رثاؤه الامام الشافعى وأولها :

بملتفيه للمشيب طوالع　　　ذوائد عن ورد التصابى روادع
تصرفنه طوع العنان وربما　　　دعاه الصبا فاقتاده وهو طائع

ويقول فيها :

لرأى ابن إدريس ابن عم محمد　　　ضياء إذا ما اظلم الخطب ساطع
إذا المعضلات المشكلات تشابهت　　　سما منه نور فى دجاهن لامع
أبى الله إلا رفعه وعلوه　　　وليس لما يعليه ذو العرش واضع

وقد أبن ابن دريد الامام الشافعى فقال فى قصيدة أولها :

وإذا قرأت كلامه قدرته　　　سحبان أويوفى على سحبان
لو كان شاهده معد خاطبا　　　وذور الفصاحة من بنى قحطان

---

(١) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادى الجزء ٢ ص ١٦٧ .

(٢) طبقات الشافعية : السبكى ج ٢ ص ١٣٨ .

ويقول فيها :

ذو فطنة فى المشكلات وخاطر	امضى وأنفذ من شباة سنان
وإذا تفكر عالم فى كتبه	يبغى التقى وشرائط الايمان
متبعا للدين غير مقلد	يسمو بهمته إلى الرضوان

والقصيدة تذكر فضل الإمام الشافعى ومنزلته العلمية . وقد عد السبكى فى طبقات (١) الشافعيه ابن دريد من الشافعية .

ومن مراثى ابن دريد التى تبين تعاطفه مع قومه فى عمان واتصاله بهم ماقاله يرثى من قتل من قومه فى وقعة الروضة وهو موضع بالقرب من تنوف باليمن ويقص علينا السالمى فى تحفة الاعيان (١) عن هذه الموقعة فيقول : ,,وأن جماعة من اليمن أرادوا عزل راشد بن النضر واتفق المآمرون مع جماعة أخرى على عزله وساروا جميعا وخرجوا جميعا إلى نزوى فأخذوا طريق الجبل يريدون عزل راشد بن النضر وكان الخبر قد اتصل به فلما صاروا بالروضة من تنوف من حدود الجوف وجه اليهم راشد بن النضر السرايا والجيوش - خيلا ورجلا - فكبسهم ليلا وهم نزول بالروضة من تنوف وهم لايشعرون فوقعت بينهم وقعة شديدة ،، .

وقال ابن دريد يرثى من قتل من قومه فى موقعة الروضة :

---

١) طبقات الشافعيه : السبكى ج ٢ ص ١٢٧

٢) تحفة الاعيان فى سيرة أهل عمان : محمد عبد الله بن حميد السالمى ج ١ ص ١٩٤

إنما فازت قـــداح المنـ ـايا ... يوم حازت خيارها بتنوفا
يوم قالت للردى استقص حظى ... يوم لم تصطف إلا الشريفا

وهو يتهدد ويتوعد من قتلوا بعضا من قومه فيقول :

يا سويد بن سراة ترقب ... ضربة تجتث منك الصليفا
قد كفاك النجم يوما ... تترك الصاحى منه نزيفا

وهو يواسى من بقى من قومه ويذكر أن الايام ستأتى بالسعد والنعمة فليأخذوا من الهزيمة درسا للنصر ويقول :

ان يكن يوم تصدى بنحس ... فلعـــل السعد يأتى رديـفا
او يكن ماأنفك لدغ زمان ... فعساه أن يرف رفيفا

والقصيدة رائعة ، أبياتها تنساب بألفاظ سلسة لاغريب فيها وتدل على ملكة شعرية رائعة . وترتبط بهذه القصيدة قصيدة أخرى قالها يعير قبائل قومه من ولد مالك بن فهم ويحرضهم على أخذ ثأر من قتل منهم بالروضة وهى :

وله نابه وخطب جليل ... بل رزايا لهن عبء ثقيل
بل غرام مياده بل دهار ... يس عظام وقوعهن وبيل

ويستثير همة قومه بقوله :

يابنى مالك بن فهم قتيلا ... بدهاريس عزهن البتـول
أن بالروضتين هاما نزافا ... لم يقل من ثوى هناك قتيل

وهو يذكرهم بأن أخذ الثأر لاوقت معه للهو والانتظار فيقول :

ليس شأن الموترين مهاد ... وغنـاء ومـزهر وشمـول

وصبوح مباكر وغبوق ... وشواء ودريك ونشيل
إنما ثوبه إذا اعتكر الأظـ ... ـلام ثوب الدجنة المسدول

وقال ابن دريد يرثى عبد الله بن عمارة :

بنفس ثرى ضاجعت فى بيته البلى ... لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا
فلو أن حيا كان قبرا لميت ... لصيرت أحشائى لأعظمه قبرا
ولو أن عمرى كان طوع أرادتى ... وساعدنى المقدار قاسمتك العمرا

ويبدو أن عبد الله بن عمارة هذا كان محظيا لدى ابن دريد فهذه الأبيات التى تفيض عاطفة ووفاء أن ابن دريد يتمنى أن يضع أحشاءه قبرا لعظام ابن عمارة .

ومن قصائد ابن دريد القصيدة الثائيه وهى تشتمل على النسيب والمدح والفخر والحكمة وقد بلغت ٩٥ بيتا أولها هذا النسيب :

أماطت لثاما عن أقاح الدمائث ... بمثل أساريع الحقوف العثاعث
ونصت عن الغصن الرطيب سوالفا ... يشب سناها لون أحوى جثاجث

وابن دريد فى هذه القصيده يلتمس الغريب من اللغة فيذكره ويظهر براعته اللغوية فى سعة الحفظ وبراعة التفكير . وافتتاحه بالنسيب هنا يعنى أنه كان يسير على طريقة الأقدامين ويحب الغريب من اللغة أو لعله ذكرها للتعليم ولكننا نلاحظ أنه لايطيل النسيب وينتقل فجأة إلى ذكر صديق له وهو شمس بن عمرو بن غانم ونصر بن زهران بن كعب بن حارث ثم يذكر طرفا من حالهما ، وقد ذكر السيد

على صدر الدين بن معصوم المدنى (١) فى كتابه أنوار الربيع فى أنواع البديع فى باب الاطراد « وهو أن يتحدث الشاعر باسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته وأين ذهب وقبيلته غالبا وما أمكن من ذلك مطردا مواليا فى بيت واحد من غير تعسف ولا تكلف » . وقال ابن معصوم المدنى « وقول ابن زيد وجمع ثمانية أسماء فى بيت واحـــد ولم يقع فى شواهد هذا النوع نظيره انسجاماً » .

فنعم فتى الجلى ومستنبط الندى ... وملجأ مكروب ومفزع لاهث
عياذ بن عمر بن الجليس بن جابر ... بن زيد بن منظور بن زيد بن وارث

وقد ذكر ابن رشيق فى العمدة (٢) أبياتا لبعض الشعراء وفيها اطراد مثل قول الأعشى :

انيس بن مسعود بن قيس بن خالد
وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

ومثل قول أبى تمام :

عبد الملك بن صالح بن على ... بن قسيم النبى فى بدر
وبالقصيدة فخر وأجله قوله
ولو أننى فيكم أسوت كلومكم ... وداويت منها غائقات الغثائث

---

(١) أنوار الربيع فى أنواع البديع : السيد على صدر الدين بن معصوم المدنى تحقيق أحمد شاكر جـ ٣ ص ٣٢٧

(٢) العمدة لابن رشيق القيروانى جـ٢ ص ٨٢

ومجمل القول أن القصيدة تجمع أغراضا كثيرة من الشعر وتجمع كثيرا من غريب اللغة وبها أطراد ليس له نظير عند الشعراء .

ومن أغراضه الشعرية الهجاء ومن أهم قصائده فى الهجاء ما قالها يعرض بالباهلي اللغوى وهى قصيدة تمتلىء بالغريب من اللغة أيضا يقول فيها : (١)

ديـار الحى بالرس إلى العمرين فالابرق
كرجع النقش فى الطرس إذا نمق لم ينمق

ويعرض به فيقول :

فيا للناس ما الزيم إذا فصل أو دهدق
وما التتميم فى الميسـ ر إن جمع أو فرق
وما الكهدل فى الخيـ عل والكافر فى اليلمق
وما الاسناخ فى الأرعا ظ والأوصاف إذ يلزق

ونظرة واحدة إلى الكلمات (الكهدل - الخيعل - اليلمق - الأسناخ - الأرصاف .. الخ) نجد أنها تحتاج إلى شرح بل إلى معجم للغريب إن صح هذا التعبير . والقصيدة تمتلىء بالغريب وبالهجاء المقذع وكأن ابن دريد يقول للباهلى اللغوى إن كنت مبدعا فى اللغة فأنا أعلم منك بها وبغريبها .

ويهجو بعض النحويين فيقول (٢) وقد أتى بأبيات طريفة بارعة :

عنظير أنا اختلفنا فى الفعل من فاعلين

---

(١) الديوان ص ٨٧ (ديوان ابن دريد تحقيق محمد بدر الدين العلوى)
(٢) الديوان ص ١١٠

فقال قوم يثنى لجمعنا الهمزتين
وقال قوم يعدى بملتقى الساكنين
وأنت أعلم منا بذا وذاك وذين
لأنك الدهر فعل يعتل من جهتين

ومن هجائه العام وهو من أجمل شعره (١)

الناس مثل زمانهم قد الحذاء على مثاله
ورجال دهرك مثل دهـ ـرك فى تقلبه وحاله
وكذا إذا أفسد الزما ن جرى الفساد على رجاله

ومن هجائه المشهور تلك الأبيات يهجو بها نفطويه وكان نفطويه قد هجا ابن دريد بقوله :(٢)

ابن دريد بقرة وفيه عى وشره
ويدعى من جهله وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

وكان بين الاثنين مفاخرة فرد عليه ابن دريد ردا قاسيا وقال : (٣)

لو أنزل الوحى على نفطويه لكان ذلك الوحى سخطاً عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه مستأهل للصفع فى اخدعيه

---

١) أدب الدنيا والدين للماوردى ص ١١٣ والديوان ص ١٠٥
٢) معجم الادباء ج١ ص ٣١١ ، المزهر للسيوطي ج ١ ص ٤٧
٣) معجم الادباء ج ١ ص ٣١١

أف على النحو وأربابه قد صار من أربابه نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقى صراخا عليه

ومن أغراضه الشعرية قوله فى أخلاق الناس (١) :

أرى الناس قد أغروا ببغى وريبة وغى اذا ماميز الناس عاقل
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم إلى نحو ماعاب الخليقة مائل
إذا ما رأوا خيرا رموه بظنه وإن عاينوا شرا فكل مناضل

ومن أغراضه الشعرية — الوصف فهاهو يصف النرجس فيقول : (٢)

عيون مايلم بها الرقاد ويمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت وتعمل حين ينحسر السواد
لها حدق من الذهب المصفى صاغه من يدين له العباد

ومن وصفه الجميل قوله فى المطر :(٣)

تبسم المزن وانهلت مدامعه فأضحك الروض جفن الضاحك الباكى
وغازل الشمس نور ظل يلحظها بعين مستعبرة بالدمع ضحاك

ووصف ابن دريد الخمر فقال :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبى نرجس وشقائق

---

١) الديوان ص ٩٩
٢) الديوان ص ٦٥
الديوان ص ٩٨

ووصف جلسة بينه وبين الحبيب وأغلب الظن أنها من الخيال فقال(١) :

عانقت منه وقد مال النعاس به والكأس تقسم سكرا بين جلاس

ونختتم شعره بهذين البيتين الرائعين :

ودعته حين لا تودعه روحى ولكنها تسير معه
ثم افترقنا وفى القلوب لنا ضيق مكان وفى الدموع سعة

(١) الديوان ص ٧٠

مقصورة ابن دريد

مقدمة :

ظهر فى الأدب العربى قصائد يطلق عليها المقصورات وهذه القصائد تتشابه فى كثير من الأمور أهمها أنها تشترك فى الروى المقصور وتنتهى القافيه فيها بالالف المقصورة . وتكون المقصورة فى الغالب من بحر الرجز وبعضها من بحر المتقارب وتكون المقصورة فى الغالب من القصائد المطولات ومقصورة حازم تزيد على ألف بيت ومقصورة ابن دريد تزيد على مائتين وخمسين بيتا .

وهدف المقصورة فى الغالب مدح شخص عظيم ثم تشمل اغراضا أخرى قد تنسى الشاعر هدفه الأساسى فيعنى بأمور أخرى منها الغزل ومشاهد الحياة والحكم والأمثال والبكاء على الشباب والتجلد والصبر وسرد الحوادث التاريخية ويتخذ الشعراء المقصورة وسيلة لاستعراض علمهم فى اللغة والأدب والبلاغة وهم لذلك قد يقحمون فيها من غريب اللغـه وفى القافيه بوجه خاص وشاعر المقصورة يستعمل كثيراً من أنواع البديع وخاصه الجناس والطباق والمقابلة .

ويعتبر ابن دريد أول من أنشأ المقصورة الكاملة التى ذاع صيتها فى الأدب العربى وصارت مثلا وأسوة لكل من لحقوه وأنشأوا مقصورات على منوال ابن دريد ورغم ذلك فإن المسعودى (١) يذكر أن ابن دريد قد سبقه بعض الشعراء بالمقصورة فقال « وقد سبق إلى المقصورة أبو المقاتل

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى جـ٤ ص ٣٢٤ تحقيق محمد محى الدين .

نصر بن نصير الحلوانى فى محمد بن زيد الدانى .

قفا خليلى على تلك الربى　　　وسائلاها اين هاتيك الدمى
اين اللواتى ربعت ربوعها　　　عليك باستنجادها تشفى الجوى

ويذكر أبو الفرج الاصفهانى فى كتاب الاغانى (١) أن السموأل بن عادياء قال :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه　　　يوما فتدركه العواقب قد نما

ويروى أبو الفرج الاصفهانى (٢) ستة أبيات لحنظلة بن أبى عفراء مطلعها :

ومهما يكن ريب الزمان فاننى　　　أرى قمر الليل المغرب كالفتى

ولكن كل هذه الأبيات التى ذكرها أبو الفرج الاصفهانى وما ذكره المسعودى من مقصورة أبى المقاتل نصر بن نصير الحلوانى لا تعدو إلا أن تكون أبياتا لا تكتمل فيها المقصورة بالمعنى الذى عرف بعد ذلك ، فابن دريد مبتكر هذا الفن . وقد ذكر الدكتور مهدى علام « أن القافيه المقصورة كانت مستعملة فى الشعر العربى قبل الاسلام . لكنها لم تكن ذائعة ثم ذاعت على يد الإسلام وإن شيوع الكلمات المقصورة فى كثير من سور القرآن الكريم مثل سور الأعلى والليل والنجم والمعارج والقيامه والنازعات والأعمى والعلق والضحى كان قدرا داعيا إلى الإكثار من القافيه المقصورة » (٣) .

---

(١) الاغانى لابى الفرج الأصفهانى ج ٣ ص ١٢٤ و ١٢٥ .
(٢) الاغانى لابى الاصفهانى ج ٢ ص ٤ .
(٣) مجلة كلية الآدب - جامعة القاهرة - المجلد الاولى عام ٩٥١ ص ٢٤ مقال عن المقصورات بقلم دكتور مهدى علام .

ونستطيع أن نقول أن رأى دكتور مهدى علام قريب إلى الصحة فيما رآه من وجود القافيه المقصورة فى الشعر الجاهلى ولكنه فيما رآه من مقارنته بسور القرآن الكريم — بالشعر والمقصورة قد جانب الصواب ، فالقرآن الكريم فى إعجازه لا يقارن بشعر وآيات القرآن الكريم تسير على نسق يعجز البشر عن الإتيان بمثله . وممن ذهب إلى هذا الرأى الدكتور طه حسين ، فابن دريد مبدع المقصورة إذن وعارضه فيها كثير من الشعراء مثل التنوخى وحازم والنبهانى وكان آخر الذين عارضوه محمد رشيد رضا .

المقصورة الدريدية وشروحها :

كان لابن دريد فضل السبق فى إنشاء المقصورة فى الأدب العربى كما رأينا — وكان هدف ابن دريد من نظم المقصورة مدح ابى ميكال عبد الله بن محمد بن ميكال وابنه إسماعيل ، وكان إسماعيل تلميذاً لابن دريد أو كان ابن دريد مؤدبا له .

ونرى ابن دريد وقد نال مكانة عالية فى قلب عبد الله الذى ولاه المنصور الأعمال بكور الأهوار ، وقد قلد ابنا ميكال ابن دريد ديوان فارس وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . وقد استطاع ابن دريد أن يجعل من تلميذه ابى العباس أديبا مشهوراً وعندما قال ابن دريد قصيدته المقصورة طرب ابنا ميكال طرباً عظيما . قال ياقوت : قال الحكم وسمعت ابا عبد الله محمد بن الحسين الوضاحى يقول سمعت أبا العباس بن ميكال يذكر صلة الدريدى فى إنشاء المقصورة فيهم قال الوضاحى فقلت وإين الذى وصل إليه من خاصة الشيخ فقال لم تصل يدى إذ ذاك إلا إلى

ثلاثمائة دينار صببتها فى طبق كاغد ووضعتها بين يديه » (١)

ورغم أن المقصورة قيلت أساسا لمدح ابى ميكال لكن ابن دريد جمع فيها أغراضا أخرى فيها يتحدث عن شيبه وضعفه وقوة احتماله للنكبات الأيام فهو صلد لاتهزه محن الزمن . وفيها اشارات تاريخية وأدبية وقد اختار رجالا هزمهم الدهر وأثقلتهم النوائب مثل امرىء القيس وأبى الجبر الكندى وجذيمة بن مالك وفيها أوصاف للابل التى تحمل راكبها إلى مناسك الحج ويتحدث عن السيف والفرس والسحاب والمطر . وهو بين هذا وذاك يتحدث عن ممدوحيه ويشكر لهما فضلهما عليه ويخص مدحه لأبى العباس الذى سما للعلا وكرمه لايرقى اليه أحد وهو يذكر جانبا من أوصاف المرأة الجميلة ويذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ممجداً له ويذكر جانبا من أخلاقه فهو لين لمن يلين له ، ويخشن مع من يخشن معه ويفخر بعقله وذكائه وعفته (ويتحدث عن الخمر وشربها)

فالمقصورة تحوى اشارات تاريخية وأدبية وحكما ووصفا للفرس والسحاب والمرآة والخمر فهى تجمع أغراضا بجانب ذلك الفخر والصلابة أمام النوائب وهذا شيء جديد فى الأدب العربى لم يسبق أحد ابن دريد فيه

ولقد شهرت القصيدة شهرة عظيمة وعارضها خلق وشرحها كثيرون ويقال أن شروحها بلغت خمسة وثلاثين شرحا ومن الذين شرحوا المقصورة ابن خالويه المتوفى عام ٣٧٠ هـ وهو تلميذ ابن دريد وربيعه بن محمد المعمرى والتبريزى المتوفى عام ٥٠٢ والزمخشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـ والجواليقى المتوفى عام ٥٣٩هـ ،

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحمرى جـ ٢ ص ٣٤٣

ومحمد اللخمي وعبد الله بن عمر الحضرمي وعز الدين بن جماعة ومحمد بن خليل الاحسائي المتوفى عام ١٠٤٤ هـ

وقد خمست المقصورة وممن خمسها سعد بن علي الاربلي ، وتخميس لعبد الله بن عمر الأنصاري الوزير وتخميس للحسيني وتخميس للمطهر فخر الدين وتخميس للملا جرجيس وقد كتب عن المقصورة وتاريخها دكتور أحمد الشرباصي وأحمد عبد الغفور العطار ودكتور مهدي علام ودكتور أنيس المقدسي

وقد استعنت في الحديث عن المقصورة بأحسن شروح المقصورة وهو شرح المقصورة للخطيب التبريزي وهو مطبوع وشروح المقصورة للزمخشري الذي نشر مع مجموعة أعجب العجب في شرح لامية العرب وشرح المقصورة لمحمد بن هشام اللخمي وهو مخطوط بمكتبه محافظة الاسكندرية تحت رقم ١٢٨٨ وهو من أحسن شروح المقصورة وذكرت نموذجا من نماذج تخميس المقصورة وهو تخميس المقصورة لمحمد بن الملا جرجيس وهو مخطوط بمكتبة محافظة الاسكندرية ومكتوب بقلم عادي وخط جميل سنة ١٢٣٢ هـ تحت رقم ١٧٣٧ - د

وتختلف الروايات في بداية المقصورة فأكثر الروايات تورد بداية المقصورة بهذا البيت :

أما ترى رأس حاكى لونه　　طرة صبح تحت أذيال الدجى

ولكن أغلب شارحي المقصورة يذكرون أولها :

ياظبية أشبه شيء بالمها　　ترعى الخزامى بين أشجار النقا

هذا ما نجده في شرح الزمخشري والتبريزي وابن هشام اللخمي . وقد ذكر في مقدمة شرح المقصورة للتبريزي - عن المخطوطة التي صورت منها الطبعة :

وقد افتتح الشارح المقصورة بقوله :

أما ترى رأسى حاكى لونه   طرة صبح تحت أذيال الدجى
ياظبية أشبه شىء بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقا

ولم يفتتحها بقوله : ياظبيه لأنه قال أنه فى حاشية الأصل ليس هذا مفتتح القصيدة فى أكثر الروايات فإن المفتتح قوله :

يا ظبية أشبه شىء بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وعليه أكثر الشروح .

قال محمد زهر شاويس مصحح شرح التبريزى « الصحيح أن البيت المذكور من مقصورة أخرى لابن الأنبارى :

وفيها :   ياظبية أشبه شيئا بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقا (١)

ونجد محمد بن هشام اللخمى يفتتح القصيدة بقول ابن دريد :

ياظبيه أشبه شىء بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وبعد أن يشرح البيت يقول : « وهذا البيت لم يثبت عليه أكثر الروايات وإنما وقع به رواية شاذه وهى رواية أبى اسحاق بن مخلد (٢) » . ولقد رأيت أغلب الشارحين للمقصورة يبدأون القصيدة بالبيت :

يا ظبية أشبه شىء بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقى

وربما جاء اختلاف مفتتح المقصورة باختلاف الروايات كما ذكر ابن هشام

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزى طبع دمشق ١٩٦١م (المقدمة)

(٢) شرح مقصورة ابن دريد : محمد بن هشام اللخمى : مخطوط مكتبة بلدية الاسكندرية ص ٣

اللخمى ولانرجح ما ذكره شاويش من أن هذا البيت لابن الأنبارى فهو متأخر عن ابن دريد .

وقد كتب الدكتور أنيس المقدسى بحثا جيداً عن المقصورة الدريدية وقسمها إلى مواقف خمس(١) .

فالموقف الأول الأول : الشاعر وا. هو يفتتحه بمخاطبة غادة خيالية فى البيت
يا ظبية أشبه شىء بالمها

وفى نحو ثلاثين يبثها مايشعر به من وطأة الزمان عليه ولكنه يغتفر كل ذلك بالنسبة إلى ماأصابه من فراق الأحباب .

فكل ما لاقيته مغتفر   فى جذب ماأساره شحط النوى

ولكن ما ذكره الدكتور أنيس المقدسى يحتاج إلى تحليل . فابن دريد افتتح المقصورة على عادة الجاهلين فى مخاطبة عادة خيالية وقد شبه ابن دريد هذه المرأة وجعلها ظبية على الاتساع . وجعلها مثل المها وهى أما أنها تكون كالشمس فى ضيائها أو هى قرة الوحش فى حسن عينيها أو بالبلورة فى بياضها . (٢)

وهو يذكرنا بأن الزمن قد أخذ منه حياته وأن رأسه قد اشتعل شيبا ويشبه الشيب فى اشتعاله بالرأس مثل اشتعال النار فى شجر له حجر ثم يشبه الشيب أيضا بالليل البهيم الذى دخل اليه ضوء الصباح فأجلاه ، وهذه صورة جميله لقد ذهب الشباب ولا مرد له وذبل زهر الشباب ـ وهو لايستكين للمصائب بل هو

(١) المقصورة الدريدية بقلم دكتور أنيس المقدسى ـ مجلة المجمع العلمى بدمشق ابريل سنة ١٩٧٠ م

(٢) شرح مقصورة ابن دريد لمحمد بن هشام اللخمى مخطوط ص ٣

جلد فى كل مقصورته وهو يبين أنه مارس كل أنواع اللهو والسعادة ويقول أبو على القبلى أن الله عاقبه بقوله .

مارست من لو هوت الافلاك من

جوانب الجو عليه ماشكا

وهو يكتب المقصورة ليخرج ماجاش فى صدره ويعبر عما يكن به قلبه من ظروف مرت عليه

لكنها نفثة مصدور إذا جاش لغام من نواحيه غما

ويلتفت إلى الدهر - من يقابل مراغا - ولكن المرء لا يستطيع قوة القضاء التى لاترد فحكمه لا يرد فيقول متجلدا :

رضيت قسراً وعلى القسر رضى من كان ذا سخط على صرف القضا

وهو لم يجر عليه لزمان وحده بل جار باعلام التاريخ برغم ما كانوا عليه من عز وهو ينتقل إلى الاشارات العامة التى تعطينا معلومات مهمة عن عظماء الرجال فيذكر امرىء القيس وقصته فى التاريخ وكان قد طرده أبوه عندما احترف نظم الشعر فكان ينتقل فى أحياء العرب ويتتبع الصعاليك منهم وكان أبوه ملك بنى أسد فعسفهم عسفا شديداً فتحالفوا عليه فقتلوه (١)

ويذكرنا بابن الجبر وهو رجل من كندة وكان من الملوك وقد خرج إلى كسرى يستعديه على قومه وأعطاه جيشا ولكنه قضى عليه ، وابن الأشج وهو عبد الرحمن بن الاشعث بن قيس الكندى وكان الحجاج قد ولاه سجستان فخلع الحجاج وأتبعه

---

(١) شرح المقصورة للزمخشرى ص ١١

أهل العراق ومنهم الشعبي وقاتل الحجاج مدة طويلة وغدر بابن الأشج وأسلم إلى الحجاج وكان قد قرن إلى رجل من بني تميم بسلسلة فلما كان في بعض الليالي قال للتميمي قم معي فأنزل فلما قام معه أشرف من القمة إلى الأرض فقال له التميمي ماتصنع أيها الامير قال الساعة أعلمك ثم رمى بنفسه فوقع هو والتميمي فماتا جميعاً » (١)

ويذكرنا بالوضاح وهو جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي .. وكان أبرص فهابت العرب أن تقول الأبرص فقالت جزيمة الابرش وقد استطاعت الزباء أن تقتله ، ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة وقد خرج على بني أمية وخطب له بالبصرة ولكن بني أمية استطاعوا قتله ،وانتقم عمرو بن ربيعة بن نصر بن أخت جزيمة الأبرش لخاله واستطاع الوقيعة بالزباء بخداعة ، وسيف بن ذي يزن الذي أذاق الحبش ألوانا من العذاب ولكنه هزم .

ويذكرنا بيوم (أوارات) وهو يوم من أيام العرب وقد وقع هذا اليوم بين بني تميم وعمرو بن هند الذي قتل منهم كثيراً .

ونلاحظ عاطفة ابن دريد تذكرنا دائما بأعلام التاريخ وأكثرهم من اليمن بلاده العزيزة التي يفخر بها وبأعلام التاريخ منها .

وبعد أن ينتهي من سرد هذه الاحداث التاريخية وأعلام التاريخ الذين كانوا ذا قوة فجار عليهم الزمن ينتقل إلى ذكر الموقف الثاني : فيفخر بمضاء العزم وشدة البأس ويقسم بالنياق وهي تحمل الحجاج إلى الحج ويصف هذه النياق

---

(١) شرح المقصورة للزمخشري ص ١٥

وسيرها فى الصحراء وراكبيها وقيامهم بواجبات الحج (١) ، يقول ابن دريد فى صف النياق :

خوص كأشباح الحنايا حند يرعفن بالأمشاج من جذب البرا
يرسبن فى بحر الدجى وبالضحى يطفون فى الآل إذا الآل طفا

وينتقل إلى وصف الخيل ويقسم بهذه الخيل التى تحمل الفرسان إلى الحرب والجهاد :

يقول فى وصف فرسانها

يحملن كل شمرى باسل شهم الجنان خائض غمر الوغى
يغشى صلا الحرب بحديه إذا كان لظى الحرب كريه المصطلى

ويقسم بكرام العرب الذين كانوا مثلا للشجاعة والكرم ويخلص من كل هذا القسم ليصف بأسه ومضاء عزمه وشجاعته وأنه سيظل أبدا متهيئا للحرب حتى يوارى فى الثرى مادام معه صاحباه حصانه وسيفه :

وصاحباى صارم فى متنه مثل حدب النمل يعلو فى الربى
أبيض كالملح إذ انتضيته لم يلق شيئا حده إلا فرى

ويصف حصانه بقوله :

ومشرف الأقطار خاط تحفة حابى القيصرى جرشع عرد النسى
قريب ما بين القطاه والمطا بعيد ما بين القذال والصلا

---

(١) المقصورة الدريدية بقلم دكتور أنيس المقدسى . مجلة المجتمع العلمى بدمشق سنه ١٩٧٠ ص ٢٦٥

ويسترسل فى وصف الحصان ثم يقول عن السيف والفرس إنها عتاده فى الحياة وبها يستغنى عمن جعله من الناس عدة له .

وينتقل إلى موقف ثالث : وهو حنينه إلى العراق التى ولد بها فهو الآن فى فارس بين يدى ابنى ميكال فهو يعتذر عن مفارقته للعراق فهو لم تهنأ له حياة يفارقهم كرها لا بغضا ولقد أكرمه ورعاه فى غربته من أفاضوا عليه بكرمهم ويخلص من ذلك إلى مدح ابنى ميكال وهو الهدف الأساسى للمقصورة ولكن مدحه لهما لم يتجاوز عشرين بيتاً من المقصورة وهو يمدح ابنى ميكال اللذين كانا نعمة له وهما اللذان اظلاه تحت ظلهما ودفعا به إلى الأمل بعد أن كان على شفا جرف هاو . وأصبحت الحياة بين الاميرين حياة حية وهى كالشجرة اخضرت أوراقها وصارت نزهة للناظرين وثمرة الآكلين يقول فى مدحهما :

حاشا الاميرين الذين أوقدا

على ظلا من نعيم قد ضفا

هما اللذان أنبتا لى أملا ... قد وقف اليأس به على شفا

ويقول أيضا

هما اللذان عمرا جانبا ... من الرجا وكان قدما قد عفا

قلـــدانى منة قرنت ... بشكر أهل الأرض عنى ماوفى

ويختم مدحهما بقوله :

نفسى الفداء لأميرى ومن ... تحت السماء لاميرى الفدا

لازال شكرى لهما مواصلا ... لفظى أو يعتافنى صرف المنى

وبعد مدح الاميرين يعود إلى ذكرى العراق والتذكير بمكارم أهله وهو لم

يفارقهم عن كره لكنه يسير بعزمة ورباطة جأش يكافح فى الحياة ويصبر على الخطوب ولوشاء لعاش فى ظلال النعم والغنى واللهو بصحبة غاوية لعوب تخفف عنه آلام الفراق ويصف هذه الغادة بتسعة أبيات أولها :

ولاعبتنى غادة وهنانه   تصنى وفى ترشافها برى

ومما نعيب عليه وصف تلك الغادة فمن صفاتها عنده أنها لو نظرت إلى العابد فى صومعته المنقطع إلى عبادة الله تعالى لانشغل بها وذلك مالا ينبغى أن يقال عن عابد يخضع لفتاة . وكيف يشغل العابد عن تسبيح الله تعالى بفتاة ، هذا مقام كان لاينبغى لابن دريد أن يقارنه بانشغال العابد بالغادة الحسناء . يقول ابن دريد فى وصف الغاده الفاتنة .

لو شاهت الاعصم لانحط لها   طوع القياد من شماريخ الذرى
أو صابت القانت فى مخلولق   مستصعب المسلك وعر المرتقى
الهاه عن تسبيحه ودينه   تأنيسها حتى تراه قد صبا

وهو لا يقطع فكره عن العراق فهو يتمنى أن يحمل الغيم الذى يسير الغيث إلى وطنه ويذكر مواطن بالبصرة مثل العتيق والخرز والنحيت والمربد ويعدد مفاخر قومه فهم ينتسبون إلى أصل عظيم ويصله إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيقول :

صلى عليه الله ماجن الدجى   وماجرت فى فلك شمس الضحى

ثم يصف المطر وصفا رائعاً فقد نزل المطر وتمنت كل بقعة أن يحتويها وينزل اليها بالخير فإذا اختفت بروقه ظهرت ريح الصبا تحمل الخير وتؤذن بالغيث وإذا فترت وعوده حضها سائق من الجنوب فحدث فهو مطر كثير الخير وكأنها البيداء آخر صوب هذا المطر ، يقول فى وصف المطر :

وطبق الأرض فكل بقعة　　منها تقول الغيث فى هاتا ثوى

إذا خبت بروقه عنت لهـا　　ريح الصبا تشب فيها ما خبا

وإن دنت رعوده حدابها　　راعى الجنوب فحدت كاحدا

ثم ينتقل ابن دريد إلى نفسه كما يراها هو ـ يصف الشاعر نفسه بأنه مرفوع الرأس يتحدى الزمن لا يهن أمام الخطوب ولا ييأس وهو لا يضعف أمام تحديات الزمن أما أخلاقه فيصفها بأنه يسالم من يسالمه ويعادى من يعاديه وهو ليس سهلا أمام معانده وهو ابن سهل إذا الوين وهو لا يطمع طمعا مدنسا فهو صاحب تجارب فى الحياه وإذا خيف امرؤ لسرعته فى الأذى لم يخف من مثل ذلك دون ضعف ولكنه يصون عرضه ويحفظ منزلته إذا احتاج إلى ذلك يقول عن نفسه :

لى التواء ان معادى التوى　　ولى استواء ان موالى استوى

خصمى شر ترى للعدو تارة　　والراح والأرى عن ودى ابتغى

ويقول أيضا :

ان امرؤ خيف لإفراض الأذى　　لم يخش منى نزق ولا أذى

من غير ما وهن ولكنى أمرؤ　　أصون عرضا لم يدنسه الضنا

ثم ينظر إلى الناس والزمان بعين الحكيم الخبير ذاهبا فيهـا مذهب الامثال البليغة ونلاحظ عنده نوعا من التشاؤم يبدأ وصفه للناس بقوله :

والناس كالنبات فمنهم رائق　　فضرب نضير عوده والجنى

ويهمنا هنا تلك الحكم الرائعه عن الزمن فتستمع إليه يقول :

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما　　راح به الواعظ يوما أو غدا

ويقول :

من عطف النفس على مكروهها كان الغنى قربته حيث انتوى

من ضيع الحزم جنى لنفسه ندامه الذع من سفع الذكا

ويقول :

من طال فــوق منتهى بسطته أعجــزه نيل الذمى بله القصا

من رام ما يعجــز عنه طوقه ماهب يوما احد بجزول المطا

وهو بعد أن يصف الناس وأخلاقهم يحكم عليهم بأن امجادهم واكارمهم مثله بالنسبة إلى سواهم فهو يقول :

إن نجوم المجد امست افلا وظله القالص اضحى قد ازى

إلا بقايا من اناس بهــم إلى سبيل المكرمات يقتدى

ثم ينتقل بنا فجأة ويصف لنا بعض مشاهد البادية ولعلها رحلته التى قام بها من البصرة إلى فارس . وهو يتذكر فى غربته أيام شبابه فى وطنه بين القيان والخمر والندامى ويصف الخمر وصفا رائعا فيقول :

يارب ليـل جمعت قطـربه لى بنت ثمـانين عـروس يختـلى

لم يجعـل المـاء عليهـا امرهـا ولم يدنسها الضرام المحتضى

حينـا هى الداء وأحيانا بهـا من دائهـا إذا يهيج يشتفى

قد صانهـا الخمـار لمـا اختارها ضنا بها على سواها واختبى

ويختتم المقصورة بخلاصة تجاربه فى الحياة فقد نال كل شىء فيها فاذا مات فقد أخذ كل شىء وان عاش عاش صلبا لا يئن ولا يخضع لنوائب الزمان .

يقول فى ختام المقصورة :

فان امت فقد تناهت لذتى وكل شىء بلغ الحد انتهى

وإن اعن صاحبه دهرى عالما ... بما إنطوى من صرفه ما انتشى
حاشا لما اسأره فى الحجا ... والعلم إن اتبع رواد الخنا
أو ان ارى لنكبة مختضعا ... أو لابتهاج فرحا وقد زهى

هذه هى مقصورة ابن دريد التى يمدحها الدكتور انيس المقدسى ويقول انها « تمتاز فى التعبير بحسن المقصور للمعانى معتمدا بجوامح التشابه والاستعارات والدقة فى استعمال اللفظ المناسب والذى ينعم النظر إلى شتى مواقف المقصورة يتراءى له صاحبها من خلال انفعالاته رجلا أبى النفس مرهف الحس ذا مقدرة عجيبة على تجسيم المعانى بصور رائعة وبعبارات وألفاظ وحكمة (١) .

ولقد رأينا المقصورة الدريدية تنتشر فى دوائر الادب ويعارضها كثيرون وأول من عارض ابن دريد فى مقصورته كما رأينا من قبل التنوخى الانطاكى وقد مدح الانطاكى بمقصورته تنوخ وقومه من قضاعة وأولها :

لولا انتهائى ولم اطع نهى النهى ... أى مدى يغلب من جاز المدى
إن كنت قد اقصرت ماالقصر قلب ... داميا تدميه ألحاظ الدمى

أما اشهر المقصورات بعد ابن دريد فهى مقصورة أبو الحسن حازم بن حازم ابن محمد بن خلف بن حازم الأندلسى المتوفى عام ٦٨٤ ه ومقصورته بلغت حوالى الف بيت ونظمها للمستنصر ابن عبد الله وتغنى فيها بمدحه ومدح اخيه أبى يحى ومطلع مقصورة حازم :

لله ما هجت يا يوم النوى ... على فؤادى من تباريح الجوى

---

(١) المقصورة الدريدية لانيس المقدسى : مقال بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٠ ص ٢٦٨ .

وهناك مقصورة نسبت إلى أبى صفوان الأسدى فى كتاب الامالى لأبى على القالى ومطلع هذه المقصورة .

نأت دار ليلى وشط المزار　　　لما رأى من حسنها ماقد رأى

ومن العصر الحديث نجد قصيدة المقصورة لمحمود سامى البارودى المتوفى عام ١٩٠٤ م وقالها يصف المزارع و مطلعها :

هجرت ظلوم وهجرها صلة الأسى　　　ضحى يحوم على المتيم باللقا

ويختمها بقوله :

والقطن بين ملوز ومنور　　　كالغادة ازدانت بأنواع الحلى
فكأن عاقده كرات زمرد　　　وكأن زاهره كواكب فى الردى

ومن أصحاب المقصورات فى العصر الحديث أيضا رشيد رضا ونظمها عام ١٨٩٧ م يهنىء الشيخ عبد القادر المغربى عندما تزوج من أسرة علم الدين وعدد أبياتها ١٢٩ بيتا وأول المقصورة :

تبارك البارىء مبدع الورى　　　بالحق والحكمة عن ظهر غنى

ومن حكمه فيها :

ومن يهن هان عليه قومه　　　وعرضه ودينه الذى ارتضى

وإذا كان ابن دريد له صاحبان السيف والحصان فإن رشيد رضا له صاحبان هما الروضة والكتاب يقول :

وصاحباى دفتر فى متنه　　　مثل مذب النحل يسعى فى الربى

وقد مدح رشيد رضا فى مقصورته جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده ،

وعبد القادر المغربى على خلاف ابن دريد الذى مدح ابنى ميكال .» ولقد أعجب البارودى بمقصورة رشيد رضا وفضلها على مقصورة ابن دريد» . (١)

بقيت لنا مخمسات المقصورة ونختار نموذجا لها وهو تخميس المقصورة الدريدية ومخمسها محمد سعيد الجوارى وهو مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية — وخط المخطوطة جميل جدا وواضح ويتحدث المخمس فى مقدمة التخميس بإنه لما رأى قصيدة ابن دريد شهيرة بين الفضلاء والأعلام جامعة لكل معنى غريب وظرف عجيب لم يسبقه إلى النسج على منوالها سابق (٢) ، فقد ذكر محمد سعيد الجوارى أن محمد الرضا المشهدى الشاعر قد خمسها وصرف المدح عن الأميرين ابنى ميكال إلى الحسن والحسين رضى الله عنهما فخطر له أن يصنع صنيعه أى يصرف المدح عن ابنى ميكال إلى سيدى شباب أهل الجنة — الحسن والحسين - رضى الله عنهما ويبتدي التخميس بقوله :

ولى الصبا ومبدأ الغى انتهى
فحيث وجهت االفؤاد ما اشتهى
حكم النهى نهى فما قوم سها

ياظبية أشبه شىء بالمها

رائعة بين العقيق واللـوى

ومن تخميسه ويقول فى مغايرة مدح ابنى ميكال إلى الحسن والحسين - رضى الله عنهما :

---

(١) المقصورة فى الأدب العربى : دكتور أحمد الشرباصى ص ٦٧
(٢) تخميس المقصورة الدريدية محمد سعيد الحوارى (مخطوط)ص ٢

أن العراق لم أفارق أهله

عن شنأ صدنى ولا قلى

لكن الظلم بعضهم هجرتهم

وحزب آل المصطفى عاهدتهم

فلم يطب عيش قذ فقد تهم

ويقول :

أن كنت أبصرت لهم

من بعدهم مثلا على وخز السفا

لا أرتجى يوم القيامة أحدا

يشفع لى إلا الرسول أمدا

ولست أرجو غيره لى مسندا

أخبار ابن دريد (مخطوط)

وهذا مؤلف آخر لابن دريد مازال مخطوطا وقد اطلعت على نسخة كتبها احمد بن الأمين الشنقيطى ، والمخطوط يقع فى حوالى سبعة عشر صفحة وقد امحى بعض صفحاتها و كتبها الشنقيطى بخط غير واضح ، والكتاب مجموعة من أخبار رواها ابن دريد عن ابن أخى الاصمعى أو عن أبى حاتم السجستانى والعتبى وكلهم شيوخه وهذه الأخبار تتناول بعض الروايات عن العرب ونوادرهم ويذكر بين هذا وذاك طرفا من الشعر لبعض فحول الشعراء أو يروى احيانا أخباراً عن قدوم بعض الاعراب على الخلفاء الامويين ، ونستطيع أن نقول ان الكتاب مجموعة من الأخبار الأدبية أو القصص تشبه إلى حد ما أحاديثه التى انتشرت فى كتاب الامالى والتى رواها عنه أبو على القالى واعتبرها بعض الباحثين المحدثين مثل دكتور زكى مبارك ودكتور مصطفى الشكعة مقدمة لنشأة فن المقامات . ولكنا نعجب إذا رأينا ابن دريد يذكر موضوعات لغوية كلها تتصل بالشعر والأدب اتصالا مباشراً فى بعض الأحيان ولا تتصل به فى بعضها الآخر ، وهو يذكر بابا للحروف التى جرزتها العرب أو غلطت فيها وباب ماجاء مجموعا وإنما هو اثنان ، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر ، وهذه المجموعة اللغوية النادرة تنبىء عن مقدرة لغوية بارعة عند ابن دريد ولكننا نعتب عليه ذكر هذه الاخبار اللغوية فى كتابه هذا وكان من الافضل له ان يضعها فى معجم الجمهرة الذى خلا من ملاحق نحوية وقد خطأه فيه ابن جنى بعيوبه الصرفية الكثيرة ، ولم يذكر ابن دريد سبب تأليف الكتاب أو منهجه فيه وأغلب الظن ان المخطوط جزء من كتاب ضاع بعض ما كتبه وبقى بعضه الآخر ولذلك نجده لا يذكر منهجا ويدخل فى ذكر الأخبار مباشرة دون تمهيد على عكس ما عهدناه فى كثير

من كتبه التى قدمنا ذكرا لها . ونجد خاتمة الكتاب مبتورة بعض الشيء فهى لاشيء عن نهاية الكتاب ونحس فى النهاية روح ابن دريد اللغوية وكأنها تريد أن تقول لنا شيئا جديداً ولـكن الزمن يسلب منه ما كتب وهذه الروايات والاخبار التى رواها عن أساتذته تقص لنا طرفا من أخبار العرب تمتلىء بالغريب والحواشي ونعتقد أن ابن دريد ذكر هذه الاخبار والروايات لغرض تعليمى كما فعل فى المقصورة الكبرى وفى أحاديثه التى ذكرها ابو على القالى فى كتابه الامالى وكذلك مقصورته الصغرى .

نماذج من الكتاب وتحليل بعض مواده :

يبتدىء الكتاب برواية عن عبد الرحمن بن اخى الاصمعى « اخبرنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال ضجر اعرابى من أهله وولده فتوجه بهم نحو خيبر يعرضهم لحماها وأنشد :

فقلت لحى خيـــبر استعدى   هذا عيالى فأجهدى وجدى
وباكـــرى بمـــال ودود   اعانك الله على ذى الجند

قال فعرضت له الحمى من بينهم فمات وبقى عياله (١) .

وقد ذكر ابن دريد بعـــض العظات فقد ذكر « رواية عن أبى حاتم قال اخبرنا محمد بن عبد الله العتبى قال حدثنا ابن هرون قال دخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدى فقال له عمرو : من هذا يا امير المؤمنين فقال هذا ابن امير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال عمرو يا أمير المؤمنين أراك قد ربطت له

---

(١) اخبار ابن دريد (مخطوط) مكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية رقم (١٠ م) تأليف محمد بن دريد بقلم أحمد بن أمين الشنقيطى ص .

أمراً سيعز إليه وأنت عنه مشغول فاستعبر فقال يا أبا عثمان عظني فقال يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتد نفسك منه ببعضها ، فإن هذا الامر الذي أصبح في يديك لو بقي في يد من كان قبلك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليل بعده ، ثم قرأ : (ألم تر كيف فعل ربك بعباد) ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد (١) ، فنزل عن سريره ووضع خده بالأرض (٢) .

ويذكر لنا في رواية أخرى عن العكلي قصة مروية عن عمر بن الخطاب مؤداها أن عمر سافر في تجارة من الشام ونازعه بعض البطارقة وتعاركا سويا وهرب عمر بعد ان شج رأس البطريق ودخل ديرا آخر وأكرمه احد الرهبان وذكر له أنه قد علم من الكتاب أنه سيكون لعمر شأن فأشترط عليه ان يكتب له كتابا بأن الدير له إذا فتح الله للدين الجديد هذه البلد ومن فيها واعطاها أمانا وتركه ، ويمضي الزمن ويأتي الاسلام ويصبح عمر بن الخطاب رضى الله عنه خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويتولى الخلافة ويقوم المسلمون على البلدة ويأتي الراهب اليه بالكتاب ويعرفه عمر بن الخطاب ويوفيه حقه .

أما ما ذكره ابن دريد من بعض الدقائق اللغوية فهي لفتة كريمة من ابن دريد ، نراه مثلا يذكر في باب ماجاء مجموعا وإنما هو اثنان أو واحد في الأصل : « قالوا : رجل عظيم المناكب ، وإنما له منكبان ، ورجل ذو لباب ورجل غليظ المشافر وشديد المرافق وضخم المناخر ، وعظم الآذل (٣) »

---

(١) سورة الفجر من الآية ٦ إلى الآية ٨ .

(٢) اخبار ابن دريد (مخطوط) كلية الآداب جامعة الأسكندرية رقم (١٠ م) ص ٤ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٧ .

وذكر فى كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر قال : « لهذه الحروف والابدال والمعاقبة والنظائر منها ما يجوز بعضه مكان حرف واثنتين وثلاثة وليس كل الحروف كذلك الواو والالف والياء : تقول أتيتك من علا ، ومن علو ، ومن على ، فهو يستشهد بعصر الاحتجاج فيذكر قول امرؤ القيس :

كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومن النظائر جعل لكل حرف بابا فقال فى باب (الحاء والخاء) يقال رحمة ورخمة ومرحوم ومرخوم ومنه فضحته وفضخته ، ويستشهد بالقرآن الكريم مثل قوله تعالى (فيهما عينان نضاختان) (١) ، وفى باب (الزاى والسين والصاد) بزق وبصق وبسق ، هو البزاق والبصاق والبساق ، وقد لزق ولصق ، ويقال فى اسنانه رصص ولصص ، وفى الباب الحروف التى جوزتها العرب أو غلطت فيها يذكر غلط بعض الشعراء أو تجاوزهم فى المعنى مثل قول الاسود بن يعفر : من صنع داود أبى سلام ، يريد سليمان ، وقال الحطيئة :

فيها الرماح وفيها كل سابقة

جدلاء مبهجة من نسيج سلام

يعنى سليمان » (٢) .

أية ما يكون الامر فالكتاب مجموعة من أخبار ادبية ومجموعات لغوية رائعة تبين سعة اطلاعه فى علم اللغة وإن كان موضوعها يستحق أن يكون فى معجم وليس فى كتاب مثل هذا الكتاب .

---

(١) سورة الرحمن الآية ٦٦ .

(٢) أخبار ابن دريد ص ٨ و ٩ و ١٠ (مخطوط) .

هذه هي أهم مصنفات ابن دريد التي وصلت الينا ونحن نستثني جمهرة اللغة منها لأن لها بحثا خاصا وقد ضاعت بعض كتب ابن دريد فلم يتم بعضها مثل كتاب (غريب القرآن) وقد حفظت بعض مصادر الأدب نصوصا من كتب ابن دريد ، لقد نقل جلال الدين السيوطي في المزهر نصوصا من كتاب الامالي وكتاب الوشاح لابن دريد ونقل أبوعلي القالي نصوصا من كتاب المتناهي في اللغة لابن دريد أيضا ، وفي مزهر السيوطي (١) قال ابن دريد في أماليه : « أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن الاصمعي قال : سمعت صبية بحمى جزيه يتراجزون فوقفت وصدوني عن حاجتي وأقبلت أكتب ما أسمع إذا أقبل شيخ فقال أتكتب لكلام هؤلاء الافزام الادناع » .

وفي المزهر أيضا قال ابن دريد في أماليه « حدثنا العكلي عن أبيه عن سابط ابن سعد قال كان اكثم بن صيفي يقول : رب عجلة تهب ريثا ادرعوا الليل فان الليل أخفى للويل ، المرء لا يعجز لا المحالة ، لا جماعة لمن اختلف » (٢) .

وفي شرح شواهد المغني للسيوطي أيضا نصوص لكتاب الوشاح الذي صنفه ابن دريد ويتضح من نصوص الكتاب أن ابن دريد ألفه في شرح ألقاب الشعراء ، قال السيوطي عند حديثه عن النابغة الذبياني « قال ابن دريد في الوشاح ، وسمى النابغة بقوله :

رحلت في بني الغى بن جسر

فقد نبغت لنا منهم شؤون

---

(١) المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ج ١ ص ٥٠١ .

وعن عمرو بن كلثوم قال ابن دريد فى الوشاح كنيته أبو الاسود (١).

وفى المزهر للسيوطى حديث عن كتاب الوشاح يقول عن شعراء العرب « عقد لذلك ابن دريد بابا فى الوشاح قال فيه امرؤ القيس بن حجر (أبو الحارث) وزهير بن أبى سلمى (أبو بجير) ونابغة بنى ذبيان (أبو أمامه) و (أبو عقرب) واوس بن حجر (أبو شريح) (٢).

وقال فى ذكر من لقب ببيت شعر قاله : « قال ابن دريد فى الوشاح من الشعراء من غلبت عليهم ألقابهم بشعرهم حتى صاروا لا يعرفون إلا بها فمنهم منبه بن سعد بن قيس بن عيلان بن نصر وهو اعصر وإنما سمى اعصر لقوله :

اعمير إن أباك غير لونه　　　مر الليالى واختلاف الاعصر

ومنهم عمرو بن سعيد بن مالك سمى المرقش لقوله :

الدار قفر والرسوم كما　　　رقش فى ظهر الاديم قلم (٣)

وذكر أبو على القالى أشهر تلاميذ ابن دريد من كتاب المتناهى فى اللغة لابن دريد نصا قال فى الامالى وقال أبو بكر فى كتاب المتناهى فى اللغة : وهذا اعرابى أدخل قرداً إلى سوق الحيرة ليبيعه فنظرت اليه إمرأة فقالت مسخ فقالت هذه الابيات : وشراحيل وشراحين وجبرئيل وجبرئين ويقال الصت الشيء

---

(١) شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٩ و ٤٥.

(٢) المزهر للسيوطى ج ٢ من ٤٣٤ إلى ٤٥٦ .

(٣) المزهر للسيوطى ج ٢ ص ٤٥٦ .

اليصه الأصة ، وانصته ، انصية ، اناصة ، إذا ادرته (١) .

ونستطيع ان نستنتج من استعراضنا لمؤلفات ابن دريد انه كتب كتابه الاشتقاق بدافع الغيرة على العربية والدين الاسلامى ، ويعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما فى ضبط الأعلام وبه أيضا نصوص شعرية وأخبار عن العرب الخلص وقد إتضح ان ابن دريد يتتبع أحداث عصره مثل الشعوبية وقد كتب كتابه هذا يبين إشتقاق الاعلام العربية مبتدئا بالرسول — صلى الله عليه وسلم — وهى لغتة كريمة منه وخلق صالح ينبىء عن روح دينية ، وفى كتابه المجتنى نجده يختار مجموعة من الاقوال المأثورة مبتدئا بالرسول الكريم — عليه السلام — والخلفاء الراشدين ، وينفرد الكتاب بمجموعة من أقوال الفلاسفة والحكماء .

أما كتاب الملاحن فهو يستخدم فيه سعة اطلاعه على علوم اللغة فيحول الكلمة من معنى إلى آخر مستخدما الاضداد ، والمرادفات وقد اتضح من استعراضنا لمواده ان الكتاب رغم ثرائه بمواد لغوية متقلبة المعانى إلا أنا نعيب عليه تساهله أو محاولة تيسير أمور الدين عن طريق مواد اللغة .

أما رسالتاه صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث فتنبىء عن شخصية لغوية تهتم بالغريب وتشارك علماء عصرها فى مراحل جمع اللغة الأولى التى أدت إلى ظهور فن المعاجم .

أما ديوانه فيكشف عن حس مرهف وعن علاقاته مع أترابه فنجده يهاجم

---

(١) الأمالى لابن على القالى ج ٢ ص ٤٤ .

تارة ويرثى أشهر العلماء الذين ماتوا فى عهده مثل الشافعى والطبرى ، ويكشف عن عاطفته القومية وانتصاره لقومه فى عمان .

وأما كتاب أخبار ابن دريد المخطوط فقد جمع مواداً لغوية وأخباراً عن الاعراب وبه مجموعة من المواد اللغوية أشبه بما كتبه الاوائل فى فقه اللغة .

وأما مقصورته فتكشف عن شخصيته الإنسانية فنجده يزهد فى الدنيا ويذكر حكما عن الزمان ونوائبه ويفخر بنفسه وهو يمدح ابنى ميكال شكراً لهما على صنيعهما معه وسنتحدث الآن عن كتاب الجمهرة .

الباب الثاني

الفصل الثاني

كتاب جمهرة اللغة

كتاب جمهرة اللغة

مقدمـــة : نشأة المعاجم العربية :

لم تهتم أمة من الأمم إهتمام الأمة العربية بلغتها فحافظت عليها واعتزت بها وأحس العرب بجمال لغتهم ورقيها واهتموا بها إهتماماً كبيراً فكانت العربية قد نضجت ، فى أواخر العصر الجاهلى نضجاً كبيراً ، ونزل القرآن الكريم بعربية تعجز عربية عرب البادية ، وكانت معجزة الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن يتحدى بالقرآن الكريم قريشاً فى لغتهم وميدان فخرهم، ودخل الإسلام خلق كثير وأصبحت العربيه اللغة الرسمية للعرب ، وللبلاد المفتوحة التى حاول أهلها تعلم العربية حباً فى تعلم الدين الجديد الذى دخلوا فيه ، أو تبعية للفاتح المنتصر ، وكان التلاحم بين العرب وأهل البلاد التى فتحوها — ودخل ميدان العربية لهجات ولكنات أعجمية — وكان الرقيق قد تسرب إلى بيوت ســادة العرب وتسربت الموالى إلى الحياة العربية ودخلوا طبقة الجندية وكان هؤلاء خطراً على اللغة العربية ، ووجد اللحن بمعنى الخطأ وذاع اللحن فى إعراب الكلمات ، وفزع علماء اللغة وعلماء الدين ووجدوا وجهتهم أن يحافظوا على لغتهم نقية خالصة وكان العرب يرون أن العربية الفصحى النقية هى لغة البدو البعيدين عن الاختلاط بالعجم وكان الطريق إلى تعلم الفصحى هى معاشرة البدو واعتبر كل ما يقوله البدوى فصيحا وكان القادرون من الناس يرسلون أبناءهم إلى البادية يتعلمون فيها الفصحى ، وظهر المؤدبون والمعلمون ، وظهرت فئة من العلماء كان همهم الأكبر العلم ، أمثال أبى الأسود الدؤلى وتلاميذه ، ورحل هؤلاء إلى البادية يسمعون من أهلها عربيتهم الفصحى ، وأشهر هؤلاء أبو عمرو بن العلاء والخليل بن احمد

والكسائى وتلاميذهم . ولما رأى بعض الاعراب تعلق العلماء والمؤدبين بأهل البادية هاجروا اليهم فى مدنهم ومن أشهر هؤلاء الأعراب أبو مالك عمرو ابن كركرة وأبو مندام كلاب بن حمزة وأبو البيداء الرياحى وابو الجاموس ثور بن زيد .

وكان السبب الرئيسى الاهتمام بالعربية ارتباطها بالقرآن الكريم وعلوم الدين وكان الهدف الاساسى لمعرفة اللغة آنذاك توضيح آيات القرآن الكريم أو تفسير غريبه ، واهتم اللغويون أيضا بالحديث الشريف اهتمامهم بالقرآن الكريم ، فحاولوا تفسير غريبه ، وفى أول العصر العباسى وضعت أسس العلوم العربية والدينية نقلية مثل علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والاصول والنحو وعقلية مثل المنطق والكلام والفلسفة ، وظهر لنا علم النحو ، وكان يسمى أولا علم العربية وكانت هناك جهود ضخمة لضبط العربية المدونة من حيث الشكل والإعجام وظهرت بين هذا وذاك فكرة المعاجم كما سنرى .

ونرى أحمد أمين فى كتابه ضحى الإسلام يذكر أن جمع اللغة كان يسير فى مراحل ثلاث :

المرحلة الاولى :

جمع الكلمات حيثما اتفق فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة فى المطر وأخرى فى الزرع والنبات فيدون ذلك كله حسبما سمع .

المرحلة الثانية :

جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد كالمحدث يجمع أحاديث الصلاة ويسميها كتاب الصلاة وأحاديث البيع ويسميها كتاب البيع . وتوجت

هذه المرحلة بكتب فى الموضوع الواحد فألف أبو زيد كتبا فى المطر واللبن ، وألف الأصمعى كتباً كثيرة صغيرة كل كتاب فى موضوع .

المرحلة الثالثة :

وضع معجم يشمل كل الكلمات ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى الكلمات (١) .

ويذكر الدكتور على عبدالواحد وافى تقسيما يشبه هذا التقسيم ولكنه لايذكره بمراحل فهو يقسم متون اللغة إلى ثلاثة أقسام :

(١) رسائل فى طوائف خاصة من الألفاظ أو المعانى مثل كتاب أبى حنيفه فى الأنواء والنبات وكتب يعقوب فى النبات والأصوات والفرق وكتب أبى حاتم فى الأزمنة والحشرات والطير وكتب الاصمعى فى الدارات والسلاح . ثم يعقب على ذلك بقوله وهذا النوع من المعجمات كان أسبق فى الظهور من النوعين الاخيرين . فقد ظهرت بعض كتب منه فى فاتحة العصر العباسى .

(٢) معجمات جامعة ترمى إلى بيان المفردات الموضحة لمختلف المعانى فترتب المعانى بطريقة خاصة وتذكر الألفاظ التى تقال للتعبير عن كل معنى فيها ومن أشهرها كتاب الالفاظ لابن السكيت المتوفى عام ٢٤٤ هـ وثانيها الألفاظ الكتابية للهمذانى المتوفى عام ٣٢٧ هـ ومبادىء اللغة للأسكافى المتوفى عام

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام : جـ ٢ ، ص ٢٦٤ - مطبعة النهضة المصرية ١٩٥٣ .

٤٢١ هـ ورابعها فقه اللغة الثعالبي المتوفى عام ٤٢٩ هـ وخامسها المخصص لابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ هـ .

(٣) معجمات جامعة ترمى إلى شرح معانى المفردات وترتب الكلمات ترتيبا خالصا ليسهل على من يريد الوقوف على معنى أى كلمة الرجوع اليها فى مواطنها (١) .

كانت فكرة المعجم إذن لم تكتمل إلا بعد أن ظهرت رسائل فى غريب القرآن والحديث ورسائل خاصة فى المطر والحشرات والخيل وغير ذلك وكان سبب ذلك كما وضحنا الحفاظ على العربية من اللحن واختلاط العجم بالعرب وفساد ألسنتهم ثم حاجة العرب إلى معرفة ما غمض عليهم فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان هذا دافعاً قوياً للاهتمام بتلك الكتابات اللغوية .

أما المرحلة الأولى وهو ما كتبه العلماء فى الرسائل الخاصة وأهمها غريب القرآن وغريب الحديث فأول من يعزى اليه تأليف كتاب فى غريب القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، المتوفى عام ٦٨ هـ ، ولكن معظم الباحثين يشكون فى نسبة الكتاب إليه (٢) ، وكتب فى غريب القرآن خلق كثير منهم فى القرن الثالث ، النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٢ هـ والاصمعى المتوفى عام ٢١٣ هـ وابن سلام الجمحى المتوفى عام ٢٣١ هـ وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ وثعلب المتوفى عام ٢٩١ هـ ، ولقد فقدت كتب هؤلاء العلماء ما عدا كتاب

---

(١) دكتور على عبد الواحد وافى : فقه اللغة ، ص ٢٨٠ ، الطبعة الثالثة .

(٢) المعجم العربى نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

ابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ ه فى غريب القرآن وهو يفسر فى كتابه الألفاظ لغويا ، ويستشهد عليها بكثير من الأشعار والأحاديث وأقوال العرب .

وفى القرن الرابع نجد كثيراً يكتبون فى غريب القرآن منهم المفضل ابن سلمة المتوفى عام ٣٠٨ ه وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ ه ولكنه لم يتم كتابه ، ونفطويه المتوفى عام ٣٢٣ ه ، ومحمد بن عزيز السجستانى المتوفى عام ٣٣٠ ه .

كانت حركة البحث عن غريب القرآن وتفسيره هى الحركة العلمية الأولى فى الإسلام وبدأت فى النصف الأول من القرن الأول وكانت تسير فى طريقين بانتظام « ترتيب وفقا للسور فى المصحف وهو أقدمها والترتيب الالف بائى » .

أما غريب الحديث فقد ظهر متأخراً ، وأول من ألف فيه أبو عبيدة معمر ابن المثنى ، المتوفى عام ٢١٠ ه ، ونحن نشك أن يكون لابن المثنى كتابا فى غريب الحديث ، لقد نقده ابراهيم الحربى باحتوائه أحاديث لا أصل لها ، وقد كان أبو عبيدة مشهوراً بالشعوبية والتطاول على العرب والعربية ، ولقد فقد الكتاب وكتب النضر بن شميل المتوفى عام ٢٣٠ ه كتابا فى غريب الحديث أيضاً ولكنه لم يصلنا وفى القرن الثالث نجد من كتب فى غريب الحديث أبو عمرو الشيبانى المتوفى عام ٢٠١ ه وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ ه والاصمعى المتوفى عام ٢١٣ ه ، وألف أبو عبيد المتوفى عام ٢١٤ ه كتاباً فى غريب الحديث أعجب به الباحثون وكتب ابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ ه فى غريب الحديث يقول فى مقدمته « وقد كنت زمانا أرى أن كتاب أبى عبيد قد جمع

تفسير غريب الحديث وان الناظر فيه مستغن به ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما ترك نحوا مما ذكر فتتبعت ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر وأرجو ألا يكون بقى بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال » (١).

وفى القرن الثالث نجد ابراهيم بن اسحق الحربى المتوفى عام ٢٨٥ هـ يؤلف فى غريب الحديث ويتبع فيه منهج أبى عبيد المتوفى عام ٢٢٤ هـ ، وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦هـ ، والمبرد المتوفى عام ٢٨٦هـ وثعلب المتوفى عام ٢٩١هـ ، وابن كيسان المتوفى عام ٢٩٩هـ .

أما القرن الرابع فنجد فيه من العلماء الذين كتبوا فى غريب الحديث قاسم بن ثابت السراقسطى المتوفى عام ٣٠٢ هـ وأبو موسى الحامض المتوفى عام ٣٠٥ هـ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ وأبو بكر بن الانبارى المتوفى عام ٣٢٨ هـ وابن درستويه المتوفى عام ٣٤٧هـ (٢).

أما أهم الكتب التى ألفت فى غريب الحديث بعد ذلك ووصلتنا وتعتبر مصدراً لكل ما كتب قبل ذلك عن غريب الحديث كتاب الفائق فى غريب الحديث الذى ألفه الزمخشرى المتوفى عام ٥٤٨هـ وقد قسم كتابه على حسب حروف المعجم فيذكر فى المادة الحديث الذى يحتوى عليها ثم يشرح المادة ، ويستشهد عليها بأحاديث أخرى وبالقرآن الكريم وبالشعر .

---

(١) غريب الحديث : ابن قتيبة : مخطوط مكتبة البلدية رقم ٢٢٢٠ ب .

(٢) الفهرست : لابن النديم ، ص ١٣٥ (جمع مؤلفى كتب الحديث فى القرن الثالث والرابع ، أنظر ص ١٣٥ وما بعدها) .

أما كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثير لابن الأثير المتوفى عام ٦٠٦ ﻫ وقد أخذ مادة هذا الكتاب من أكبر كتابين فى غريب القرآن والحديث للهروى المتوفى عام ٤٠١ ﻫ بعد تجريدهما من غريب القرآن والزيادة عليها من الكتب الأخرى، وكان الهروى المتوفى عام ٤٠١ ﻫ قد أراد أن يضم إلى الحديث الشريف فجمع (كتاب الغريبين) واستمد الهروى مادته كلها من الكتب السابقة عليه فى القرآن والحديث مع الاختصار ولذلك قلل الشواهد وحذف أسانيد الاحاديث ولا شك أن تفسير الغريب فى القرآن الكريم والحديث الشريف عمل له صلة أصيلة بالدراسة المعجمية، فإن أساس المعجم شرح لفظ من الالفاظ اللغوية وبدأ العرب بتفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف وتطور التفسير اللغوى إلى وضع المعاجم بعد ذلك.

وهناك ناحية أخرى أحس بها علماء اللغة ذلك أن ألفاظا ظهرت فى معان جديدة، مثل الصلاة والزكاة والحج والصوم والوقف والبيع وكان لهذه الالفاظ اصطلاحات فقهية ومعان لغوية أخرى فظهرت لنا كتب فى معاجم الفقه، مثل كتاب الزاهر فى غرائب الامام الشافعى تأليف أبى منصور الازهرى صاحب التهذيب، والمتوفى عام ٣٧٠ ﻫ وقد ألف كتابه لشرح ألفاظ الامام الشافعى معتمداً على كتاب جمع ألفاظ الشافعى وهو جامع إسماعيل بن يحى المزنى.

ومن الكتب الأخرى التى كتبت فى الفقه وألفاظه كتاب المغرب فى ترتيب المعرب، لابى الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزى الخوارزمى المتوفى عام ٦١٦ﻫ، وكتاب تهذيب الأسماء واللغات لمحى الدين بن شرف النووى المتوفى عام ٦٧٦ ﻫ وتشترك مثل هذه الكتب فى أنها شرح لكتب معروفة من كتب الفقه تكثر من

الاستشهاد بالحديث الشريف وتقل من الاستشهاد بالشعر حتى أن بعضها يشبه كتب غريب الحديث . كما يشترك أكثرها فى العناية بأسماء الفقهاء والمحدثين والأماكن الواردة فى الحديث وهى تعنى باللفظ بالمعنى الفقهى ولا تورد شيئا من مشتقاته إلا ما يوضح معناه ولا تفصل فى المعانى اللغوية والنحوية .

ومن المؤلفات التى سبقت وضع المعاجم وكانت مقدمة لجمع اللغة كتب اللغات والعامى والمعرب وكانت لغات القرآن الكريم أهم الكتب المؤلفة فى ذلك المضمار ، وقد وصلت إلينا رسالة منسوبة إلى ابن عباس رضى الله عنهما — تحت عنوان « كتاب اللغات فى القرآن » ، ويشك كثير من الباحثين فى هذه الرسالة المنسوبة إلى ابن عباس ، يقول الدكتور حسين نصار فى كتاب المعجم العربى نشأته وتطوره « ويخيل إلى أن الكتاب يجمع بعض الروايات المعزوة إلى ابن عباس من عمل أحد الرواة المذكورة أسماءهم فى صدر الكتاب وليس من عمل ابن عباس نفسه » (١) .

ووصلت إلينا رسالة أخرى منسوبة إلى أبى القاسم بن سلام ونشرت الرسالة مع تفسير القرآن العظيم لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى فى هامش الكتاب ، ويشك كثير من الباحثين فى نسبة هذه لرسالة أيضا إلى أبى القاسم بن سلام ، فصاحب الرسالة غير معروف وليس هو أبا عبيد القاسم بن سلام إذ لم تذكر له رسائل من هذا النوع ، ويعتبرون الرسالة صورة مختصرة من رسالة ابن عباس — رضى الله عنهما — وقد اطلعت على الرسالة التى نشرت على هامش تفسير الجلالين ، هى تبدأ بمقدمة تبين نزول القرآن الكريم بلسان

---

(١) كتور حسين نصار : المعجم العربى نشأته وتطوره ج ١ ص ٧٣ .

قريش وأنه لوكان غير عربى ما فهموه ، « وما أنزل الله كتابا من السماء إلا بالعربية وكان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبى بلسان قومه ، وذلك معنى قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) ، فليس ما وقع من السنة الامم أو سمع من لسان العرب فى القرآن ليس فيه لغة إلا لغة العرب وربما وافقت بعض اللغات بعضا فاما الاصل والجنس فعربى لايخالطه شيء(١).

وتسير الرسالة فى منهجها مبتدئة بترتيب المصحف الشريف فتذكر ما ورد فى القرآن الكريم من لغات العرب وهذه أمثلة لها ، ففى سورة البقرة قوله تعالى (قالوا أنؤمن لك كما آمن السفهاء) (٢) ، السفيه الجاهل بلغة كنانة ، ومثل قوله تعالى فى سورة البقرة (لا شية فيها) (٣) ، لا وضح بلغة أزدشنوءة ، وفى سورة مريم قوله تعالى (من الكبر عتيا) (٤) نحولا بلغة حمير ، (وتحتك سريا) (٥) يعنى جدولا ، بلغة توافق لغة السريانية(٦).

ومن الذين الفوا فى لغات القرآن الكريم الفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ

---

(١) أبو القاسم بن سلام : رسالة فيما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل هامش تفسير الجلالين جـ ١ ص ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة أية ١٣ .

(٣) سورة البقرة أية ٧١ .

(٤) سورة مريم أية ٨ .

(٥) سورة مريم أية ٢٤ .

(٦) رسالة فيما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل : أبو القاسم بن سلام ، هامش تفسير الجلالين جـ ١ ص ١٢٦ — ١٣٠ .

والأصمعى المتوفى عام ٢٠٣ هـ ، وأبو زيد الانصارى المتوفى عام ٢١٥ هـ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ ولم يتم كتابه .

أما لغات القبائل فينسب إلى يونس بن حبيب المتوفى عام ١٧٢ هـ كتابا وأبى عمرو أسحاق بن مرار الشيبانى المتوفى عام ٢٠٦ هـ وكذا ألف فى لغات القبائل الفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ وأبو عبيده المتوفى عام ٢١٠ هـ والاصمعى وأبو زيد الأنصارى المتوفى عام ٢١٥ هـ وعمرو بن أبى عمر الشيبانى المتوفى عام ٢٣١ هـ أما ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ فقد خصص أمثلة تعالج اللغات ألحقة بجمهرة اللغة .

أما كتب اللحن فأقدم كتاب وصل إلينا كتاب ينسب إلى الكسائى وقد كتب غيره فى اللحن مثل الزبيدى الذى كتب فى لحن العوام وكتب ابن السكيت المتوفى عام ٢٤٤ هـ كتابه إصلاح المنطق وابن قتيبه المتوفى عام ٢٧٦ هـ الذى أفرد قسما من كتابه أدب الكاتب وهو ما سماه كتاب تقويم اللسان .

أما الرسائل التى كان لها دور كبير فى نشأة المعاجم فهى الرسائل المؤلفة فى الانسان والخيل والابل وقد سبق ذلك كتب الفت فى الحشرات .

وقد تعجب دكتور حسين نصار من سبب ظهور هـذا النوع من التأليف سابقا لغيره من أنواع التأليف الأخرى ولكنه علل ذلك بقوله « أن القرآن ذكر طائفة من الحشرات كالنمل والنحل والذباب والعنكبوت والجراد والبعوض فكان لمفسرى القرآن مباحث وكلام فيها استرعى أنظار اللغويين » (١) .

أما كتب الحشرات فقد ألف أبو خيرة الأعرابى كتاب الحشرات ثم ألف

---

(١) المعجم العربى نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ج ١ ص ١٤٣ .

أبو عمرو الشيبانى المتوفى عام ٢٠٦ ﻫ كتابى النحل والعسل وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠ ﻫ كتابى الحيات والعقارب ، والاصمعى المتوفى عام ٢١٣ ﻫ كتابى النحل والعسل وابن الأعرابى المتوفى عام ٢٣١ ﻫ كتاب الذباب ، وأبو حاتم السجستانى المتوفى عام ٢٥٥ ﻫ كتب الحشرات والجراد والنحل والنمل وألف أبو الحسن الاخفش الأصغر المتوفى عام ٣١٥ ﻫ كتاب الجراد .

ولم يصل الينا كتاب مستقل من هذه الكتب وانما نقل عنها اصحاب الموسوعات مثل ابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ ﻫ فى كتابه المخصص والثعالبى المتوفى عام ٤٢٩ ﻫ فى كتابه فقه اللغة :

أما كتب الخيل فاهتم بها علماء اللغة لما للخيل من أهمية عند العرب فهى عدة الاساسية فى الحرب وأداة انتقاله وزينته فى السلم وكتب اللغويون فيها تحت اسم الخيل او خلق الفرس مثل النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٤ ﻫ وأبو عمرو الشيبانى المتوفى ٢٠٦ ﻫ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ ﻫ وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠ ﻫ وله ثلاث كتب فى الخيل وأسمائها وحضرها . وكتب أيضا الاصمعى المتوفى عام ٢١٣ ﻫ والمفضل الضبى المتوفى عام ٢٢٨ ﻫ والرياشى المتوفى عام ٢٥٧ ،

وفى القرن الرابع نجد من كتب فى الخيل مثل قاسم بن محمد الانبارى المتوفى عام ٣٠٤ ﻫ والزجاج المتوفى عام ٣١٠ ﻫ والنويرى المتوفى عام ٣٤١ ﻫ .

اما ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ ﻫ فنجده يكتب رسالتين احداهما فى صفة

السرج واللجام والأخرى فى السحاب والغيث أما تلميذه أبو على القالى المتوفى عام ٣٥١ ﻫ فيؤلف فى الخيل بعامة .

وكتب الخيل يقسمها مؤلفوها تقسيما موضوعيا فهنا باب لأعضاء الخيل وآخر لما يستحب فيها وثالث لما يكره وقد ضاعت معظم هذه الكتب وبقيت رسالتا ابن دريد وأحداهما تتحدث عن صفة السرج واللجام . وقد بقيت نصوص هذه الكتب ينقلها أصحاب الموسوعات كما قلنا ونجد ذلك عند الثعالبى فى فقه اللغة وابن سيده فى المخصص والنويرى فى نهاية الارب .

أما الرسائل الأخرى التى مهدت لنشأة المعاجم العربية فهى كتب النوادر وأول كتاب فى النوادر ينسب إلى أبى عمرو بن العلاء المتوفى عام ١٥٧ ﻫ ظهر فى هذا الشأن وينسب إلى يونس بن حبيب المتوفى عام ١٨٢ ﻫ كتاب فى النوادر أيضا .

أما القرن الثالث فقد امتلأ بكتب النوادر فقد ألف فيها اليزيدى المتوفى عام ٢٠٢ ﻫ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ ﻫ والفراء المتوفى عام ٢٠٧ ﻫ وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠ ﻫ والأصمعى المتوفى عام ٢١٣ ﻫ وغيرهم من علماء القرن الثالث . وأهم كتاب وصلنا فى النوادر بل أقدم هذه الكتب التى بقيت مع الزمن كتاب النوادر لأبى زيد الانصارى المتوفى عام ٢١٥ ﻫ وينقسم الكتاب إلى أبواب منها مجموعة خاصة بالشعر وأخرى بالرجل وثالثة للنوادر وهو يهتم كثيراً بالشعر فكان يذكر صاحب الابيات وعصره جاهلى أم أدرك الاسلام ويذكر الروايات المختلفة فى الشعر ،

وكان يلتفت فى شروحه إلى بعض المشتقات والتعبيرات الخاصة والدقائق اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية. كما أنه كان يشرح معانى المفردات ويفسر المعنى الاجمالى، وكان يستشهد فى شرحه بشواهد أخرى من القرآن الكريم والشعر ويغلب على البابين الأولين من أبواب الشعر الإطالة والاستطراد وليس الحال هكذا فى الأبواب الأخرى الخاصة بالرجز والنوادر فقد كان أقل دقة فى عزو الرجز إلى صاحبه وكثيرا مايهمل التصريح باسم القائل وقد ينسب الرجز إلى قبيلة أو بطن من البطون لا إلى فرد معين وكان شرحه فى هذا الجزء مختصراً عن شرح الشعر أما الفاظ النوادر فتتناول الفاظا وتعبيرات واستعمالات غريبة لاتجرى على القواعد المعروفة لا على اللغة الشائعة .

ومن أهل القرن الرابع من ألف فى النوادر منهم الزجاج المتوفى عام ٣١٠ ﻫ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ ﻫ . وأبو على القالى المتوفى عام ٣٥٦ ﻫ وأبو هلال العسكرى المتوفى عام ٣٩٥ ﻫ .

اما كتاب النوادر لابن دريد المتوفى عام ٣٢١ ﻫ فقد ضيعه الزمن ولكنه بعد أن انتهى من ذكر أبواب الخماسى فى كتاب جمهرة اللغة ألحق به بعض الابواب وجعلها من النوادر وعزاها إلى أبى عبيدة وأبى زيد والاصمعى ، ونوادر ابن دريد عبارة عن نقول من كتب كان يأخذ منها ويروى فيها عن علماء اللغة السابق ذكرهم ومنهجه فى النوادر هو نفس منهج أصحاب كتب النوادر وقد جمع ابن دريد فيه الفاظا غريبة ويأتى لها بشواهد من الشعر .

ويعتقد بعض الباحثين المحدثين ان هذا الملحق الذى ختم

ابن دريد الجمهرة بة ليس إلا كتابا منفصلا أحب الناشر أن يلحقة بالجمهرة لما له من علاقة بفن الكلمة . (١)

إلى جانب هذه الرسائل التى شاركت فى تطور العلوم اللغوية وارساء فن المعاجم اللغوية ظهرت كتب البلدان والمواضع وقد ظهرت هذه الكتب فى عصر الخليل بن أحمد فقد عد ابن النديم فى الفهرست كتبا لهشام بن محمد الكلبى المتوفى عام ٢٠٢ ء منها البلدان الكبير والبلدان الصغير وتسمية الأرض والأنهار ومنازل اليمن ، وأسواق العرب والأقاليم . (١)

وذكر ابن النديم للاصمعى المتوفى عام ٢١٦ ه كتبا عن مياه العرب وجزيرة العرب والدارات وقد وصل الينا كتاب الدارات فى مجموعة البلغة فى شذور اللغة التى نشرها أوغست هفنر إلى جانب هذه الرسائل كانت هناك رسائل أخرى فى الأفراد والتثنية والجمع والمصادر وقد وذكر دكتور حسين نصار احصاءا لهذه الكتب فى كتابه « المعجم العربى نشأته وتطوره » فذكر كتبا تنسب إلى الرؤاسى المتوفى عام ٢٨٧ ه فى الأفراد والجمع والفراء المتوفى عام ٢٠٧ ه كتب كتابا فى الجمع والتثنية فى القرآن ثم ألف أبو عبيده المتوفى عام ٢١٠ ه كتاب الجمع والتثنية وأبو زيد الانصارى المتوفى عام ٢١٥ ه ألف كتابى الواحد والتثنية ثم يعقوب بن السكيت المتوفى عام ١٤٦ه ، كتاب المثنى والمكنى والمبنى والمؤاخى والمشبه والنخل (٢)

وهناك كتب الابنية مثل كتب المصادر وكان الكسائى المتوفى عام ١٨٩ ه قد كتب كتابا فى المصادر وجاء النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٤ه والفراء المتوفى عام ٢٠٧ ه وقد كتب عن المصادر فى القرآن وهناك كتب أمثلة الاسماء .

---

(١) د . عبد السميع أحمد : المعاجم العربية ص ٧٣

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٤٨

(٢) المعجم العربى : دكتور حسين نصار ج ١ ص ١٧٢

ويعتقد الدكتور حسين نصار أن الفارابي المتوفى عام ٣٥٠ هـ قد ابتدع نظاما فى هذا النوع من التأليف كان له أثره الخالد فى حركة المعاجم العربية . فقد جمع للمرة الأولى بين كتب الأفعال والمصادر والاسماء فى كتاب واحد .... (١) وهناك رسائل فى الصفات أيضا . ونستطيع أن نلاحظ فى نهاية هذه الرسائل أن ابن دريد شارك مشاركة فعالة فى هذه الحركة المبكرة فكتب فى الخيل والمطر والامالى والنوادر وغريب الحديث الشريف وهو إلى جانب ذلك صاحب معجم .

كانت هذه الرسائل التى تفسر كلمات أو تتحدث عن موضوعات خاصة بالانسان أو بالخيل أو المطر أو أبنية الكلم فى العربية مقدمة لنشأة المعاجم العربية وكان الخليل بن أحمد عالم اللغة العظيم صاحب الفضل الاول فى نشأة المعجم العربى ولكن هل كان العرب أسبق الامم فى المعاجم أم سبقتهم أمم أخرى ؟

يرى الدكتور محمد أبو الفرج أن العرب كانوا أسبق من الغرب فى تأليف المعاجم . يقول الدكتور محمد أبو الفرج فى كتابه « المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث » وإذا أردنا أن نقارن تاريخ المعاجم فى العربية بمعاجم اللغة كالانجليزية مثلا وجدنا الاصطلاح معجم لم يظهر فى صيغة اللاتينية Dictionaries الا فى سنة ١٢٢٥ ميلادية أى بعد خمسة قرون من ظهور معجم العين وبعد هذه القرون الخمسة استعملت الكلمة . ولكن لم يظهر معجم بالمعنى الشامل الا فى القرن السابع عشر إذ كتب Robert Tandery معجمه سنة ١٦٠٤م (٢)

---

(١) المعجم . للعربى الدكتور حسين نصار جـ ١ ص ١٠٨

(٢) د . محمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص ٢٣

ويرى الدكتور حسن ظاظا وهو يذكر أن المعاجم الأولى التى عرفها الإنسان كانت معاجم ترجمة أو معاجم زوجية يرى أن « هذا النوع أى المعجم الزوجى أو معجم الترجمة نجده معروفا فى العراق القديمة إذ جاء الساميون من جزيرة العرب فى غضون الالف الثالث قبل الميلاد وأسسوا لهم حضارة ودولة ونظما إجتماعية أخذت معظم عناصرها الاساسية من حضارة السومريين »(١)

وفى موضع آخر يذكر الدكتور حسن ظاظا حين يتحدث عن المعاجم اللغوية الأبجدية ، إن هذه المعاجم ظهرت فى الشرق الأقصى — وبخاصة الصين — ويرجع ذلك إلى سنة ١٥٠ ق.م وهو معجم يعرف باسم « شو أوان » من تأليف « هو شن » ومعجم آخر من سنة ٥٣٠ بعد الميلاد ألفه كورى وانج واسمه « يو بيين » ، كذلك وضع اليونان والرومان معاجم من هذا النـــوع منها معجم هلاديوس السكندرى ، فى القرن الرابع الميلادى ومعجم يوليوس بولوكس وهو مرتب حسب الموضوعات ، وهذان المعجمان يونانيان .

وفى عهد الامبراطور الرومانى أغسطس حوالى ميلاد المسيح ظهر معجم فاليريوس فلاتوس ، وعنوانه « معانى الألفاظ كما ألف هتزيشيوس السكندرى فى القرن الرابع الميلادى معجما للهجاء والتعبيرات وألف امونيوس السكندرى معجما لمعانى المشترك »(٢).

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية مادة الخليل بن احمد أن الهنود سبقوا إلى وضع معاجم ألفاظ للغة السنسكريتية مرتبة ترتيبا أبجدياً .(٣)

(١) كلام العرب من قضايا اللغة العربية : دكتور حسن ظاظا ص ١١٢.
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
(٣) دائرة المعـــارف الإسلامية : ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون مادة (الخليل بن احمد) .

ويرتب بعض الباحثين المحدثين على هذا أن العرب قلدوا الهنود بتنظيم معجماتهم تنظيما هجائياً وأن الخليل بن أحمد نفسه تأثر بهم وتتلمذ على طريقتهم ، ولكن هذا الافتراض لم يقم عليه دليل يؤيده حتى الآن . ونستطيع أن نرى من الآراء السابقة للباحثين المحدثين أن العرب كانوا أسبق الامم فى إرساء فن المعاجم اللغوية بطريقة منظمة مرتبة تحفظ اللغة على مر الزمن وتتيح للباحث أن يرى ما خفى عليه . وقد توسعت بعض المعاجم اللغوية مثل لسان العرب فأصبحت موسوعات لغوية تشمل لغة وتفسيراً وحديث شريف وأدب ، وهناك معاجم خصصت موضوعاتها لدراسة خاصة مثل المخصص لابن سيده الاندلسى .

ولكن متى ظهرت كلمة « معجم » وهل أطلقت أول ما أطلقت على المعاجم اللغوية ؟

تطلق كلمة « معجم » من الناحية اللغوية على معان ، فيذكر ابن جنى فى سر الصناعة أن « ع ج م — إنما وضعت فى كلام العرب للابهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح من ذلك قولهم رجل أعجم ، وامرأة عجماء إذ كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما ، وكذلك العجم والعجم ، ثم يناقش ابن جنى معنى (أعجمت) وتعريف — عجم ، وفى كلامهم موضوع للابهام وخلاف الإفصاح وأنت إذا أعجمت الكتاب فانما معناه أوضحته وبينته »(1) .

ويذهب بعض اللغويين المحدثين إلى أن المعجم بمعنى الاعجام مصدراً مثل

---

(1) سر صناعة الإعراب : ابن جنى : تحقيق ابراهيم مصطفى وآخرون ص ٤٢ .

المخرج والمدخل أى من شأن هذه الحروف أن تعجم ووضعت الكتب التى راعت فى ترتيبها حروف الهجـــاء أي مراعاة فى الحرف الأول وحده أو فى الحرفين الأولين أو فى حروفها جميعا ، وعلى ترتيب ألف باء أو ترتيب المخارج ، أو ترتيب الأبجدية بأنها تسير على حروف المعجم ويبدو أن الناس استطالوا عبارة «كتاب كذا على حروف المعجم لفلان .. فاختصروها وساروا فى طريقتين قالوا كتاب كذا على الحروف لفلان . بحذف كلمة (المعجم) وقالوا معجم كذا لفلان بحذف كلمة (حروف) وتغيير وترتيب الكلمة» (١).

وظهرت كلمة معجم قبل أن تظهر كلمة (المعجم) فى المعاجم اللغوية فقد كتب أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوى المعروف بابن بنت منيع المعجمين الكبير والصغير ونرى أبو يعلى احمد بن على بن المثنى المتوفى عام ٣٠٧ هـ يضع كتاباً يسميه معجم الصحابة . وأطلقت كلمة معجم فى القرن الرابع على كثير من الكتب وأشهرها المعجم الكبير والصغير والأوسط فى قراءات القرآن وأسمائه لأبى بكر محمد بن الحسن النقاس الموصلى المتوفى عام ٣٥١ هـ ، ومعجم الشيوخ لأبى الحسين عبد الباقى بن قانع بن مرزوق البغـــدادى المتوفى عام ٣٥١ هـ . ومعجم الشموخ لعمر بن عثمان البغدادى المعروف بابن شاهين والمتوفى عام ٣٨٠ هـ .

ولا ندرى متى أطلقت كلمة (معجم) على المعجمات اللغوية ونجد كلمة (قاموس) مرادفة لكلمة معجم : وقد ذكرت أول ما ذكرت من تسمية معجم الفيروز أبادى بالقاموس المحيط ومعناها البحر المحيط ، واقتصر المتأخرون

---

(١) المعجم العربى : دكتور حسين نصار جـ ١ ص ١٣ .

على تسمية المعاجم بالقاموس وشهر الاسم وأطلق على جميع المعـــاجم اللغوية الأخرى المتقدمة والمتأخرة .

ونستطيع أن نلخص الآراء السابقة فنقول أن كلمة معجم أصلها من عجم وهى تدل على الإبهام والخفاء والأعجم غير الفصيح أما أعجمت الحروف أزلت عجمته بما يميزه عن غيره بنقط وشكل . فالمعجم هو ما يزيل العجمة ويبين الخفاء وان كلمة المعاجم ظهرت أول ما ظهرت فى كتب لا نعد معاجم لغوية مثل معاجم الصحابة ومعاجم القرآن الكريم وأطلقت بعد ذلك على الكتب التى تفسر الكلمة وترتبها وتبوبها وظهرت كلمة (قاموس) أيضا مرادفة لها وكان أول من استعملها الفيروز ابادى فى كتاب (القاموس المحيط) بمعنى البحر المحيط وشاعت الكلمة بعد ذلك فقيل معجم أو قاموس والمعنى واحد .

وننتقل بعد ذلك إلى معجم العين للخليل بن احمد الذى كان له أثر كبير فى كتاب الجمهرة ، بل إن بعض الباحثين عدوه شبيها له واتهم بعض القدماء ابن دريد بسرقة العين وتغييرها وتسميتها بالجمهرة .

والخليل بن احمد غنى عن التعريف فقد كان فى حياته زاهداً يحب العلم تتلمذ على عيسى بن عمر وأبى عمرو بن العلاء واهتم بالعلوم المستعربة وخاصة العلوم الرياضية وقرأ كل ما ترجم وخاصة منطق ارسطاطاليس وقرأ ما ترجم من علم الايقاع الموسيقى عند اليونان وألف فيه كتابا وكان عقل الخليل من العقول الخصبة النادرة فهو ينهل من كل علم يقبل عليه ويحاول أن يبتكر فيه ويرجع اليه الفضل فى ابتكار علم العروض ويقال أنه استغل معرفته بالعــلوم الرياضية ونظرياتها وخاصة نظريتى المعادلات والتعادل والتوافيق فى تنظيمه لعلم العروض فقد اشتق له تفاعيل خاصة وأدارها فى دوائر كدوائر المهندسين مستخدما إشارات

من النقط والحلقات تصور ما يجرى فى التفعيلات من زحافات كما تفسح لأجزائها فى التقدم والتأخر »(١)

ويقال انه مر بجدار يوما فأعجبه دق المطرقة المنتظم ولما حاول أن يربط بين هذه النغمات المنتظمة وبين الاوزان وفى الشعر العربى أداه ذلك إلى اختراع علم العروض .

وكان الخليل بارعا أيضا فى علم الحساب فقد ذكر أنه وضع محاولة ابتكر فيها وضع نظام حسابى خاص من السهولة حتى تعرفه جاريته إذا ذهبت إلى السوق فلا يغالطها أحد فى الحساب . وله مؤلفات يذكر ابن النديم منها « كتاب النغم ، كتاب العروض ، كتاب الشواهد ، كتاب النقط والشكل ، كتاب فائت العين ، كتاب الاتباع »(٢).

وقد تتلمذ له سيبويه والنضر بن شميل ومؤرج السدوسى ومات عام ١٧٠ هـ .

منهج الخليل فى كتاب العين :

لم يجد الخليل بن احمد فى الرسائل اللغوية الخاصة منهجا كافيا لجمع اللغة وفكر طويلا فى منهج جديد وأخيراً اهتدى إلى ان العربية تتألف من (٢٩) حرفا وحاول أن يتم حصر اللغة بترتيب هذه الحروف فى نظام ثابت وقد تذكر أن الكلمات العربيه محصورة بين الثنائى والخماسى فلا تقل ولاتزيد إلا بحروف زوائد

---

(١) المدارس النحوية : دكتور شوقى ضيف ص ٣١ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٧١ .

لا تؤثر فى المعنى الاصلى للكلمة المجـــردة وحاول أن يستخدم هذين الاساسين (انحصار الحروف فى ٢٩ حرفا وانحصار الكلمات العربية فيما بين الثنائى والخماسى) وحاول أن يستعمل الأبجدية العادية فيبدأ بالالف ولكنه يذكر فى مقدمة العين أن ذلك لم يتيسر له « لأن الالف حرف معتل فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدىء بالثانى وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر ، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف منها فى الحلق وإنما كان ذواقه اياها انه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو : اب ، ات ، فوجد العين أدخل الحروف فى الحلق ... »(١)

فهو لم يبدأ بالهمزة لأنها لا استقرار لها والهمزة هو ذلك الحرف الذى هزم أستاذه أبا عمرو بن العلاء واتعب كل من تصدى له ولا صورة ثابتة له فى النطق أو الكتابة فلم يبدأ بالهمزة وكره البدء بالباء وهنا تجود به القريحة وهو ذلك العالم الذى يعيش فى جو الاصوات والانغام فيبتكر نظاما جديداً قائماً على الاصوات فهو يرى أن الأصوات تشبه أنغام الآلات الموسيقية والآلة التى تصدر الأصوات اللغوية فهى ما بين الحنجرة إلى الشفتين وأما الذى يفرق بين وقعها على الاذن فهو اختلاف مواضع مخارجها كما يفرق فى الاصوات الموسيقية الخارجة من الناى بشدة إرسال الهواء أو ضعفه ويغلق بعض الثقوب الجانبية أو فتحهـــا .

وقد ذكر ابن جنى فى كتاب « سر صناعة الاعراب » فى تشبيه الحلق بآلات

---

(١) مقدمة كتاب العين للخليل بن احمد (مقال بقلم دكتور عبد الله درويش مجلة معهد المخطوطات المجلد التاسع ص ١٠٢) .

الموسيقى بقوله : « ولاجل ما ذكرنا من اختلاف الاجراس فى حروف المعجم باختلاف مقاطعها التى هى أسباب تباين أصدائها — ماشبه بعضهم الحلق والفم بالناى فان الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا ... »(١)

ويرى الدكتور حسين نصار انه يقصد بقوله « ماشبه بعضهم » معناه وأظن انه يقصد الخليل وخاصة انه اللغوى الذى ألف فى الموسيقى »(٢).

وقد اتبع الخليل بن احمد هذا المنهج حين وضع العين :

أولا : جمع ألفاظ اللغة حسب مخارجها فبدأ بالحلقية ثم باللسانية ثم بالشفوية ثم بالجوفية ، وكان ترتيب هذه الحروف كالتالى :

ع ، ح ، هـ ، خ ، غ ، ق ، ك ، ج ، ش ، ص ، ض ، ز ، ط ، د ، ت ، ظ ، ث ، ز ، ر ، ل ، ن ، (ذ — ب م) ، و ، ا ، ى ، همـــزة (٣) .

---

(١) سر صناعة الاعراب : لابن جنى تحقيق ابراهيم مصطفى ص ١٣.
(٢) المعجم العربى نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار جـ ١ ص ٢٣٢.
(٣) مقدمة كتاب العين بقلم دكتور عبد الله درويش : مجلة معهد المخطوطات المجلد التاسع عشر طبعة مايو ١٩٦٣ ص ١٥٢ ، وقد اختلف الباحثون المحدثون فى هذا الترتيب فالدكتور الخصيب يذكرها فى مقال بمجلة المجمع اللغوى بدمشق بتقديم التاء على الدال والذال مع الثاء والراء ، ويذكرها الدكتور حسين نصار فى كتابه المعجم العربى جـ ١ ص ٢٧ ، مثل نسخة العين . وكذلك الدكتور محمد أبو الفرج فى كتاب المعاجم العربية على ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، ويختلف الدكتور ابراهيم نجا فى =

وتختلف المصادر والمراجع في ترتيب بعض هذه الحروف عن الخليل فلسان العرب ينقل هذا الترتيب هكذا : العين ، الحاء ، الهاء ، الخاء ، الغين ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والسين ، والصاد ، والضاد ، والشين ، والزاى والطاء والدال والثاء والظاء والذال والتاء والراء واللام والنون، والفاء والياء والميم والباء والواو والألف .

ثم يقول ابن منظور « وهذا هو ترتيب المحكم لابن سيده إلا أنه خالفه في الاخير فرتب بعد الميم الالف والباء والواو »(١)

وقد ذكر السيوطي هذا الترتيب بطريقة طريفة فقال « ترتيب كتاب العين ليس على الترتيب المعهود الآن في الحروف وقد أكثر الادباء من نظم الابيات في بيان ترتيبه من ذلك قول أبي الفرج سلمه بن عبد الله بن دلان المعافرى الجـــزيرى :

يا سائلي عن حروف العين دونكها ... في رتبة ضمها وزن واحصاء

العين والحاء ثم الهاء والخـــاء ... والغين والقاف ثم الكاف أكفاء

والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ... صاد وسين وزاى بعدها طاء

والدال والتـاء ثم الظـاء متصل ... بالظـاء ذال وثاء بعدها راء

واللام والنون ثم الفـاء والبـاء ... والميم والواو والمهموز والياء(٢)

═ ترتيب هذه الحروف إختلافا كبيراً : انظر كتاب المعاجم العربية ص ١٦ للدكتور ابراهيم نجا .

(١) لسان العرب : لابن منظور المقدمة ص ٧

(٢) المزهر في علوم اللغة : جلال الدين السيوطي تحقيق على البجاوى وآخرون جـ ١ ص ٨٩ .

وسمى الخليل كل حرف من هذه الحروف كتابا — فبدأ المعجم بكتاب العين فكتاب الحاء فكتاب الهاء ... الخ ، وشهر الكتاب بعنوان الكتاب الاول وهو كتاب العين ، لاستهلاله به على عادة العرب فى كثير من أسمائهم . ويتضح ذلك جليا فى كثير من أسماء سور القرآن الكريم وقد سمى أبو تمام كتابه بالحماسة لأنه أول باب من أبوابه العشرة .

ونلاحظ انه بدأ بكتاب العين وهى ليست أدخل فى الحلق من الهمزة ويناقش هذه المسألة السيوطى فى المزهر وقد نقل عن المفضل بن سلمة الكوفى « ذكر صاحب العين انه بدأ كتابة بحرف العين لأنها أقصى الحروف مخرجا ، قال الذى ذكره سيبويه أن الهمزة أقصى الحروف مخرجا قال ولو قال بدأت بالعين لأنها أكثر فى الكلام ، وأشد اختلافا بالحروف لكان أولى وقال ابن كيسان — سمعت من يذكر عن الخليل انه قال لم ابدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ولا بالألف لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا فى اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، لأنها مهموسة خفية لاصوات لها فنزلت إلى الحيز الثانى وفيه العين والخاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن فى التأليف .(١)»

ومخارج الحروف التى ذكرها الخليل تحتاج إلى تحليل فقد ناقش اللغويون المحدثون هذه المسألة ويتهمون القدماء بأنهم لم يكونوا يفرقون بين دراسة فقه اللغة وعلم اللغة ويقسمون الأصوات الانسانية إلى نوعين

---

(١) المزهر فى علوم اللغة : جلال الدين السيوطى تحقيق على البجاوى وآخرون ج ١ ص ٩٠ .

(١) علم الاصوات اللغوية Phonetics

وهى تبين طريقة نطق الأصوات ومخارجها من جهاز النطق الانسانى دون التقيد بلغة بالذات .

(٢) علم وظائف الاصوات اللغوية Phonolgy

وتدرس فيه طريقة تأدية الاصوات لوظيفتها فى اللغة . (١)

وسوف نوضح الامر تفصيلا ونحن نناقش كتاب جمهرة اللغة ، والاصوات كما يراها ابن دريد ويكفينا هنا رأى القدماء يتمثل فيما ذكره ابن جنى فى (سر الصناعة) عن مخارج الحروف فهو يقول عن مخارج الحروف : « وأعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر ثلاثة منها فى الحلق فأولها من أسفله وأقصاه — مخرج الهمزة والالف والهاء هكذا يقول سيبويه — وزعم أبو الحسن أن ترتيبها — الهمزة وذهب إلى أن الهاء مع الالف لاقبلها ولابعدها — والذى يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه انك متى حركات الالف . اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل ، فقلبتها همزة ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء وهذا واضح غير خفى ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء ، ومما فوق ذلك مع أول الفم ، مخرج الغين والخاء ، ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف ويبين أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف (٢) » وهكذا يستمر ابن جنى فى وصف مخارج الحروف حتى ينتهى إلى الخياشيم .

---

(١) المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث : دكتور محمد أبو الفرج ص ٦٠ .

(٢) سر صناعة الأعراب لابن جنى ص ٥٢ .

ثانيا : راعى الخليـــل عند ترتيبه تجريد الكلمات من الزوائد وأخضعها لأصل البناء فمثلا استغفر تحذف الهمزة والسين والتاء ويضع الكلمة فى باب الغين .

ثالثا : استقصى الأبنية فيما بين الثنائى والخماسى فبدأ بالثنائى ثم الثلاثى فالرباعى فالخماسى يقول فى مقدمة الكتاب « قال الليث قال الخليل ان كلام العرب مبنى على أربعة أصنـــاف ، على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى ، والثنائى على حرفين نحو قد ، لم ، هل ، لو ، بل ونحوه من الأدوات ، والثلاثى من الافعال نحو قولك ، ضرب ، خرج ، مبنى على ثلاثة أحرف ، ومن الاسماء نحو عمر ، جمل ، شجر ، مبنى على ثلاثة أحرف »(١) .

وهكذا يستمر حتى الخماسى ، لقد رأى الخليل أن الكلام فى العربية مبنى على أربعة أصناف (الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى) أما الثنائى فهو الحروف والأدوات ولا يكون اسما ولا فعلا أما يد و فم فهى ثلاثة فى أصلها ويظهر ذلك فى تثنيتها وجمعها وتصغيرها مثل فموان وأيد ، ويرى الخليل ان علة سقوط الحرف الثالث فيها أنه ساكن .

وإذا كان الخليل يرى أن أقل الحروف التى يتألف منها الاسم والفعل ثلاثة وهو ما سار عليه النحويون بعده فان الدكتور حسين نصار يذكر أن هذا الرأى لقى هجوما عنيفا فى العصر الحديث ، فقد ظهر مذهب آخر يرى فى اللغة

---

(١) مقدمة كتاب العين : مقال بقلم دكتور عبد الله درويش ــ مجلة معهد المخطوطات العربية ــ المجلد التاسع جـ ١ ص ١٥٢ مايو ١٩٦٣ .

كائنا حيا يولد طفلا ويشب صبيا ويفع شابا ويهن شيخا وقد يموت إذا بلغ أرذل العمر » ، فاللغة فى هذا المذهب ظاهرة إجتماعية تطبق عليها القوانين التى تسود المجتمعات (١) .

ونقد الخليل الصيغ الرباعية والخماسية وبين الأصيل فيها والدخيل فى اللغة ، وكان نقده قائما على الناحية الصوتية فيها وكأنما اللغة تحولت عنده إلى أصوات وأنغام فالمتناسق عنده عربى صحيح والناشز مولد دخيل ، فحروف الذلاقة الستة وهى الراء ، اللام — النون ، الفاء ، الباء ، الميم ، لا تعرى عن واحد أو أكثر فى الرباعى والخماسى الصحيح ، فإذا خلت منها كانت محدثة مبتدعة ليست عربية ولو كانت على الاوزان العربية مثل الكشعثج والكشعضج .

ونجمل القول فى ترتيب الابنية أنه بدأ بالثنائى وذكر انه يغلب فى الادوات ثم ذكر الثلاثى الصحيح مثل خرج وشرب ثم الثلاثى المعتل وهو ما فيه حرف علة مثالا أو أجوف أو ناقصا ثم اللفيف المفروق أو المقرون مثل وهى ، وعى ، هوى ثم الرباعى مثل دحرج والخماسى مثل سفرجل ثم أنهى كل بحث بالمعتل .

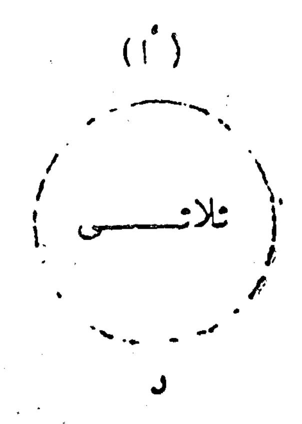
وقد رتب هذه الأبنية بنظام يسمى نظام التقليبات فقد رأى الخليل أن حرف العين يمكن أن يغير صورته فى الثنائى مرتين وفى الثلاثى ثلاثا بأن يكون أولا وثانيا وثالثا وفى الرباعى أربعا وفى الخماسى خمسا فإذا كانت العين فى بناء ثلاثى وكان معها حرفان — الباء والدال مثلا أمكن أن يأتى معها ٦ صور ، عبد ،

---

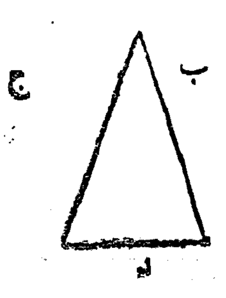
(١) المعجم العربى : دكتور حسين نصار جـ ١ ص ٢٣٠ .

وبعد ، بدع ، عدب ، دعب ، دبع وفى الرباعى (٢٤) صورة وفى الخماسى (١٢٠) صورة وقد شرح لنا ابن دريد فى آخر الجمهـرة هذه الطريقة باستفاضة فقال :

« إذا أردت أن تؤلف بناء ثنائيا أو ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيا ، فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ثم أدر دائرة فوقع ثلاثة أحرف حواليها ثم فكها من عند كل حرف يمنة ويسرة حتى تفك الأحرف الثلاثة فتخرج من الثلاثى ستة أبنية ثلاثية ، وتسعة أبنية ثنائية وهذه الصورة :



ويجعل السيوطى الرسم مثلثا :



---

(١) كتاب جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق السورى وكرنكو ج ٣ ص ٥١٣
(٢) المزهر للسيوطى ج ١ ص ٧٢ .

وإذا استخدمنا الشكل السابق (الدائرة أو المثلث) وأدرنا حروف مادة ع ب د المكتوبة حوله أمكن التوصل إلى الوجوه الستة التى أشار اليهما ابن دريد وهى : ع د ب ، ع ب د ، د ع ب ، د ب ع ، ب ع د ، ب د ع ، وليس من المحتم استخدام الوجوه الستة السابقة فى معان وضعت لها ولذلك أشار النحويون إلى المستعمل والمهمل وقد ذكر احمد أمين فى « ضحى الإسلام » هذا المنهج فقال « ثم رأى أن الكلمات الثنائية عقلا يمكن حصرها بأن يفرض أن الحرف الأول مثلا (ا) فالحرف الثانى قد يكون باء أو تاء أو ثاء ... الخ فإذا ضربنا ١ × ٢٧ أمكن أن نحصر الكلمات الثنائية المبدوءة بالألف ثم نأخذ الباء ونضربها فى ٢٦ والتاء ونضربها فى ٢٥ وهكذا » ويذكر احمد أمين انه بهذا ترك الكلمات المركبة من حرفين متماثلين مثل (ا) (أ) ، ب ، ب » (١).

وقد تتبع الخليل تقاليب كل بناء ووضعها فى الحرف الأول مخرجا من حروفها ليتيسر بذلك الحصر ولا يكرر شيئا منها ، وذكر أن كل مجموعة من هذه التقاليب فصلا ، فالفصل فى الثنائى يشتمل على مادتين وفى الثلاثى على ستة ، وهكذا بعدد التقاليب ، وهو يشير إلى المستعمل والمهمل فى الثنائى والمهمل منها ، أما فيما عدا ذلك فاكتفى بايراد المستعمل ولم ينص على المهمل لأنه شىء كثير ،

ولقد ظل المعجم مخطوطا — حتى قام بتحقيقه الدكتور عبد الله درويش وطبع الجزء الاول والثانى فى بغداد وقد بدأ الخليل الكتاب بحرف العين كما قدمنا

---

(١) ضحى الإسلام : احمد أمين ج ٢ ص ٢٦٦ .

وافتتحه بالثنائي الصحيح أو المضاعف فهو يتناول عق و علك ويعالج مادة عق ومقلوبها مثل قع ، وينتقل إلى الثلاثي ويذكر الثلاثي مجردا ومزيداً ويدخل بعض الصيغ مثل دعدع في الثلاثي ثم ينتهي من الثلاثي ويخصص بابا يسميه اللفيف ويعتني في معجمه باللغات أو اللهجات العربية مثل عنعنة تميم وكشكشة ربيعة لهجة طيء ، وقد اعتمد الخليل في كتابه على الشواهد ومنها الشعر وهو يكثر من الشعر أحيانا وقد يأتي بالبيتين أو الثلاث شاهداً على استعمال واحد وقد يأتي بالبيت من الشعر لتفسير المعنى دون أن يشرح معنى الشعر نفسه مثل قوله :

والاخضع والخضعاء الراضيان بالذل قال العجاج :

وصرت عبدا للبعوض أخضعا يمصني مص الصبي المرضعا

وقليلا مايشرح البيت شرحا كاملا قال :

« القعقعة حكاية صوت السلاح والترسة والحلي والجلود اليابسة والخطاف والبكرة قال :

يسهد من نوم العشار سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع

القعاقع جمع قعقعة وذلك أن الملدوغ يوضع في يديه شيء من الحلي حتى يحركه فيسلي عنه الهم ويقال يمنع النوم حتى لايدب فيه السم فيقتله »(١)

ولم يكن الخليل يذكر ظروف الحال التي قيل فيها الشاهد مثل قصة

---

(١) كتاب العين : الخليل بن أحمد تحقيق دكتور عبد الله درويش ص ٧٨ و٧٩ و ص ٩٠ .

الحطيئة مع لزبرقان بن بدر وتدخل سيدنا عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فى الحكم بينهما ولكن الخليل لايذكرها عندما يستشهد بهجاء الحطيئة للزبرقان ابن بدر .

ويستشهد الخليل بالطبقات التى يستشهد بشعرهم إجماعا وهى طبقة الجاهليين وطبقة الاسلاميين ، ونلاحظ أنه يستشهد ببعض المولدين مثل حفص الأموى وبشار بن برد وهو مالا يرضى عنه أكثر اللغويين .

ويستشهد الخليل بالحديث الشريف وقد ثارت ضجة حول شواهد العين فقد رماه أبو بكر الزبيدى بالاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين وأكثر من الاستشهاد بالحديث الشريف ، وكان استشهاده بالحديث الشريف مثار نزاع مازال حتى عصرنا الحاضر بين مؤيد ومنكر وسوف نفصل القول فى ذلك عند حديثنا عن شواهد الجمهرة . وهو يستشهد بالقرآن الكريم والأمثال والأقوال كثيراً وكان أميل إلى الاستشهاد بالقرآن والتعليق على الشاهد وشرحه .

هذا وسنفصل القول فى الشواهد التى يعتمد عليها المعجم عند حديثنا عن الجمهرة . ونستطيع أن نشير هنا إلى أن كتاب العين قد اختلفت الآراء فى نسبته إلى الخليل وتتلخص هذه الآراء فيما يلى :

أولا : الخليل لم يؤلف كتابه العين ولا صلة له به ويعزى هذا الرأى إلى أبى على القالى واستاذه أبى حاتم . (١) واعتمد القائلون بهذا الرأى على

---

(١) المزهر فى علوم اللغة للسيوطى جـ ١ ص ٨٤ تحقيق البجاوى وآخرين ، وقد ذكر روايات مختلفة تبين ذلك الرأى وروايات أخرى فى تأليف العين .

أن الكتاب ليس له اسناد وأنه لم يكن معروفاً لتلاميذ الخليل بعد موته .

ثانيا : الخليل لم يضع نفس كتاب العين ولكنه صاحب الفكرة فى تأليفه وأشهر القائلين بهذا الرأى أبو منصور الأزهرى صاحب الفهرست

فقد ذكر الأزهرى فى مقدمة (التهذيب) بعد استعراضه الكتب واللغويين الذين اعتمد عليهم فى كتابه وذكر الثقاة وتحدث عن غير الثقاة وكان منهم « الليث بن المظفر الذى نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه باسمه ويرغبه فيه من حوله » (١).

ولكنه يناقض نفسه تارة أخرى فى مقدمة التهذيب ويقرر أن الكتاب ليس من صنع الليث ... (٢)

الرأى الثالث :

الخليل لم ينفرد بتأليف كتاب العين ولكن كان لغيره أيضا عون فى ذلك .

وقد قال أكثر القائلين بهذا الرأى إلى أن الليث هو الذى ساعد الخليل فى إتمام الكتاب وهم يختلفون فيما بينهم فى تفسير اشتراك الليث مع الخليل (٣) ، فابن المعتز يرى أن الليث إنما وضع الكتاب وذكر

---

(١) تهذيب اللغة لأبى منصور الازهرى ص ٤١ تحقيق عبد السلام هارون .

(٢) نفس المصدر (المقدمة) ص ٢٨ .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٨ .

لنا رواية أشبه بالخيال فقد ذكر قصة حب الخليل لجارية مما أغاظ زوجته فأحرقت كتاب العين (١) ، وقد بالغت الروايه فى إظهار أدلتها فذكرت أن زوجته أحضرت رماد الكتاب فلما رأى ذلك الليث استدرك النصف من حفظه وجمع النصف الباقى من علماء زمانه ويعتقد ابن المعتز ان الكتاب نصفان نصف متقن ونصف مقصر عن ذلك .

وطائفة ترى أن الخليل وضع كتاب العين ولكن الليث أكمله وينسب هذا الرأى إلى أبى الطيب عبد الواحد بن على اللغوى الحلبى المتوفى عام ٣٥١ هـ الذى يذكر روايته فيقول : « كان الليث صاحب الخليل بن احمد رجلا صالحا وكان الخليل عمل من كتاب « العـــين » باب العين وحده فأحب الليث أن تنفق سوق الخليل فصنف باقى الكتاب وسمى نفسه الخليل » (٢) .

وطائفة ثالثة ترى ان الخليل رتب أصول الكتاب ثم وضع النص من بعده وينسب هذا الرأى إلى ابى بكر الزبيدى من المتقدمين وتبعه من المعاصرين يوسف محمد (٣) والمستشرق الالمانى اهلوارات (٤).

وقد بقى لنا الرأى الذى ينسب العين للخليل صراحة بالمعنى الكامل لكلمة

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٨ .

(٢) مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوى ص ٢١ ، تحقيق محمد ابو الفضل .

(٣) مجلة المجمع العلمى بدمشق ١٩٤١ م مقال بقلم يوسف محمد .

(٤) كتالوج المخطوطات العربية فى برلين ١٨٩٤ م ص ٢٣٧ .

مؤلف ، وقد اعتمد هذا الرأى على الرواية فقط فقد ذكر ١١ ابن الديم روايتين عن كتاب العين أحدهما عن ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ تفيد نسبة الكتاب اليه (١) .

وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين أن ابن دريد كان من المتشككين فى نسبة الكتاب للخليل ، ولكن ذلك لا صحة له فقد صرح ابن دريد بهذه النسبة إلى الخليل فى مقدمة الجمهرة فقال : « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفرهودى رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته » (٢).

وكان من المؤيدين لنسبة الكتاب إلى الخليل ، ابن دريد وابن فارس صاحب المقاييس والجمل ومن المحدثين براولمتش قال وقد أعجب بنظريات الخليل « إن نظام العين ليس غريبا أن يكون من عمل الخليل بل الغريب ألا يكون منسوبا اليه » (٣)

وقد عاب اللغويون على كتاب العين عدة عيوب منها التصحيف وأخذ عليه أبو بكر الزبيدى فى استدراكه وأحمد بن فارس انفراده بكثير من الألفاظ مثل قوله التاسوعاء — اليوم التاسع من المحرم . وأخذ عليه أخطاءا صرفية اشتقاقية وبعضهم يذكر أن الخطأ كان من الليث أو من الوراقين وأن اختلاف نسخ الكتاب واضطراب رواياته راجع إلى

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٧٠ وقد ذكر روايات عن كتاب العين .
(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (المقدمة ص ٣) جـ أول .
(٣) مجلة إسلاميات الألمانية مقال ا . ا . تلمتش SLAMICA

على حكايات من المتأخرين مثل كراع والزجاج واستشهاده بالمرذول من أشعار المحدثين وإهماله أبنية مستعملة ولذا فقد كتبت كتب لتحليل نقصه ومن ذلك :

١ – فائت العين للخليل ابن أحمد ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ويشك بعض الباحثين فى نسبته اليه .

٢ – الاستدراك على العين للسدوسى المتوفى عام ٢٠٢ ﻫ والجهضمى المتوفى عام ١٨٧ ﻫ .

٣ – الجامع فى اللغة للكرمانى .

٤ – فائت العين للمقريزى .

٥ – التكملة للخازرنجى .

وألفت كتب لنقد العين وإبراز نقصه منها :

(١) الرد على الخليل وإصلاح ما فات كتاب العين من الغلط والمحال للمفضل بن سلمة الكوفى المتوفى عام ٣٠٠ ﻫ .

(٢) استدراك الغلط الواقع فى العين لأبى بكر الزبيدى .

(٣) غلط العين للخطيب الاسكافى .

وقد دافع عن كتاب العين علماء منهم :

(١) ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ ﻫ فى كتاب التوسط المفقود .

(٢) الرد على المفضل لنفطويه المتوفى عام ٣٢٣ ﻫ .

(٣) الانتصار للخليل : للزبيدى .

هذا هو كتاب العين حاولت أن أبين منهجه لنرى مدى تأثير ذلك المنهج فى جمهرة اللغة والطريقة التى اتبعها ابن دريد لنرى هل كان كتاب الجمهرة شبيها به أم كان تكملة لنقص فات فى العين أم كان منهجا جديداً ابتدعه ابن دريد وسار عليه آخرون . وهذا ما نعرفه في حديثنا المقبل عن الجمهرة .

كتاب جمهرة اللغة

مقدمة :

يعتبر كتاب جمهرة اللغة — أو جمهرة الكلام — أول معجم متكامل فى اللغة العربية ، قد رتب على الطريقة الأبجدية لا على مخارج الحروف كما فعل الخليل بن أحمد فى معجم « العين » . وقد ألف ابن دريد الكتاب لأبى العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال وكان ابن دريد مؤدبه وقصد بهذا الكتاب أن يختار الشائع المقبول من كلام العرب وان يترك الحوشى والنادر والمستهجن كما فعل الخليل فى العين ، ورغم ما يراه ابن دريد فى كتاب العين من صعوبة ومشقة فانه يعترف بفضله و يعتمد عليه اعتماداً كبيراً ، ويعتمد أيضاً على بعض الرسائل اللغوية المبكرة التى كانت تمهيداً لظهور فن المعاجم العربية مثل كتب الأصمعى فى الصفات وكتب أبى عبيدة وأبى زيد وغيرهم من العلماء الذين شاركوا فى المرحلة الأولى لجمع اللغة .

ويعتبر الكتاب مصدراً أساسياً لكثير من المعاجم التى لحقت بابن دريد مثل البارع لأبى على القالى والمخصص لابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ هـ ، وغير ذلك من المعاجم التى سنذكرها فيما بعد ، ونال الكتاب منزلة عظيمة بين اللغويين بعد وفاة ابن دريد واعتمدت أكثر المصادر على أقواله فى الجمهرة ، ورغم ذلك فقد هوجم المعجم — هاجمه أبو منصور الأزهرى فى التهذيب (١) ، وهاجمه أبو الفتح

(١) تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى تحقيق عبد السلام هارون ج ١ المقدمة ص ٣١ .

ابن جنى فى كتاب الخصائص (١) ولكن هجومه كان أخف فهو يعيب عليه أخطاء صرفية كثيرة ورماه نفطويه بانتحال الجمهره وسرقتها من العين فى الأبيات المشهورة التى ذكرناها قبل ، وهاجمه بعض اللغويين (٢) المحدثين كما هاجموا كل المعاجم العربية القديمة واتهموها بالقصور والوقوف عند زمن معين . ورغم هجوم بعض اللغويين القدامى والمحدثين على جمهرة ابن دريد فان الكتاب كان مصدراً أساسياً لكثير من المعاجم التى أتت بعده وأصبح كلام ابن دريد مقدماً عند كثير من اللغويين . يقول السيوطى فى كتاب المزهر(٣) . إنه كان لأبى على القالى نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى فاشتدت به الحاجة فباعها بأربعين مثقالا وكتب عليها هذه الأبيات :

أنست بها عشرين عاماً وبعتها	وقد خال وجدى بها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها	ولو خلدتنى فى السجون ديونى
ولكن لعجز وافتقار وصبية	صغار عليهم تستهل شئونى
فقلت ـ ولم أملك سوابق عبرتى	مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات ـ يا أم مالك	كرائم من رب بهن ضنين

فأرسلها الذى إشتراها وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى — رحمهم الله .

---

(١) الخصائص لابن جنى حـ ٣ ص ٤١ .

(٢) مقدمة المعجم الوسيط بقلم دكتور ابراهيم مدكور الجزء الأول وأيضاً كتاب فقه اللغة دكتور عبد الواحد وافى وأيضاً دلالة الألفاظ دكتور ابراهيم انيس ص ٥١ .

(٣) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل وآخرين حـ ١ ص ٩٥ .

وقد اهتم المستشرقون بجمهرة اللغة إهتمامهم بمؤلفاته الأخرى التى كانت لم تر النور ، وحاول المستشرق فريتس كرنكو تصحيح الجمهرة وهى أصح طبعة لها من مجلس دائرة المعارف — حيدر أباد — الدكن عام ١٣٤٤ ه‍ .

وطبعت الجمهرة مرة أخرى فى بغداد بالأوفست .

أما مخطوطات الجمهرة (١) فهى عديدة منها نسخة فى ليدن ونسخة أخرى فى باريس ونسختان فى دار الكتب السلطانية بالقاهرة ونسختان فى جامع القرويين بمدينة فاس ونسخة فى أيا صوفيا بتركيا وفى إستانبول ثمانى نسخ وفى بغداد فى بعض المكتبات الخاصة نسختان وبعض هذه النسخ مكتوب من ألف عام وبعضها مكتوب منذ حوالى مائة وخمسين عاما ، وتختلف هذه النسخ المخطوطة فى كثير من نصوصها ، وربما كان السبب الرئيسى لاختلاف نسخ الجمهرة أنه أملاها حفظاً عدة مرات ، وقد ذكر ذلك السيوطى فى بغية الوعاة وفى المزهر قال فى البغية (٢) « وقال غيره أملى ابن دريد الجمهرة فى فارس ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه فلذلك تختلف النسخ والنسخة المعول عليها هى الأخيرة ؛ وآخر ما صح نسخة عبيد الله بن أحمد فهى حجة لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه وقال فى المزهر (٣) « وقال بعضهم أملى ابن دريد الجمهرة فى فارس ، ثم ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه ولم يستعن عليها بالنظر فى شىء من الكتب إلا فى الهمزة واللفيف » .

---

(١) مقدمة جمهرة اللغة : وصف كرنكو لمخطوطات الجمهرة وقد اطلعت على فهارس دار الكتب (المخطوطات) لرؤية هذه المخطوطة .

(٢) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ص ٣١ .

(٣) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها جلال الدين السيوطى ج ١ ص ٩٦ .

وقال ابن النديم فى الفهرست (١) « وله من الكتب كتاب الجمهرة فى علم اللغة مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان لأنه أملاه ببغداد من حفظه فلما اختلف الإملاء زاد ونقص » .

وقد قام السيد محمد السورتى بمشاركة المستشرق كرنكو بجهد رائع فى تصحيح الجمهرة وجعله فى أربعة أجزاء منها جزء للفهارس يفتح الباب أمام الباحث ويمهد له الطريق . وقد ذكر كثير من الباحثين (٢) المحدثين معجم الجمهرة على رأس مدرسة التقليبات الهجائية مثل كتاب المقاييس لابن فارس وكتاب المجمل لابن فارس أيضاً ووضع الدكتور حسن ظاظا (٣) كتاب الجمهرة مع مدرسة المعاجم اللغوية الأبجدية أو معاجم الغريب .

وبجمل القول فان كتاب جمهرة اللغة يعتبر فاتحة المعاجم العربية التى تسير على الطريقة الابجدية وقد سبق بذلك غيره من اللغويين العرب .

سبب تأليف الكتاب واختيار عنوانه بالجمهرة :

يذكر ابن دريد فى مقدمة الكتاب سبب تأليفه — فقد وجد أهل عصره يزهدون فى الأدب وإذا تملكوه فانهم مضيعوه ، فإذا كان عالما قد أخذ حظا من العلم ضيعه وإذا كان باحثا مبتدئا فإنه يشغل عن العلم بايثار الشهوات وهو لذلك كان يروغ روغان الثعلب بعلمه بين الجهال والعقلاء ، حتى تناهت به الحال إلى

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٨ المطبعة التجارية .

(٢) المعجم العربى نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ج ١ ، وأيضاً المعاجم اللغوية دكتور ابراهيم نجا ص ٧٥ .

(٣) كلام العرب من قضايا اللغة العربية دكتور حسن ظاظا ص ١٢٨ ؛

أبى العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال وشرع فى مدح أبى العباس فجعله حكيما عالما يحب العلم ولا تخدعه مظاهر الشباب والفتوة فأخرج ما فى جعبته من العلم أمام ابن ميكال بكتاب سماه جمهرة اللغة .

ونلاحظ هنا ان ابن دريد يهاجم رجال عصره ويصف بعضهم بالجهل تارة وأخرى بالنسيان ولعل هذا سببه أن ابن دريد لم يلق من المكانة فى البصرة مالقيها فى فارس عند أبى ميكال وأصابته حالة نفسية نلاحظها فى مقصورته وفى كثير من شعره وخاصة وقد هاجمه كثيرون فى عصره وبعد مماته . ثم هو وفى يحب الوفاء فيذكر أنه لا يطعن فى السلف ولا يزرى بالعلماء ويخص بالذكر منهم الخليل بن أحمد ، فهو يتأسى بهم ويقتدى يقول « فأتعب من تصدى لغايته وعنى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف والمعاند متكلف وكل من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد ولكنه رحمه الله ألف كتابا مشكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره » (١) .

وبتحليل رأيه فى الخليل نراه يعترف بنسبة الكتاب إلى الخليل وقد مر بنا أن كثيراً من اللغويين أنكر نسبة الكتاب اليه ، ولكنه يرى فى كتاب العين صعوبة وإشكالا ولذلك فهو يضع فى كتاب الجمهرة تيسيراً للباحثين فهو يؤلفه على الترتيب الأبجدى لا على الترتيب الصوتى الذى سار عليه الخليل ، ولكن تصنيف الأبنية هو تصنيف الخليل وقد يزيد قليلا ،

ومنهجه فى الكتاب يشابه منهج الخليل وإن كان يخالفه فى أشياء سنوردها

---

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد بتحقيق محمد نجيب السورتى ـ حيدر أباد ١٣٥١ هـ الجزء الاول ـ المقدمة ص ٢ .

عند حديثنا عن منهجه ، وتحليل المواد ويذكر أنه ألف كتابة والنقص فى الناس فاش ويذكر أيضاً سبب تسميته بالجمهرة فقال « وإنما أعراه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشى المستنكر »(١) . فهو يعنى أنه اختار له اسم الجمهرة لأنه ذكر فى كتابه الشائع فى الاستعمال أما الغريب فلم يذكره جملة وفصله عن الكتاب وجعله فى آخر ما كتبه ، وقد حذف جملة منه حين قال فى المقدمة عن النوادر « وما أشبه ذلك على أنا ألغينا المستنكر واستعملنا المعروف »(٢) ، أما كلمة « جمهور » فقد ذكرها فى الجمهرة قال « وجمهور الشىء معظمه جمهر الشىء إذا أخذ جمهوره وهو معظمه »(٣) ، وذكرت المعاجم أن الجمهور « هو الرملة المشرقة على ما حولها سميت بذلك لكثرتها وعلوها » وفى حديث (جمهروا قبره) أى جمعوا له التراب ومن ذلك قيل للخلق العظيم جمهور لكثرتهم والجمع جماهير »(٤) .

ونفهم من كلامه أنه اختار الشائع من كلام العرب وأهمل الغريب وقد سمح لنفسه أن يكون قاضيا فى مواد اللغة يقضى فى بعضها بأنه حوشى مستنكر فيصرفه عن كتابه ، وآخر شائع فيثبته فى كتابه . وقد حدا ذلك إلى أن كثيرا من اللغويين أنكروا عليه مخالفته لما ذكر فقد اضطر إلى ذكر كثير من الغريب والنوادر بين ثنايا الكتاب ، ونحن مع هؤلاء الذين أنكروا عليه ذلك فلقد كان ابن دريد أكثر علماء اللغة فى عصره يهتم بالغريب ورأيناه فى كثير من

---

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد — الجزء الاول — المقدمة ص ٢ .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد الجزء الاول المقدمة ص ٢ .

(٣) الجمهرة الجزء الثالث ص ٢٢٤ .

(٤) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ج ١ ص ١٤٧ .

من شعره يذكر غريب اللغة وفى أحاديثه المتناثرة فى كتاب الأمالى لأبى على القالى كثير من الغريب والمستنكر .

منهج ابن دريد فى الجمهرة :

مهد الخليل ابن أحمد الطريق لكل من أتوا بعده بعد ان رسم على أسس علمية دقيقة أول منهج لمعجم عربى وقد ترك الخليل هذا المنهج للغويين فمنهم من اتبعه ومنهم من حاد عنه ومنهم من اتبعه ولكنه حاول أن يغير أو ييسر للباحثين فأضاف جديداً ، وكان من هؤلاء محمد ابن دريد ، وقد رأيناه فى مقدمة الجمهرة يعترف بفضل من سبقوه من العلماء الذين مهدوا له الطريق ولا يطعن على أحد منهم ويخص بالذكر الخليل بن أحمد الذى سلك طريقاً صعباً ولكنه مقر بالتبعية له وفضل السبق عليه . ولم أجر فى إنشاء هذا الكتاب إلى الازراء بعلمائنا ولا الطعن فى أسلافنا وأنى يكون ذلك وإنما على مثالهم نحتذى وبسبلهم نقتدى وعلى ما أصلوا نبتنى وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته وعنى من سما إلى نهايته فالمنصف له بالقلب معترف والمعاند متكلف وكل من بعده تبع أقر بذلك أم جحد ولكنه رحمه الله ألف كتابا مشكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره (١) » . وكان رأى ابن دريد ان صعوبة (العين) كانت فى سيرة على الطريقة الهجائية الصوتية التى استنبطها الخليل بحسه الموسيقى المرهف ، وهذه الطريقة تعوز الباحث أن يتعلم أولا مخارج الحروف ومدارجها ، فاختار ابن دريد ترتيب كتابه على الطريقة الابجدية العادية وبذلك كان ابن دريد أول من سار على الطريقة الابجدية العادية التى انتشرت بعد ذلك وما زالت إلى الآن ، وقد ذكر

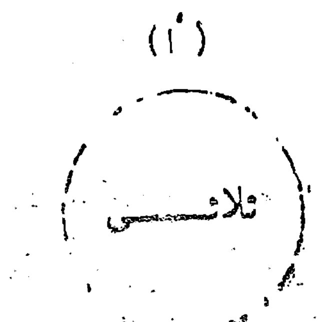
---

(١) الجمهرة لابن دريد : المقدمة جزء أول ص ٣ .

ابن دريد سبب اختياره للابجدية العادية فقال « وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة إذا كانت بالقلوب وفى الأسماع أنفذ وكان علم العامة بها كعلم الخاصة وطالبها من هذه الجهة بعيداً عن الحيرة مشفياً على المراد » (١) .

أما الاساس الثانى الذى سار عليه ابن دريد وهو اتباعه نظام التقليبات الابجدية وهو لجمع الكلمات المكونة من حروف واحدة . مهما إختلف ترتيبها فى موضوع واحد . وهو يسير فيه على نظام الخليل بن احمد ويخالفه فى إتباعه الترتيب الهجائى ، وقد شرح ابن دريد طريقة التقليبات وبناء الابنية فى ختام كتاب الجمهرة فقال : « قال أبو بكر إذا اردت أن تؤلف بناء ثنائياً أو ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيا فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ثم أدر دائرة فوق ثلاثة أخرى حواليها ثم فكها عند كل حرف يمنه ويسرة حتى تفك الأحرف الثلاثة فتخرج من الثلاثى ستة أبنية ثلاثية وتسعة أبنية ثنائية وهذه الصورة :

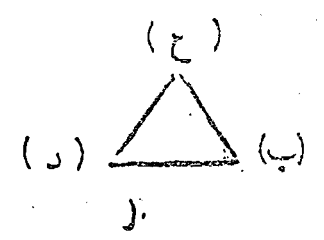
(أ)



فإذا نقلت ذلك استقصيت من كلام العرب ما تكلموا به وما رفضوا

(١) الجمهرة لابن دريد ... المقدمة ج ١ ص ٣ .

عنه (١) . وإذا استخدمنا الشكل السابق شكل الدائرة أو المثلث :



وأدرنا حروف مادة ع ب د المكتوبة حوله أمكن التوصل إلى الوجوه الستة التي أشار اليها إبن دريد وهى « ع د ب ، ع ب د ، د ع ب ، د ب ع ، ب ع د ، ب د ع .

والأساس الثالث فى ترتيبه المعجم حسب الأبنية وهو يسير فيه على طريقة الخليل أيضاً مع بعض زيادات .

والأبنية عند ابن دريد ثلاثية ورباعية وخماسية كالخليل وملحقات كل صنف منها والثلاثى عنده هو الثنائى المضعف والثلاثى معاً .

والكتاب مقسم بذلك إلى الثنائى المضعف وما يلحق به فالثلاثى وما يلحق به ، فالرباعى وما يلحق به ، فالخماسى وما يلحق به ، فإذا وجد الباحث مشقة فى الابنية السابقة فلينظر فى باب عقده ابن دريد وسماه اللفيف وهو يخالف الصرفيين فى تسمية اللفيف فهو عند الصرفيين ما أجتمع فيه حرفا علة ، ويسمى مفروقا إذ كان واوى العين يائى اللام نحو طوى ، ولكن تعريف ابن دريد للفيف يقول « وهو ما التف بعضه على بعض » (٢) .

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد — الجزء الثالث ص ٥١٣ .

(٢) الجمهرة لابن دريد ﺟ ٣ ص ٤٠٦ .

وقد عاب كثير من الباحثين اللغويين (١) المحدثين على ابن دريد هذا الاصطلاح واعتبروه غامضا غير واضح ، وذكروا أن مواد هذا الباب يمكن ادراجه فى الأبواب الأساسية فمواد اللفيف فقيرة لا تبرر إضافة هذا الباب ليزيد إرتباك القارىء ، ويذكر ابن دريد منهجه هذا فى مقدمة الكتاب فيقول :

« فمن نظر فى كتابنا فآثر التماس حرف ثنائى فليبدأ بالهمزة والباء ان كان الثانى باء ثقيلة أو الهمزة والتاء وكذلك إلى آخر الحروف ، وأما الثلاثى فإنا بدأنا بالسالم منه فمن أحب أن يعرف حرفا من أبنيته مما جاء على فعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل فليتتبع ذلك ن جمهور أبواب الثلاثى السالم ومن أراد بناء يلحق بالثلاثى بحرف من حروف الزوائد فانا قد أفردنا له بابا فى آخر الثلاثى تقف عليه مع المعتل ان شاء الله تعالى » (٢) ، ويستمر فى ذكر منهجه فى الرباعى والخماسى ثم يقول : « فان عسر مطلب حرف من هذا فليطلبه فى اللفيف فإنه يوجد إن شاء الله تعالى وجمعنا النوادر فى باب فسميناه (النوادر) لقلة ما جاء على وزن الفاظها نحو (قهوباه) و (طوبالة) و(قرعبلانة) » . أما باب النوادر الذى ذكره ابن دريد وجعله فى آخر الكتاب وهو يبوبها فى أبواب فرعية تدور كل منها حول موضوع خاص وهى تشبه ما جمعه أبو حاتم السجستانى والاصمعى وأبو زيد فى نوادرهم ورسائلهم وكانت هذه الرسائل مقدمة لظهور فن المعاجم فهو يذكر ماجاء من النوادر فى القوس وصفاتها عند أبى عبيدة وصفات القسى وباب فى صفة النحل وغير ذلك ويذكر فى باب ما تكلمت

(١) المعاجم العربية : دراسة تحليلية : دكتور عبد السميع محمد ص ١٩ .

(٢) المعجم العربى نشأته وتطوره دكتور حسين نصار حـ ٢ ص ٤٠٥ .

به العرب من كلام العجم (١) فينقل بعضا مما أخذ من الفارسية مثل الديابوذ والفصافص، ومن الرومية قومس والجنجل ومن النبطية المرعزى ومن السريانية التلمود وشرحبيل إلى غير ذلك . وهو يفيد الباحثين كثيراً بما ذكره فى باب النوادر، غير أن كثيراً من الباحثين المحدثين (٢) يعتبرون هذا الباب خارجا عن نظام المعجم ولا نطلق عليه صفة المعجم فيسود هذا الباب الاضطراب ويذكر بعضهم (٣) أنه كان ينبغى على ابن دريد أن يضمه فى كتـــاب مستقل ولكنهم يعتبرون ما ذكره فى النوادر مرجعا هاما يفاد منه حين وضع المعجم التاريخى .

ونستطيع أن نجمل أبواب الجمهرة فى ست عشر بابا هى :

(١) الثنائى الصحيح : ويذكر أن الثنائى الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثانى ثقيل حتى يصير ثلاثة أحرف اللفظ ثنائى والمعنى ثلاثى - مثل : أب ب ، أت — ت ، أث — ث ، أج — ج .

(٢) أبواب الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر وهو ماضعف فيه الحرفان مثل : ب — ت — ب ت ، ب خ — ب — خ :

(٣) باب الثنائى المعتل وما تشعب منه وذلك ببناء الحرف الصحيح على أحد حروف العلة مثل ب أو ى و ت أو ي ، ث أو ي، ج أو ى :

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد الجزء الثالث ص ٤٩٩ .

(٢) المعجم العربى نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ح ٢ ص ٤٠٥ وأيضا المعاجم العربية للدكتور عبد السميع محمد ص ٢٠ .

(٣) المعاجم العربية دكتور عبد السميع محمد ص ٢١ .

(٤) الثلاثى الصحيح وما تشعب منه مثل : ب ـ ت ـ ث ، ب ت ج ، ب ت ح .

(٥) الثلاثى يجتمع فيه حرفان مثلان فى أى موضع من الأسماء والمصادر وما تشعب منه وهو ملحق بما مضى من الثلاثى الصحيح مثل . ب ت ت ـ ب ت ث ـ ب ج ج ، ب ح ح ـ ب خ خ ، ب د د ، ب ذ ذ .

(٦) باب ما لحق بالثلاثى الصحيح بحرف من حروف اللين مثل :
(ب ت ـ و ا ى) ، ب ث . و ـ ا ى .

(٧) الثلاثى المعتل

(٨) باب النوادر فى الهمز وهو ما الحق بأبواب الثلاثى مثل أنت و رزا ـ .

(٩) باب اللفيف فى الهمز مثل وزأ وبأبأ والشنأ .

(١٠) ابواب الرباعى الصحيح مثل جعشب وجرثب .

(١١) الرباعى وفيه حرفان مثلان .

(١٢) الرباعى ما جاء على فعل وفعل وفعل ومنه علب ، خرب .

(١٣) باب ما يلحق بالرباعى مثل سطر ـ وضبطر وسنجل .

(١٤) الخماسى ولم يصرح ابن دريد بهذه التسمية إلا فى آخر الباب إذ قال « هذا آخر ابنية الخماسى » (١) .

(١٥) السداسى ولم يذكر ابن دريد هذه التسمية وإنما ذكرها بقوله « هذه أبواب ألحقت بالخماسى » .

---

(١) جمهرة اللغة ابن دريد حـ ٣ ص ٣٩٩ .

(١٦) اللفيف ويسميه لفيفا لقمر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض (١) .

مقدمة الجمهرة :

يبدأ ابن دريد كتابه بمقدمة تأثر فيها بالخليل تأثراً كبيراً وخاصة فى المسائل الصوتية ، ولقد حفظ فى هذه المقدمة آراء هامة لها أهميتها فى الدراسات الحديثة وذكر ابن دريد فى المقدمة أنه لابد للباحث قبل أن ينظر فى كتابه ان يعرف الحروف المعجمية وذكر أن الحروف تسعة وعشرون حرفا مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفا — وهو يسير بذلك على طريقة اللغويين الذين رأوا ان أصول حروف المعجم تسعة وعشرون حرفا .

إلا أن ابا العباس (المبرد) فانه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفا ويجعل أولها الباء ويدع الألف من أولها (٢) .

ويبين ابن دريد اختصاص العربية بحروف من هذه الحروف التسعة والعشرين فذكر أن العرب يختصون بالحاء والظاء .

قال ابن جنى فى سر صناعة الاعراب « اعلم إن الظاء لاتوجد فى كلام النبط وإذا وقعت فيه قلبوها طاء ولهذا قالوا البرطلة ، وانما هو ابن الظل » (٣) ، ويشترك العرب مع العجم فى قليل من الحروف ويذكر « ان هناك حروفا تزيد على هذا العدد وقد استعملها العرب ضرورة فإذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد حـ ٣ ص ٤٠٦ .

(٢) سر صناعة الاعراب لابن جنى تحقيق مصطفى السقا وآخرين حـ ١ ص ٤٦ .

(٣) نفس المصدر السابق حـ ١ ص ٢٣٢ .

بها إلى أقرب الحروف من مخارجها الها الحرف بين (الباء الفاء) مثل بور ويدخل مباشرة فى لهجات العرب استعملوها مثل الحرف بين القاف والكاف والجيم والكاف وقال « وهى لغة سائرة فى اليمن مثل جمل يقال اذا إضطروا إليه قالوا كمل » (١) .

ومثل الحرف الذى بين الباء والجيم وذكر البيت المشهور الراجز

وخالى عريف وأبو علج   المطعمان اللحم بالعشج

وبالغداة فلق البرمج

وتسمى هذه الهجة العجعجة القضاعية وذكر هذا البيت كثيراً فى المصادر ويذكر أيضا ياء النسبة يجعلونها جيما فيقولون غلامج فاذا إضطرو قالوا غلاش . وتسمى هذه اللهجة الكشكشة وهى لبنى سعد أو فى ربيعة ، ثم ينتقل ابن دريد إلى ذكر صفة الحروف وأجناسها . ويذكر أن الحروف سبعة أجناس ينقسمان إلى قسمين .

المصمتة والمزلقة ، والمزلقة ستة أحرف والمصمتة اثنان وعشرون حرفا ، منها ثلاثة حروف معتلة وتسعة عشر صحيحة ، ثم يذكر المصمتة حروف الحلق وهى الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين ، ثم يذكر مخارج الهمزة والعين والخاء ويستشهد ببعض الشعر .

وينتقل إلى ذكر حروف أقصى الفم من أسفل اللسان وهى من المصمتة أيضا فذكر القاف والكاف ثم الجيم ثم الشين ثم حروف وسط اللسان مما هو منخفض وهى السين والزاى والصاد وذكر حروف أدنى الفم وهى عنده التاء والطاء والدال

---

(١) الجمهرة — المقدمة ج ١ ص ٣ .

وأدنى منها أيضا (الظاء والتاء والذال والضاد) . ثم ينتقل إلى ذكر الحروف المؤلفة وهي ستة ويقسمها إلى جنسين (جنس الشفة — وهي الفاء والميم والباء والجنس الثاني وهو بين اسلة اللسان إلى مقدمة الفك الأعلى (الراء والنون واللام).
وبعد أن يقدم طرفا من صفة الحروف وأجناسها انتقل إلى ذكر مخارج الحروف وأجناسها .

ويبدأ حديثه بذكر أقوال النحويين فى مخارج الحروف وأجناسها فذكر أن الحروف لها ستة عشر مجرى للحلق ثلاثة : فأقصاها الهاء وأختها الهمزة والألف ثم العين والحاء ، والثالث الغين والخاء ، وينتقل إلى الفم فيذكر أدناه إلى الحلق القاف ثم الكاف ثم الجيم والشين من الحاء ثم الياء من وسط اللسان ثم السين والصاد والزاى ثم النون تحت حلقة اللسان واللام قريبة من ذلك والراء ادخل بطرف (التاء والدال والطاء) من طرف اللسان وأصول الثنايا ثم الفاء — من باطن الشفة — السفلى وأطراف الثنايا العليا ثم (الواو والباء والميم) من بين الشفتين ثم (النون الخفيفة) وهى من الخياشيم ثم (الظاء والذال والثاء) بطرف اللسان وأطراف اللسان ثم (الضاد) من وسط اللسان .

ثم يذكر صفات هذه الحروف وهى الهمس والجهر والشدة والرخاوة والمد واللين والاطباق .

فالحروف المهموسة — الهاء والحاء والخاء والكاف والسين والشين والكاف والصاد والتاء والفاء — ويذكر سبب تسميتها بالمهموسة فيقول : « فانما سميت مهموسة لانها انسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية » (١) .

---

(١) الجمهرة لابن دريد حـ ١ (المقدمة) ص ٢ .

ثم يذكر الحروف المجهورة فالرخوة ويذكر أنها سميت مجهورة لأن مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتا أما الرخوة فسميت رخوة لأنها تسترخى فى المجارى أما حروف اللين فهى (الواو والياء والألف) .

والحروف المطبقة وهى الصاد والضاد والطاء والظاء والحروف الشديدة الطاء والسين والجيم .

وباستعراض ما ذكره ابن دريد نراه يقحمنا فى موضوع هام هو علم الأصوات اللغوية فقد درس العرب علم الأصوات اللغوية وبنوه على دراسة القراءات القرآنية ويذكر الدكتور عبده الراجحى ان دليل ذلك « ما نجده من عمل أبى الأسود الدؤلى فى ضبط القرآن بالنقط من خلال ملاحظة حركة الشفتين » (١) ، وكان الخليل بن أحمد أول من صنف الأصوات بحسب موضع النطق أو حسب الاحياز والمخارج . ثم واصل سيبويه طريق الدراسة الصوتية فقدم دراسة للاصوات أكثر دقة ، ويعتبر الدكتور عبده الراجحى (٢) ان دراسة الخليل وسيبويه دراسة علمية واقعية يظهر فيها المنهج العلمى الصحيح . ويرى الدكتور محمود السعران أن « التصنيف المنسوب إلى الخليل لا يبلغ من الدقة والشمول ما يتسم به تصنيف سيبويه لأصوات العربية حسب المخارج ولم يقتصر سيبويه على هذا بل صنف الأصوات على أسس أخرى » (٣) .

أما ابن دريد فى وصفه للحروف وأجناسها فهو مقلد لنظام الخليل وتلميذه

(١ و ٢) فقه اللغة فى الكتب العربية : دكتور عبده الراجحى ص ١٣٠ .
(٣) علم اللغة — مقدمة للقارىء العربى : دكتور محمد السعران ص ٩٩ .

سيبويه وإن كان يتميز بتعريفات مثل : المهموس وهو ما اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية (١) .

ثم نرى عملا رائعا عند ابن جنى فى كتابه سر صناعة الاعراب فهو يدرس الأصوات على أساس أنها علم فقال عنه « علم الأصوات والحروف » ونرى عند ابن جنى تفصيلات جميلة فقد فرق بين الصوت والحرف (٢) وذكر أيضا تفصيلات دقيقة لأسماء الحروف وأجناسها ومخارجها وفروعها المستحسنة وفروعها المستقبحة .

وإذا حللنا ماقاله ابن دريد عن الأصوات — واردنا أن نقارن بين ما قاله وآراء المحدثين فى هذا الشأن — فاننا نجد تقاربا فى بعض الآراء ، واختلافا وتوسعا فى بعضها الآخر فابن دريد عقد للاصوات عنده بعنوانين « الأول باب صفة الحروف وأجناسها ، وقد ذكر أن الحروف سبعة أجناس يجمعهن « المصمتة والمزلقة » فالمزلقة ستة أحرف والمصمتة اثنان وعشرون حرفا ثلاثة منها معتلا وتسعة عشر حرفا صحاح (٣) ، والمصمتة الصحاح حروف الحلق (الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين) ونجده هنا يبين مخارج هذه الحروف رغم أنه عقد بابا آخر فى مخارج الحروف وأجناسها . فالعين والحاء والغين مأخذهن من أقصى الحلق إلى أدناه والهمزة من مخرج أقصى الأصوات

---

(١) الجمهرة لابن دريد — المقدمة ص ٢ .

(٢) سر صناعة الاعراب لابن جنى تحقيق مصطفى السقا وآخرين ص ١٠ .

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٩ .

والهاء تليها وهى من موضع النفس والحاء أرفع منها ، ويذكر جنس حروف أقصى الفم أسفل اللسان وهى عنده القاف والكاف ثم الجيم ثم الشين ، وجنس حروف وسط اللسان مما هو منخفض (السين والزاى والصاد) ، وجنس حروف ادنى الفم التاء والطاء والدال ، وأدنى منها (١) أيضاً مما هو شاخص إلى الغار الأعلى (الظاء والثاء والذال والضاد) ثم يعنون عنوانا للحروف المؤلفة وهى ستة عنده لها جنسان جنس الشفة ، الفاء والميم والباء ، والجنس الثانى من المؤلفة بين أسلة اللسان إلى مقدمة الغـــار الأعـلى وهى الراء والنون والسلام .

أما باب مخارج الحروف وأجناسها ، فيذكر ابن دريد رأيا ليس له وإنما يقول « ذكر قوم من النحويين إن هذه التسعة والعشرين حرفا لها ستة عشر مجرى للحلق منها ثلاثة لحروف (٢) الهاء والعين والحاء والغين والخاء ويذكر مجرى الفم أدناه إلى الحلق القاف ثم الكاف اسفل منها قليلا ثم الجيم والشين من اللهاء والياء من وسط اللسان ثم السين والصـاد والزاى تحت اللسان الأيمن ثم النون تحت حافة اللسان من الشق الايمن واللام قريبة من ذلك والراء أدخل بطرف ، ثم التاء والدال والطاء من طرف اللسان وأصول الثنايا . ، ويذكر أن هذه الحروف يجمعها الهمس والجهر والشدة والرخاوة والمد واللين والاطباق ويسمى المهموسة لأنه اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية والمجهورة لأن مخرجها لم يتسع فلم تسمع له صوتا والرخوة سميت

---

(١) نفس المصدر السابق حـ ١ ص ٧ .

(٢) الجمهرة لابن دريد حـ ١ المقدمة ص ٨ .

رخوة لأنها تسترخى فى المجارى ، أما حروف المد واللين وهى الواو والياء والألف وانما سميت لينة — لأن الصوت يمتد فيها فيقع عليها الترنم فى القوافى وغير ذلك .

والحرف المطبقة (الصاد والضاد والطاء والظاء) لأنها إذا لفظت بها اطبقت عليها حتى تمنع النفس ان يجرى منها (١) .

وكل الذى قدمه لنا ابن دريد حسب موضع النطق أو حسب الاحياز والمخارج يشبه ما قدمه لنا الخليل بن احمد وهو ما يسمى بالاصوات الصامتة Consonatnts والحركات (الأصوات الصامتة) Vowels .

والأصوات عند المحدثين تنقسم إلى قسمين :

١ — علم الأصوات اللغوية : Phonetics

وتبين فيه عادة طريقة نطق الأصوات ومخارجها من جهاز النطق الانسانى دون التقيد بلغة الذت .

٢ — علم وظائف الاصوات اللغوية Phonolgy

وتدرس فيه طريقة تأدية الأصوات لوظيفتها فى اللغة (٢) .

ويفرق الباحثون المحدثون بين المصطلحين الأوربيين Phonetics Phonolgy فيقول د . آبر كرومبى « إن دراسة الصوت اللغوى من جميع نواحيه

---

(١) الجمهرة لابن دريد ج ١ المقدمة ص ٩ .

(٢) المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث دكتور محمد أبو الفرج ص ٦٠ .

والتحركات الجسمية التى تنتج الصوت هى مجال الصوتيات (Phonitica) (١) .

وترى ج . فندريس يرى أن علم الصوتيات يجب أن يشتمل على ثلاثة أجزاء الجزء الخاص بانتاج الصوت والجزء الخاص بانتقاله والجزء الخاص باستقباله (٢) .

ويجمل القول فى هذه التفرقة ماذكره دكتور كمال بشر فى تعليقه على كتاب الدكتور السعران (علم اللغة) فيما يخص علم الأصوات فقد رأينا الدكتور السعران يذكر الأصوات شاملا لعلمى Phonology , phonatics فيذكر أن هذا الاتجاه نحو عدم التفريق بين هذين الفرعين هو ما سارت عليه المدرسة الانجليزية وهو ما يعارض إتجاها أو إتجاهين آخرين مشهورين الاتجاه الأول : مرتبط كل الارتباط بفكرة الثنائية فى الكلام الانسانى ، بفكرة تقسيمه إلى مسما سموه اللغة Longe وإلى ماسموه الكلام الفعلى Parole ، والرأى عند أصحاب هذا الاتجاه هو أن « الفوناتيك » Phonatics وظيفة دراسة اصوات

---

(١) Studies in Phonitics, Linguistics, ABercroube, p. 16

وقد فرق دكتور ابراهيم أنيس بين المصطلحين فى كتابه الاصوات اللغوية وذكر أنطران مايبه فى كتابه علم اللسان اننا اما أن ندرس النطق الصوتى بصرف النظر عن المعنى الذى يحمله الحديث فتكون دراستنا متعلقة بعلم الأصوات Phonolgy واما أن ندرس النطق كوظيفة للمعنى المعبر وهنا ندخل فى باب النحو أو المعاجم (علم اللسان انطران مايبه ملحق بكتاب الفقه المنهجى عند العرب للدكتور محمد مندور) .

(٢) اللغة ج . فندريس ترجمة الدواخلى والقصاص ص ٣٠ .

الكلام أى دراسة الاصوات الفعلية الحقيقية أما الفونولوجيا فتتناول أصوات اللغة أى الوحدات الصوتية للغة مخزونة فى ذهن الجماعة المعينة .

أما الاتجاه الثانى فينظر إلى الفوناتيك كما لو كان شيئا لا يندرج تحت علم اللغة أو بحسب ما يفهم من كلامهم ليس فرعا من علوم اللغة إنما هو علم له استقلال من نوع ما ولكن الدراسات اللغوية فى حاجة اليه حاجتها إلى بعض العلوم الأخرى (١) .

أما الاوصاف التى ذكرها ابن دريد عن الجهر والهمس والمد واللين والإطباق وقد ذكره المحدثون متقاربا مع القدماء ولكنهم اختلفوا فى تعاريف منها فالمجهور « وهو الصوت الذى تصحب نطقه ذبذبة فى الاوتار الصوتية والمهموس وهو ما لا تصحب نطقه هذه الذبذبة ، والجهر والهمس ناحيتان تختلف فيهما الاصوات وتتقابل حتى لو اتحدت مخارجها (٢) .

وإذا كان الباحثون المحدثون يقسمون الاصوات فى اللغة إلى قسمين الصوامت أو السواكن Consonants والحركات أو المصوتات Vowels

---

(١) علم اللغة العام دكتور كمال بشر قسم الثانى « الاصوات » ص ١١٠ دار المعارف — مصر ١٩٧٠ م .

(٢) علم اللغة : مقدمة للقارىء العربى دكتور محمود السعران ص ١٤٦ وقد فصل الدكتور السعران القول فى الاصوات اللغوية فذكر أعضاء النطق وصنف الأصوات الصامتة إلى انفجارية وانفجارية احتكاكية وشبه منحرفة ومكررة واحتكاكية ومتمادة غير احتكاكية وأشباه الحركات (ص ١٦٥) وغير ذلك ، فمن يريد التفصيل فليرجع إليه .

وهى الالف والواو والياء والفتحة والضمة والكسرة والباقى صوامت . فانا نستطيع أن نميز رأى الباحثين فهم يقسمون هذه الاصوات إلى عدة اعتبارات .

(١) مخرج الصوت وهو المكان الذى يتقارب أو يلتقى فيه طرفان ، أعضاء النطق فالحنك ثلاثة أقسام ، ويقسمون الصوامت حسب طريقة خروج الهواء إلى الاقسام الآتية :

أ ـ الانفجارية
ب ـ الانفجارية الاحتكارية
جـ ـ الغناء
د ـ المنحرفة
هـ ـ المكررة
و ـ المستلبة
ز ـ الاحتكاكية
ح ـ المتمادة غير الاحتكاكية
ط ـ أشباه الصوائت (١).

(٢) اهتزاز الاوتار الصوتية عند النطق

وقد ذكر المحدثون أصغر وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معانى الكلمات وسموها (فونيم) Phonneme كما تناولوا فى دراستهم للصوتيات النبر (Stress) والتنغيم Intonaterst .

هذا ما قاله المحدثون وهو يتقارب كثيراً فيما قاله ابن دريد وإن كانوا يختلفون معه فى التفاصيل وهو وغيره من علماء اللغة الأول فتحوا

---

(١) علم اللغة : مقدمة للقارىء العربى : دكتور محمود السعران ص ١٦٥ .

الطريق المحدثين الدرس والبحث ومعنا شاهد من المحدثين يعترف بعظمتهم هو الدكتور كمال بشر حيث علق على وصف ابن جنى للمخارج فقال « ومما يؤكد براعتهم ونبوغهم فى هذا العلم أنهم قد توصلوا إلى ما توصلوا إليه من حقائق مدهشة دون الاستعانة بأية أجهزة أو آلات تعينهم على البحث والدراسة كما نفعل نحن اليوم (١) .

(١) علم اللغة العام القسم الثانى : الأصوات — دكتور كمال بشر دار المعارف ١٩٧٠ ص ١٠٩ و ١٢٠ .

مناقشة منهج ابن دريد فى كتابه جمهرة اللغة

بعد أن ذكر ابن دريد صفات الحروف ومخارجها فى المقدمة ذكر لنا طرفا عن الحروف الزائدة وباب الأمثلة وهى الأوزان الصرفية ابتدأ بذكر الثنائى الصحيح وقد ذكر « أن الثنائى الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثانى ثقيل حتى يصير ثلاثة أحرف ، اللفظ الثنائى والمعنى ثلاثى » (١)

ونستطيع أن ندرك أنه يتحدث عن الثلاثى المضعف ولكن ابن دريد لايسير على الطريق الذى رسمه فقد كان عليه أن يذكر الثنائى وتقاليبه مثل ب ت ت ، لكنه يقحم سائر المشتقات مما انبثق من اجتماع الحرفين وقد تعقب الدكتور عبد السميع محمد فى كتابه « المعاجم العربية » حشو ابن دريد فى الثنائى فذكر إنه قال « فى مادة د ع ع ، ماسار عليه فى بناء الثنائى ومقلوبها « عدعد » ولكنه شرح فى تفصيل ماالحق بالرباعى من هذه المادة نفسها دع دع ، بتكرار حرفيه جميعاً ، وذكر نفس المادة فى الملحق بالرباعى بنفس الألفاظ السابقة » (٢).

وقد تعقبت ما ذكره الدكتور عبد السميع فرأيت أن ابن دريد قد ذكر المادة فى باب « الثنائى الصحيح » وذكرها فى باب « ماالحق بالرباعى » وقد أتى بعكس ذلك عندما ذكر فى مادة خ ف ف قال « لعد الحق هذا بالرباعى فقيل خفخفت الضبع وهى صوتها وذكر عن أبى الخطاب الاخفش أنه قال الخفخوف

---

(١) جمهرة اللغة : لإبن دريد ج ١ ص ١٣

(٢) المفاجم العربية دراسة تحليلية : الكتاب الأول دكتور عبد السميع محمد ص ٦٠

طائر ولم يذكره أحدا من أصحابنا غيره ولا أدرى ما صحته ، (١) فاذا ما انتهى من الثنائى الصحيح وذكر أبواب الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر ذكر « الحفحفة صوت الضبع يقال سمعت حفحفة الضبع وحفحفتها أيضا » وقد ذكرها بإسهاب فى الثنائى الصحيح وأوجزها فى الملحق بالرباعى المكرر ، وبمناقشة بناء الثنائى الصحيح نراه يذكر حروفا مختلة فى بعض المواد التى ذكرها مثل قوله فى مادة ك ى ى « الكى مصدر كويت الجرح وغيره أكويه كيا » ، وقوله « فى مادة ل ى ى » لويت الشىء الويه ليا « وهذه الياء واو قلبت ياء ولويت الغريم ليا وليا إذا مطلته ، (٢)

فهو يذكر كوى ولوى فى الثنائى الصحيح رغم انه خصص بابا فى الثنائى المعتل وما تشعب منه . (٣)

أما أبواب الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر فهو يقصر الشرح فى المادة تارة مثل قوله فى ب ث ب ث « بثبثت التراب ونحوه إذا استثرته ببثبثة » ويسهب الشرح فى بعض المواد الأخرى مثل قوله فى مادة بجبج « البجبجة من قولهم بدن بجباج وهو الممتلىء شحما قال الراجز :

بجباجة فى بدنها البجباج

ومن معكوسها الجبجبة وإذا انتقلنا إلى الثلاثى فقد قسمه إلى ستة أبواب وتشمل أبواب الثلاثى حوالى ثلثى المعجم ، أما أو أقسام الثلاثى وهو أبواب

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٦٨

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٢١

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٦١

الثلاثى الصحيح وما تشعب منه فيذكر المواد حسب ترتيبها الأبجدى فيركب الباء والتاء مع حرف ثالث مما يليهما من حروف الهجاء حتى ينتهى من الباب يصنع ذلك مع التاء ويجعل مع كل مادة معكوسها وقد وقع نفس الاضطراب والتكرار فى أبواب الثلاثى فقد خلط المعتل بالصحيح مثل مادة ب ن ى ، ب و هـ ، ب و ى ، ب هـ ى ويذكر الدكتور عبد السميع محمد أن ابن دريد « قد اخطأ فى اعتبار هاء التأنيث أحد الحروف الثلاثة فى بنـــاء الثلاثى الصحيح وهو خطأ دون شك »(١)

ونحن نوافق الدكتور عبد السميع محمد على رأيه ففى مادة ح م هـ يقول « الحمة معروفة وقد استقصيناها فى الثنائى والحمة مخففة حرارة السم وليست كما تسمى العامة حمة العقرب » (٢)

وقد اعترف ابن دريد هنا انه من الواجب عليه أن يذكرها فى الثنائى بقوله « وقد استقصيناها فى الثنائى » .

وأول باب فى الملحق بالثلاثى هو «باب من الثلاثى يجتمع فيه حرفان مثلان فى موضع العين واللام ، أو العين والفاء أو الفاء واللام من الأسماء والمصادر وما تشعب منهم وهو ملحق بما مضى من الثلاثى الصحيح »(٣).

فالعنوان مضطرب بعض الشىء وهو يذكر فى أوله باب من الثلاثى ثم يذكر فى نهاية العبارة وهو ملحق بما مضى من الثلاثى الصحيح ، وهو يذكر هنا

---

(١) المعاجم العربية : الكتاب الاول دكتور عبد السميع محمد ص ٦٢ .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد جـ ٢ ص ١٩٦ .

(٣) نفس المصدر جـ ٣ ص ١٨٤ .

مودآ مثل م ب ت ت ، ب ذ ذ ، وواضح أنها كانت تستحق أن توضع فى أبواب الثنائى المضعف ، وقد نجد له عذرا ودو أن هذه المواد التى ذكرها فى المعتل الملحق بالثلاثى لايدغم فيها المثلان ، فيعلق الدكتور حسين نصار على ذلك بقوله « وأول باب فى الملحق بالثلاثى ما سماه هذا باب من الثلاثى يجتمع فيه حرفان مثلان فى موضع العين والسلام أو العين والفاء أو الفاء والسلام من الأسماء والمصادر وماتشعب منه ويضع فيه أمثال ب ل ل ، د د ن ، كعك ، وواضح أن الأليق بها أن توضع فى أبواب الثنائى المضاعف السابقة ولكن المؤلف اكتشف فرقا بين ماأورده هنا وهناك فهناك يدغم المثلان أما هنا فغير مدغمين وفاته أنهما إذا كانا لايدغمان فى احدى الصيغ فقد يدغمان فى المشتقات الأخرى ، فيزول بذلك الفارق الظاهرى الذى اكتشفه وكان عليه أن يتبين ذلك من هذه العبارة التى وردت على لسانه عفوا حين قال فى آخر هذا الباب أهملت النون والواو والهاء والياء مع الحروف إلا فى الهوة وقد مر ذكرها فى الثنائى » (١)

وفى الباب الثانى من الملحق بالثلاثى وهو « باب ما كان عين الفعل منه أحد حروف اللين » ثم ذكر أبواب ما الحق بالثلاثى الصحيح فى حرف من حروف اللين وهو يخلط فيه خلطا كبيرا فقد كان من الواجب أن يضم البابين فى باب واحد ولكنا نلتمس له العذر كما ذكر بنفسه أنه أملى هذا الكتاب ارتجالا « لاعن نسخة ولاتخليد فى كتاب قبله ومن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك فيعذر ان فيه تقصير او تكرير ان شاء » . (٢)

---

(١) المعجم العربى نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ج ٢ ص ٤١١

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٢

ثم ينتقل ابن دريد إلى باب النوادر فى الهمز وهو يحشد فيها معلومات لاحاجة بنا اليها فى منهج معجمى وكان من الواجب أن توضع فى النوادر عامة التى ذكرها فى نهاية المعجم .

فإذا انتقلنا إلى أبواب الرباعى فقد جعله أربعة أبواب أولها الرباعى الصحيح ثم باب من الرباعى فيه حرفان مثلان ثم باب تعددت الاوزان التى جاءت فيه المواد على مثالها والباب الرابع باب مايلحق بالرباعى بحرف من حروف الزوائد ، ونجد أبواب الرباعى منتظمة مرتبة غير أن الدكتور عبد السميع (١) محمد عاب عليه فيه أنه حشد فيه موادا ثلاثية كثيرة وأنه وضع فيه الفاظا رباعية أصولها من حرفين مكررين وهو ما ألحقه بالثنائى الصحيح من قبل مثل قرقر وجدجد وأنه حشد فى الرباعى أبوابا فرعية قصيرة مثل باب (ما جاء فى الشدة والصلابة ، وما جاء فى القصر وما جاء فى السرعة وفى المضاء وفى السعة والسهولة) (٢) ، ويرى الدكتور حسين نصار (٣) انه رتب ابواب الرباعى ترتيبا منظما ولكنه يذكر ان ابن دريد لم يراع الترتيب فى ايراد التقاليب الستة ، وذكر ابن دريد فى ابواب الرباعى ابوابا منها باب من الرباعى فيه حرفان مثلان مثل دردق ، وجدجد ، وقد كرر فى هذا الباب ماسبق ان ذكره فى الرباعى المضاعف بعد باب الثنائى وباب من الرباعى على فعل وفعل وفعل وقد اورد فيه الألفاظ الرباعى المضعفة ، الحرف الثالث ، والمدغمة ثم

---

(١) المعاجم العربية : دراسة تحليلية : الكتاب الأول دكتور عبد السميع محمد ص ٦٥

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ج ٣ ص ٣٦٨

(٣) المعجم العربى نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ج ٢ ص ٤١٨

فرع من الباب عنوانا هو «ومما يلحق بالرباعى» وذكر فيه كلمات على الأوزان السابقة ولكنها غير مضعفة مثل سيطر وضبطر .. الخ ثم ما جاء على فيعل وفوعل وماجاء على فعل وفعل ، ومن الملحق بالرباعى « باب مايلحق بالرباعى بحرف من حروف الزوائد . وانتقل إلى باب « ماجاء من الرباعى على فعلل » ولاتختلف الأبواب الملحقة بالرباعى عن الرباعى .

أما الخماسى فقد خصص له عناوين مختلفة منها باب من الزوائد ومنها أبواب لأوزان خاصة مثل ما جاء على أفعيل ومنها ما جاء على أفعولة وأفعيلة وألحق بالخماسى ، وان كان الأصل غير ذلك ، الخ وهو لايحلل المواد فى هذه الأبواب تحليلا لغويا ولايعقب الدكتور عبد السميع محمد (١) على أبواب الخماسى عند ابن دريد ويعتبر دكتور عبد السميع الملحق بالخماسى سداسيا أما الدكتور حسين نصار (٢) فقد اعتبره مضطربا فى أبواب الخماسى ومقتصراً

أما أبواب اللفيف فهى قصيرة فقد خصص كل باب لما جاء من مواد على وزن معين مثل باب « ماجاء على فعيلى » وباب على ماجاء على فعليل ..الخ وقد عرف اللفيف بقوله «أنا سميناه لفيفا لقصر أبوابه والالتفات بعضها إلى بعض على عكس تعريف الطرفين ، وفى اللفيف يحشد حشدا بعض المواد خارجة عن ميدان المعجم أما الباب الذى يسمى « الضمائر » وقد جمع فيه مائتى باب يعالج فيها النوادر ويدور كل باب حول موضوع خاص فقد نقل فيه عن الأصمعى وأبى حاتم وأبى زيد فى نوادرهم ، وهو يعترف بذلك وهذا الباب باب جميل لكنه يخرج عن نطاق

---

١ ـ المعاجم العربية دكتور عبد السميع محمد الكتاب الأول ص ٦٥

٢ ـ المعجم العربى نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ج ٢ ص ٤١٩

المعجم فقد مر بنا رأى بعض الباحثين وهو الدكتور عبد السميع محمد (١) — الذى يرى أنه يستحق أن يكون كتابا منفصلا ولكنه يفيد دارس اللغة فى هذه المواد اللغوية التى ذكرها ابن دريد ويمكن أن يكون أساسا للمعجم التاريخى ؛ ويرى الدكتور حسين نصار « أن ابواب النوادر لاتقوم فى تقسيمها او ترتيبها على أساس معين بل مقسم مرة على الأبنية وأخرى على الموضوعات وثالثة على بعض الظواهر اللغوية فيما تحويه من الفاظ هى غاية من الاختلاط والاضطراب » (٢)

---

١ — المعاجم العربية دكتور عبد السميع محمد ص ٦٦

٢ — المعجم العربى نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ج ٢ ص ٤٢٠

تحليل بعض مواد الجمهرة

إذا أخذنا مادة من باب الثنائى الصحيح وهو أول أبواب المعجم مثل مادة (أزز) فيقول فيها : « از يؤز أزا ، والأز الحركة الشديدة وأزت القدر إذا اشتد غليانها وفى كتاب الله تعـــالى (تؤزهم أزا) والمصدر الأز والأزيز ، الازاز ، قال رؤبه :

لا يأخذ التأفيك والتحذى ... فينا ولا طيخ العدى ذو الأز

(التأفيك) من قولهم أفك الرجل عن الطريق إذا ضل عنها وفى القرآن العزيز (يؤفك عنه من أفك) قال يصرف عنه وقوله عز وجل (فأنى يؤفكرن) أى يصرفرن والله أعلم »(١) .

وقد بدأ ابن دريد المـــادة بالفعل اللازم وذكر مصدره ويستشهد بالقرآن الكريم والشعر ولكننا نلاحظ أنه بدأ يشرح البيت ويستطرد دون اتمام معانى المادة .

وإذا أخذنا مادة من الثلاثى الصحيح وهو أكبر أقسام المعجم مثل (ترع و رتع) نجد ابن دريد يبدأ المادة بقوله « ترع الرجل يترع الاناء إذا ملأته فهو مترع »(٢) ، وقد بدأ ابن دريد المادة بالفعل اللازم وذكر مصدره ثم ذكر الفعل المتعدى فى قوله « اترعت الاناء إذا ملأته » ونلاحظ انه يذكر للمادة معنيين ، حسى ومعنوى ، ويذكر اسم المفعول للفعل اترع ويذكر علما لمكان

---

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد ج ١ ص ١٧ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠ .

فى قوله « الترعة قالوا الروضة وقال قوم الدرجة » . وهو أمين فى علمه فلا ينسب قولا لغيره اليه إذا لم يطمئن إلى قول قال « والله أعلم» أو قال «لاأدرى ما صحته» ثم يذكر مقلوب المادة مبتدئا بالفعل مرة أخرى « فيقول : ورتعت الماشية ترتع رتوعا ، ورتعا إذا جاءت وذهبت فى المرعى فهى رتع ورتوع ورواتع ورتاع والمراتع مواضعها التى ترتع فيها وفى التنزيل (أرسله معنا غداً يرتع ويلعب) (١) وهو يذكر مقلوب المادة كما نرى الفعل الماضى ومضارعه ومصدره ويذكر مصدرين للثلاثى ويذكر جمعا لمفرد لا يذكره فى قوله «فهى رتع ورتوع» ورواتع ورتاع» ويذكر اسم المكان « المراتع » ويستشهد بالقرآن الكريم ، ومن تقاليب المادة أيضا عرت ولكنه هنا يبدأ بالاسم فيقول : « والعرت الدلك عرت انفه إذا أخذه بأصابعه فدلكه عرته يعرته عرتا ورمحا عرات مثل عراص سواء وهو الذى يهتز إذا هززته من أوله إلى آخره وقالوا رمح عارت وعاتر أى صلب كأنه مقلوب عن عارت »(٢).

وهو يستشهد بالشعر ويذكر تقاليب المادة مبتدئا بالاسم فيقول : «والعتر الذبح يقال عتره يعتره عترا ، » ويذكر طرفا من عادات العرب فى الجاهلية فيقول « والعتيرة شاة كانت تذبح فى الجاهلية فى رجب يتقرب بها وكان ذلك في صدر الاسلام أيضا » (٣)

ويذكر مصدر عتر ويستشهد بالحديث الشريف (على كل مسلم أضحية

---

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد جـ ٢ ص ١٠ .

(٢) نفس المصدر جـ ٢ ص ١٠ .

(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ١١ .

وعتيرة) ويبين نسخ الحديث الشريف للعتيرة بالاضاحى ويستشهد بقول الحارث بن حلزه الذى كان قد حفظ ديوانه فى صباه وقت غذاء وهو :

عننا باطلا وظلما كما تعــتر عن حجرة الربيض الظباء

وقول زهير بن ابى سلمى :

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دمى رأسه النسك

ويشرح ما يريد أن يستشهد به فى البيت الاول ويذكر طرفا من عـادات الجاهليين فيقول « وكان الرجل فى الجاهلية يقول إن بلغت غنمى مائة عترت عنها عتيرة فاذا بلغت المائة ضن بالغنم فصاد ظبيا فذبحه عنها (١)» .

وهذه المعلومات مصدر هام لأقوال العرب فى الجاهلية وأخبـارهم وتحفظ بعض الاشعار التى فقدت لبعض شعراء الجاهلية .

وإذا أخذنا مادة من الملحق الثلاثى الصحيح بحرف من حروف اللين مثل (ث غ و ا ى) فهو يقول « الغثاء ما جاء به السيل والثغـــاء وصوت الغنم والغوث من قولهم غاثه يغوثه غوثا وغياثا وأغاثه يغيثه إغاثة وهو اللغة العالية وبه سمى الرجل غوثا وغياثا ومغوثا ويغوث صنم معروف والغيث المطر وربما سمى ما نبت الربيع غيثا»(٢).

وبتحليل هذه المادة نجده يبدأ بالاسم ومقلوبه مباشرة ثم يذكر الثلاثى من الأفعال ماضيا ومضارعا ومصدره والرباعى ومصدره ويذكر أسماء

---

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد جـ ٢ ص ١١ .

(٢) نفس المصدر جـ ٣ ص ٢١٩ .

الأعلام ويذكر غوثا وغياثا ومغيثا للرجال ويغوث للصنم ونجـــده فى الملحق بالثلاثى يطيل فى بعض المواد ويفصل فى أخرى وكانت تحتاج إلى الإطالة مثل هذه المادة .

وإذا انتقلنا إلى الرباعى الصحيح نجده يذكر فى باب البـــاء والضاد فى الرباعى الصحيح وقد ابتدأ بالأسماء ولم يذكر فعلا قال « استعمل من وجوهها الضبعطى والضبغطى بالعين والغين مقصورتان كلمة يفزع بها الصبيـان يقولون قد جاءك ضبعطى ويا ضبغطى خذه ويذكر أيضا الضبنطى القوى الغليظ والعضبل الصلب ليس بثبت ويستشهد هنا بقول الراجز :

وزوجهـا ذو ترك ذو ثرى　　　يجزع ان فزع بالضبغطى

وقول الفـــرزدق :

إذا القنبضات السود طوفن بالضحى
رقدن عليها الحجـــال المسجدة

وفى أبواب اللفيف يذكر من المواد ما جاء على الأوزان فذكر مثلا ما جاء على فعليل : شرحبيل اسم ودرخمين ويقال درخميل وهو اسم من أسماء الداهية وحيفيق سىء الخلق وجد قيص قصير زرىء .

وذكر فى باب ما جاء على (فعلى) دفرى ومعزى ودفلى نبت وحفرى نبت وذكرى وحسمى موضع ، قال أبو بكر « نون ابو حاتم فى كتاب المذكر والمؤنث ذكرى» ومعزى ونجده فى باب اللفيف لايطيل الشرح وهو يعترف بذلك فى تعريفه لمعنى اللفيف ونراه أيضا يذكر عبارات غريبة وحوشية وهذا يخالف المنهج الذى رسمه فى اختيار الجمهرة .

وإذا انتقلنا إلى آخر أبواب المعجم وهو باب النوادر نراه ينقل أخباراً عن النوادر من كتب الأصمعي وابى حاتم وهو أمين فى نقله لا يعزو شيئاً إلى نفسه ولا ينكر قولا لصاحبه والباب أخبار لغوية ومصدر لأخبار العرب فى الجاهلية ، وطرف من لحمهم وعاداتهم وهو يذكر مثلا فى باب « ما جاء من النوادر فى صفة النصال »(١) «فى النصل سنخه وهو أصله وغيره وهو وسطه وأسلته وهو مستدقه » وذكر قول أبى عبيدة فيه « وزعم أبو عبيدة عن أبى خيرة أن العريض من النصال يسمى القهوباة » وهو يفرد أقوالا لبعض اللغويين مثل قوله « باب من نوادر ما جاء فى القوس وصفاتها عن أبى عبيدة معمر بن مثنى » (٢) و « باب قال الاصمعى أسماء رحاب الشجر »(٣) « وذكر لنا فى باب من النوادر أشياء قال عنها « جمعناها فى هذا الباب ليسهل فصلها » (٤) أسماء المحلات وأسماء الايام فى الجاهلية وأسماء الشهور فى الجاهلية وأسماء القداح (قداح الميسر) .

ونستطيع أن نستخلص من تحليل هذه المواد أن ابن دريد كان يبدأ بالفعل بعد أن يجرده من الزوائد فى أكثر المواد ويذكر مضارعه ومصدره وأنواع المصدر فى الثلاثى ثم يذكر الاسماء ويستشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ويجيء الشعر القديم ، وهو لا يستشهد بالمولدين وهذا يحتاج إلى تفصيل .

---

(١) الجمهرة لابن دريد ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٠٢ .

(٣) نفس المصدر ج ٤ ص ٥٠٠ .

(٤) نفس المصدر ج ٣ ص ٤٨٩ .

شواهد الجمهرة :

اعتمد ابن دريد فى جمهرته على شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر ، أما القرآن الكريم فقد استشهد به فى تفسير بعض المعانى اللغوية ، وان كنا نعيب عليه أنه يفسر المعانى القرآنى حسب المعنى اللغوى الذى يريده ، وقد اتضح ذلك جليا فى دراستنا لكتابه « الملاحن » .

واستشهد بالحديث الشريف وكان الحديث الشريف قد نشأت منازعات فى الاستشهاد به منذ استشهد الخليل به وكانت الخلافات تتداول ما هو نوع الحديث الذى استشهد به وكان النزاع أكثر ما كان بين النحويين ، واستقر النزاع على رأى متوسط(١) .

---

(١) أفاض الشيخ محمد الخضر حسين فى مجلة المجمع اللغوى الجزء الثالث فى موضوع الاستشهاد بالحديث وقسم الحديث إلى ثلاثة أصناف :

ا) صنف لا ينبغى الاختلاف فى الاحتجاج به وهو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ذاته والتى يستدل بها على فصاحته مثل حديث (حمى الوطيس) والأحاديث التى كان يتعبد أو أمر بالتعبد بها والأحاديث التى كان تخاطب بها كل قوم بلغتهم إذا صح لفظها والأحاديث التى وردت بأسانيد مختلفة ... الخ .

ب) الصنف الثانى : أحاديث لا ينبغى الاختلاف على صحتها وهى التى تأخر تدوينها إلى ما بعد فساد اللغة .

جـ) الصنف الثالث : وتختلف الآراء فى الاحتجاج به وهو الحديث المدون فى وقت مبكر ولكن بعد فساد اللغة فى القرن الثالث تقريبا .

أما الشعر فقد كان ابن دريد يستشهد بفطاحل الشعــراء وهو لا يستشهد بالمولدين غير انه ذكر بشار بن برد مرة واعتبره غير حجة(١).

وهو على العكس من الخليل فى استشهاده بالمولدين وان كان يتفق مع الخليل فى انشاد الشواهد الشعرية دون نسبة إلى قائلها وقد بذل مصحح الجمهرة جهداً كبيراً فى مراجعة كتب اللغة والأدب ليعرف اسم الشاعر ، ومن أمثلة شواهده للجاهليين قوله فى مادة (ب)(٢) « الربابة العهد والمعاهدون اربة » ، قال الهذلى أبو ذؤيب :

كانت اربتهم بهز وغرهم عقد الجوار وكانوا معشراً غدرا

ويروى « نغيرهم عهد الجوار » وقال آخر هو علقمة :

وكنت امرأ افضت اليك ربابتى وقبلك ربتنى فضعت ربوب

ومن استشهاده للاسلاميين فى العصر الأموى فى مادة (ب س س)(٣) قول الفرزدق :

ألم تعلما يا ابن الجشر نها إلى السيف تستبكى إذا لم تعقر
منا عيش للهولى مراتيب الثأى معاقير فى يوم الشتاء المذكر
وما جبرت إلا على عنم يرى عرافيبها مذ عقرت يوم صوأر

ومن استشهاده بالرجز قوله فى مادة (ب ش ش)(٤) قول الراجز :

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد جـ ١ صـ ١٢٧ .
(٢) نفس المصدر جـ ١ صـ ٢٨ .
(٣) نفس المصدر جـ ١ صـ ٣٠ .
(٤) نفس المصدر جـ ١ صـ ٣٢ .

لا يعدم السائل منه وفرا   وقبله بشاشـــة وبشرا

كان ابن دريد قد رجع إلى مراجع فى كتب اللغة والأدب والتفسير والتاريخ تثبت انه استقى شواهده منها (١).

---

(١) ذكر محمود بن عمر البغدادى فى خزانة الأدب ج ١ ص ٣٠ طبقات الشعراء التى يستشهد بها وملخصها أن الجاهليين وهم من كانوا قبل الإسلام والمخضرمين وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام مثل لبيد وحسان يستشهد بهما إجماعا ، أما الطبقة الثانية وهم الإسلاميون الذين كانوا فى صدر الإسلام مثل جرير والفرزدق والصحيح صحة الاستشهاد بكلامها أما المولدون أو المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا مثل بشار وأبى نواس الصحيح انه لا يستشهد بكلامها مطلقا وقيل يستشهد بكلام من يوثق بكلامه منهم .

اللغات واللهجات فى معجم الجمهرة

إهتم ابن دريد باللغات فى معجمه إهتماماً كبيراً وبخاصة لغة اليمن وإذا فصلنا الأمر فإننا نقول انه اهتم بلهجات العرب وذكر لغات أخرى غير العربية فى آخر كتاب الجمهرة معربة ومنقولة ودخيلة ، فقد ذكر فى معجمه لغات الازد والانصار والبحرين ولغة تميم وثقيف وأهل الجوف وأهل الحجاز وبنى حنيفة وخزاعة وأهل الجوف وأهل السراه وطىء وعبد القيس وقيس وأهل المدينة ولغه أهل مكة وهذيل وهمدان وهوازن ، وقد ذكر من لغة اليمن لغة حمير ، ولغة اليمن عامة فى كثير من مواضع الجمهرة ، إنما يدل على تعصبه لقومه على الرغم من أن بعض الباحثين المحدثين وهو الدكتور حسين نصار يعتبر ذكر لغات اليمن فى الجمهرة من مظاهر الشك فيما يقول « وركز عنايته باللغة اليمينية خاصة فذكرها فى قريب من ٢٢٠ موضعا وأصل السبب فى ذلك أنها لغته الاصلية ، وانه كان متعصباً لأهله من اليمن وكانت هذه الكلمات اليمنية من أهم أسباب مادار حول الجمهرة من شك ونقد لعدم اتساقها مع المعروف من لغة الشمال »(١).

واهتم ابن دريد بالمعرب والدخيل عن الرومية والسريانية والعبرية والنبطية والحبشية والفارسية وقد عقد له فصلا فى الأبواب الملحقة بالمعجم واعتمد أبو منصور الجواليقى عليه فى كتابه « المعرب » .

ومن مميزات الجمهرة أنه ذكر لغة الرسول — صلى الله عليه وسلم — فذكر فى الجمهرة مادة (د ف و) من الثلاثى الصحيح فقال : « الدفو مصدر دفوت الجريح ، ادفوه دفوا ، إذا أجهزت عليه ، ودففت عليه تدفيفا وفى الحديث أن

---

(١) المعجم العربى نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ح ٢ ص ٤٢٩ .

قوما من جهينه جاءوا إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — بأسير وهو يرعد من البرد فقال ادفوه ، وهو لغته بغير همز فذهبوا به فقتلوه ، وإنما أراد عليه السلام ادفئوه من البرد وليس فى لغته عليه السلام الهمز » (١) .

فاذا استقصينا ما ذكره من لغات العرب فمن الاسد يقول فى مادة (بعل) « والعلبة بكسر العين والجمع علب . غصن غليظ من شجرة يتخذ منه مقطرة كلغة أسدية » (٢) .

وفى مادة (دعن) « والدعن لغة أسدية وهو سعف بعضه إلى بعض ويرمل بالشريط ويبسط عليه التمر » (٣) وغير ذلك من المواضع .

أما لغة الأنصار فقد ذكرها فى موضع واحد (مادة بدأ) قال : « وبديت الشيء وبدوت به إذا قدمته بالفتح والكسر وفى بديت وهى لغه الانصار ، وأنشد أبو عبيدة لعبد الله بن رواح الانصارى رضى الله عنه :

باسم الاله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا
فحبذا ربا وحب دينا (٤)

أما لغة البحرين فقد ذكرها فى عدة مواضع منها مادة (جبر) فقال تعليقا على قول ابن أحمر البالى :

ابعد عطيتى ألفا تماما من الحبار آزرها الهراء

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ج ٢ ص ٢٩١ .
(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٣١٦ .
(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٨٣ .
(٤) نفس المصدر ج ٣ ص ٢٠٢ .

قال « والمراء بلغة أهل نجد الفسيل بغيته وأهل البحرين زعمـوا أن المراء الطالع » (١) .

ويستمر فى ذكر لغات العرب فيذكر مثلا لغة قيس فى ثلاث مواضع قال فى باب « من النوادر » وقال قيس طسم الرجل وحفس إذا أغم » (٢) .

أما لغة اليمن فهى أكثر اللغات ورودا فى المعجم فقد ذكر لغة حمير مرات ولغات يمنية أخرى كثيراً جداً ومن أمثلة ما ذكره فى لغة حمير ما ذكره فى الثنائى المضعف مادة (حلل) قال « والحل الحلال ومنه قولهم هذا لك حل وبل ، وقال بعض أهل اللغة بل اتباع وقال آخرون البل المباح لغة حميرية » (٣) .

وقال فى موضع آخر فى الثنائى المضعف فى مادة (بل) « وقولهم حل وبل قال قوم من أهل اللغة بل هاهنا اتباع وقال قوم بل البل المباح لغه يمنية » (٤)

ونلاحظ هنا أنه يكرر ما ذكره من قبل فى الثنائى المضعف مادة (حلل) فى لغة حمير وهو خلط من جانبه وذكر لغة اليمن بعامة فى الثلاثى الصحيح فقال فى مادة (ت خ ف) « الختف السذاب فيما زعموا لغة يمانية » (٥).

وفى الرباعى الصحيح قال فى باب الباء والخاء فى الرباعى « وخـربش وخرباش يقال وقع القوم فى خرباش أى فى اختلاط وصخب لغه يمانية » (٦) .

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٢) نفس المصدر جـ ٢ ص ٤٧٩ .

(٣) نفس المصدر جـ ١ ص ٦٤ .

(٤) نفس المصدر جـ ١ ص ٣٨ .

(٥) نفس المصدر جـ ٢ ص ٧ .

(٦) نفس المصدر جـ ٣ ص ٣٠٢ .

أما اللغات الأجنبية التى ذكرها ابن دريد فى معجمه فقد ذكرها فى آخر المعجم مع باب النوادر فى باب (ما تكلمت به العـــرب من كلام العجم حتى صار كاللغة) (١) .

فمن الفارسية يذكر (الديابوذ) وهو الدوابوذ بالفارسية أى ثوب ينسج على نيرين ومن الفارسية أيضا الكرد العنق وهى كردن بالفارسية والقصافص فارسية معربة وهى الرطبة أسفت ، ومن الرومية قومس وهو الأمير والسجنجل رومى معرب وهى المرآة والقراميد الآجر يسمى بالرومية قرميدى والاسفنط درب من الخمر فيه أقاويل رومى معرب ومن النبطية (المرعزى) وأصلها بالنبطية (مريزى) . ومن السريانية (التامور) و (الرازوق) وهو السطر من النخل وغيره .

ولكن هل كان ابن دريد يعرف لغات أجنبية غير العربية ؟

يرى الدكتور عبد السميع محمد فى كتاب المعاجم العربية « ان ابن دريد على ما يبدو لم يعرف غير اللغة العربية فقال « ويبدو أن ابن دريد لم يعرف غير اللغة العربية فقد تحدث عن الحروف التى إستعملتها العرب فى الأسماء والأفعـــال والحركات والأصوات فقال إنها تسعة وعشرون حرفا مرجعون إلى ثمانية وعشرين حرفا منها حرفان مختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والظاء ، ثم يقول وزعم آخرون ان الحاء فى السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة وهذا ليس زعما فالحاء موجودة فى اللغات الثلاثة » (٢) .

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد حـ ٣ ص ٤٩٩ وقد نقل نصوصا كثيرة للغات الأجنبية وقد أخترت بعضها حـ ٣ ص ٥٠٠ و ٥٠١ .

(٢) المعاجم العربية دراسة تحليلية الكتاب الأول دكتور عبد السميع محمد ص ٥٣ .

ونعتقد أن ما رآه الدكتور عبد السميع محمد يميل إلى الصواب وان ابن دريد كان ينقل عن شيوخه ما سمعه أو يذكر كلمات قد شاعت بين العرب ونفهم ذلك من عنوان الباب الذى تحدث فيه عن اللغات الأجنبية وقد ذكر ابن دريد كثيراً من المعرب فى معجمه فى مواضع متفرقة غير الباب الذى ذكر فيه ما تكلمت به العرب من كلام العجم وقد ذكر ابن دريد البهرج فى باب (الباء والجيم) فى الرباعى « والبهرج قد تكلمت به العرب وان كان فارسيا وكأنه الردىء من الشيء (١) » وقد ذكر البهرج فى باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم فقال « البهرج الباطل وهو بالفارسية نبهره » (٢) .

وقد علق أحمد محمد شاكر فى تحقيقه لمعرب الجواليقى على كلمه « البهرج » كما ذكرها ابن دريد فذكر أنها ذكرت مرتان مرة « البهرج » بفتح الباب ومرة البهرج « بضمها » رغم أن المعنى واحد ورأى أن ضم الباء خطأ من الناسخ أو المصحح » (٣) .

وذكر ابن دريد فى الرباعى الصحيح « وكربلاء موضع لا أحسبه عربيا محضا والبرنكان أيضاً كساء برنكانى ليس بعربى » (٤) .

وذكر ابن دريد فى باب الثنائى الصحيح فى مادة « ت ك ك » « والتكة لا أحسبها عربية محضة ولا أحسبها إلا دخيلا وإن كانوا قد تكلموا بها قديما » (٥)

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد حـ ٣ ص ٢٩٨ .

(٢) نفس المصدر حـ ٣ ص ٥٠١ .

(٣) المعرب : أبو منصور الجواليقى تحقيق أحمد محمد شاكر هامش صـ ٩٦ .

(٤) جمهرة اللغه لابن دريد جـ ٣ صـ ٣٠٩ .

(٥) نفس المصدر السابق جـ ١ صـ ٤١ .

وقد علق أحمد شاكر على كلمة « التكة » كما ذكرها ابن دريد فقال « وهذا ظن من ابن دريد لم يأت عليه بدليل واصل المادة مستعمل فى العربية » (١).

وذكر ابن دريد « الكافور » فى مادة « ر ف ك » فقال « فأما الكافور من الطيب فأحسبه ليس بعربى محض ولأنهم ربما قالوا القفور والقافور ، وقد جاء فى التنزيل « مزاجها كافورا » والله أعلم بكتابه » (٢).

ويرى أحمد محمد شاكر « ان ابن دريد لم يأت بدليل على عجمة الكلمة إلا الظن فيه فقال ادى شير فارسيته كافور أى كاللفظ وليس هذا دليلا كافيا فاحتمال نقل الاسم من العربية إلى الفارسية أقوى ثم أن أصل المادة عربى وقد سمى العرب وعاء طلح النخل كافورا ، (٣) وذكر ابن دريد « المقليد » فقال « المقليد المفتاح فارسى معرب لغة فى الاقليد والجمع مقاليد (٤) ويرى أحمد شاكر ان الكلمة عربيه خالصة (٥).

ويذكر الدكتور عبده الراجحى فى كتابه « اللهجات العربية فى القرءات القرآنية » إن المعاجم بطبيعة مادتها تعتبر مصدرا هاما للهجات فقال « وتعتبر المعاجم بطبيعة مادتها مصادر هامة للهجات ولكن كثيراً منها لم يهتم بعزوها إلى قبائلها ، فصاحب اللسان مثلا لا يكاد يذكر إلا قليلا جداً من لهجات القبائل

---

(١) المعرب : للجواليقى تحقيق أحمد محمد شاكر هامش ص ١٣٨ .

(٢) جمهرة اللغة : لابن دريد جـ ٢ ص ٤٠١ .

(٣) معرب الجواليقى تحقيق أحمد شاكر هامش ص ٢١٣ .

(٤) جمهرة اللغة لابن دريد جـ ٢ ص ٢٩٢ .

(٥) معرب الجواليقى تحقيق أحمد شاكر هامش ص ٣٦٢ .

بل إنه يكتفى بقوله لغة فيه أو عند بعض العرب ، والمعجمان اللذان نعتبرهما مصدرين هامين للهجات وبخاصة لهجات اليمن هما : (١) الجمهرة لابن دريد إذ تنتشر فيه لهجة أكثرها من اليمن والغريب إنه لم يذكر من لهجات قبيلة الازد إلا سبعة عشرة مادة . (٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى وهو فى رأينا أهم مصدر لدراسه اللهجات اليمنية (١) .

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية دكتور عبده الراجحى ص ٥٤ دار المعارف سنة ١٩٦٨ .

الغريب والمهمل فى معجم الجمهرة

ذكر ابن دريد فى مقدمة معجمه انه اختار من اللغة الشائع المستعمل وأرجأ الوحشى المستنكر وجعله ملحقا بأبواب كتابه ، ولكنا نلاحظ أنه كثيراً مايستعمل الغريب الوحشى فى ثنايا معجمه ، وإذا أردنا أن نعرف الغريب والوحشى والمهمل والمستنكر وهذه الألفاظ متقاربة المعنى وتختلف فى وجوه ، أما الغريب فهو « أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها ويحتاج إلى معرفتها إلى أن ينقر عنها فى كتب اللغة المبسوطة » (١) والوحشى من الكلام « ما نفر عنه السمع » (٢) ويقال له حوشى وهو بمعنى الغريب ، أما المهمل فقد ذكره السيوطى فى المزهر وقسمه قسمين « درب لا يجوز ائتلاف حروفه فى كلام العرب البتة ، وذلك كجيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدم على جيم ، وكعين مع غين ، أو حاء مع هاء أو غين ، فهذا أمر ما أشبهه لا يأتلف والدرب الآخر ما يجوز تآلف حروفه ، ولكن العرب لم تقل عليه وذلك كارادة مريد أن يقول عضخ فهذا يجوز تآلفه وليس بالنافر » (٣) .

فأما الغريب والحوشى عند ابن دريد فى الجمهرة فنجده أكثر ما نجده فى باب الرباعى على الأوزان مثل ما جاء على فيعل وفوعل وما جاء على فعيل .. الخ مثل قوله رجل حيفس وضخم آلآم حيثم صلب شديد ورجل زيفن طويل وفى باب ما جاء على فوعل « الكومج المتراكم الاسنان فى الفم والتولج والدولج وهو الكناس وهودل والهدولة الاقتراب والشوحط نبت تتخذ منه القسى فاذا كان جبليا

(١) المزهر : جلال الدين السيوطى ج ١ ص ١٨٥ .
(٢) العمدة : ابن رشيق القيروانى تحقيق محمد محى الدين ج ٢ ص ٢٦٥ .
(٣) المزهر : جلال الدين السيوطى ج ١ ص ٢٤٠ .

فهو نبع وإذا كان سهليا فهو شوحط والحوزل فرخ الحمـــام وحرشب وهو الرجل العظيم النهد الجنبين » (١) .

أما المهمل فقد ذكر ابن دريد المادة المهملة ونص على إهمالها وفعل ذلك فى كل مواد معجمه ، فمن الثنائى المضعف الصحيح ذكـــر (ب ظ ظ) و (د ف ق) ونص عليها بقوله « أهملت » وقد يذكر بعض استعمالات المادة من مشتقات المادة المهملة .

ومن أبواب الثلاثى الصحيح يذكر المواد المهملة مثـــل مادة « م ب ث ظ » و « م ب ث ث » بقوله « أهملت » ، وأحيانا ينص على أنها مهملة فى الثلاثى فقط مثل مادة سحج ، وسحذ قال « أهملت فى الثلاثى » ، ويذكر أحيانا أنها مهملة من جميع الوجوه أو اهمالها مع حروف أخرى مثل قوله فى « شحظ » (أهملت) ، وكذلك حالها مع العين والغين .

أما الرباعى الصحيح فيقل المهمل عند ابن دريد وقد ذكـــر استعمال بعض المواد من وجوهها مثل قولة « فى باب الباء والشين فى الرباعى الصحيح استعمل من وجوهها الشنزب » وفى باب الباء والطـــاء فى الرباعى الصحيح استعمل من وجوهها القمطبة ، وفى باب الفيف وباب النوادر فيذكر ابن دريد أنواعا من المهمل ونراه يذكر مواداً غاية فى الغرابة تحتاج إلى معجم آخر يشرحها ، ونجمل القول أن ابن دريد خالف منهجه فى اختياره الشائع فقط ، فقد ذكر موادا غريبة وحوشية فى معجمه وان كان قد أخر من المستنكر والحوشى فى نهاية المعجم ، كما ذكر فى مقدمة الكتاب :

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد حـ ٢ صـ ٣٥١ و ٣٥٩ .

معنى الكلمة ومدلولها فى معجم الجمهرة

قبل أن ندرس الكلمة ومعناها عند ابن دريد يجب أن نشير إلى دراسة المعنى أو الدلالة عند المحدثين فقد ذكروا علم الدلالة أو علم المعنى أو علم السيمانتيك. فيذكر الدكتور تمام حسان فى كتابة مناهج البحث فى اللغة « إن علم الدلالة أو علم المعنى أو علم السيمانتيك فرع من فروع الدراسات التى تناولها بالبحث أنواع من العلماء تختلف موضوعاتهم فالفلاسفة واللغويين وعلماء النفس والأنثروبولوجيا والادباء والفنانين والاقتصاديين وعلماء الدراسات الطبيعية »(١)، ويذكر الدكتور تمام حسان أيضا انه اختلف فى الاسم والأفكار الداخلة فى نطاق العلم فيذكرون الأسماء.

وقد حدد هذا العلم وأفكاره الأولى بريال على أساس تاريخى ويقسم الدكتور تمام حسان علم الدلالة إلى علم الدلالة التاريخى وعلم الدلالة الوصفى والأول يدرس تغير الدلالة من عصر إلى عصر أما الثانى فيدرس المعنى فى مرحلة معينة من مراحل تاريخ اللغة. وقد كتب الدكتور محمود السعران عن علم الدلالة فقال « أنه فرع من فروع علم اللغة وهو غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية (٢). ويذكر الدكتور محمود السعران أن تغير المعنى غالباً ما يكون صدى لتغـــير الميول الاجتماعية ومن أنواع التغير الدلالى الذى يذكر :

١ — التغير الانحطاطى أو الخافض وهو ما كان فى نظر الناس قويا نسبيا ثم

---

(١) مناهج البحث فى اللغة : دكتور تمام حسان ص ٢٤٠.

(٢) علم اللغة مقدمة للقارىء العربى، الدكتور محمود السعران ص ٢٨٥.

تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك حرفية ثم التغير المتسامى وهو عكس التغير السابق .

٢ — التغير نحو التخصيص أو تخصيص المعنى وهى ألفاظ تستعمل الدلالة على طبقة عامة من الأشياء ثم أصبح مجالها ضيقا .

٣ — التغير نحو التعميم أو تعميم المعنى .

٤ — التحول نحو المعانى المضادة وهو ما يعرف فى لغتنا بالأضداد وهناك التغير الدلالى والاستعمال النحوى والتغير الدلالى والتاريخ الثقافى (١) .

ويقسم الدكتور ابراهيم انيس فى كتابه دلالة الألفاظ (٢) بعد أن حلل عبارة لغوية أنواع الدلالات إلى :

١ — دلالة صوتية وهى تستمد من طبيعة الأصوات ومن مظاهرها ما يسمى بالنغمة الكلامية Intonation وتلعب هذه النغمة فى بعض اللغات دورا هاما .

٢ — دلالة صرفية .

٣ — دلالة نحوية .

٤ — دلالة معجمية .

وقد اهتم المحدثون بالدلالة الاجتماعية فجعلوا منها فرعا دراسيا مستقلا سموه Semantics ، ويميل بعضهم إلى التفرقة بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية ، إذ أن المعاجم وإن كانت مهمتها الأساسية هى

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارىء العربى ، الدكتور محمود السعران ص ٢٥٥ .

(٢) دلالة الألفاظ ، الدكتور ابراهيم انيس ص ٤٤ .

توضيح تلك الدلالة الاجتماعية غير أنها تعرض لبحث مسائل تجرى على غير المألوف ويرى من الضرورى النص عليها ولقد أدرك هذه الحقيقة العلمية معظم أصحاب المعاجم العربية القديمة وهم فى غالب الأحيان لا ينصون إلا على الصيغ الغريبة على القياس والاضطراد فى ظواهر اللغة ، ويرى الدكتور ابراهيم أنيس « إن معاجمنا العربية القديمة لم تلتزم هذا الطريق السوى فى عرض مفرداتها بل جمع بعضها بين المفرد القياسى والشاذ والسماعى فى كثير من الأحيان (١) . أما الدكتور على عبد الواحد فيذكر فى كتابه علم اللغة أنواع التطور الدلالى فيقسمه إلى ثلاثة أنواع أحدهما تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكوين العبارة وثانيها تطور يلحق بالأساليب وثالثها تطور يلحق معنى الكلمة نفسه (٢) .

ويذكر الدكتور عبده الراجحى فى كتاب فقه اللغة فى الكتب العربية عن

---

(١) دلالة الألفاظ الدكتور ابراهيم انيس صـ ٥١ .

(٢) علم اللغة الدكتور على عبد الواحد وافى صـ ٣٨٧ ، ٢٨٨ هذا وقد وضح صورة تفسير المعنى فى المعاجم العربية الدكتور محمد أبو الفرج فى كتاب المعاجم العربية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث من صـ ١٠٠ إلى صـ ١١٥ وذكر وسائل تفسير المعنى للمعاجم العربية إلى خمسة أقسام : ١ ـ تفسير بالمغايرة . ٢ ـ تفسير بالترجمة .
٣ ـ تفسير بالمصاحبة . ٤ ـ تفسير بالسياق « السياق اللغوى ـ السياق الاجتماعى ـ السياق السببى ٥ ـ التفسير بالصورة وهى دعوة حديثة لم تذكرها المعاجم القديمة .

ارجع إلى كتاب المعاجم العربية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث الدكتور محمد أبو الفرج من صـ ١٠٠ إلى صـ ١١٥ .

قضية المعنى » أما العرب اهتموا اهتماما كبيرا بقضية المعنى لأنه يتصل بالأصل الذى صدرت عنه حركتهم الفعلية كلها كما نعاه فى كتب التفسير والأصول والفقه والشروح — المختلفة التى وضعوها للفن القولى شعره ونثره ومع أن هذه الاعمال كانت تعرض لأسباب النزول أو لمراتب البيان أو لمقتضى الحال أو غير ذلك من الجوانب التى تمس ظروف الكلام من قريب فان دراستهم على المستوى الدلالى لم تكشف عن منهج واضح (١) ، وإذا حاولنا أن نستكشف مفهوم المعنى أو الدلالة عند ابن دريد فى معجمه فاننا نرى أنه كان يسير بمفهوم المعنى كما نرى عند تحليلنا لبعض مواده ومثال ذلك فى مادة جرس « الجرس صوت خفى يقال ما سمعت له جرسا أى ما سمعت له حسا فإذا قالوا ما سمعت له حسا ولا جرسا كسروا واتبعوا اللفظ وسمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شىء تأكله وفى الحديث فيسمعون جرس طير الجنة (٢) . وهو هنا يذكر السياق اللغوى والتفسير بالسياق ويهتم بالتفسير بالترجمة فقال « والجرس والجمع أجراس الذى تسميه العامة جرصا بالصاد واشتقاقه من الجرس أى الصوت والحس وليس يجتمع فى كلام العرب جيم وصاد فى كلمة ثلاثية ولا رباعية إلا مالا يثبت فاما الجص فغارسى معرب (٣) . وهو هنا يذكر الكلمة المعربة وهى الجص ويشرحها ونجده أمينا حين يقول ولا أدرى ما صحته . ولا يهتم ابن دريد بالدلالة الاجتماعية إلا ما يذكره من لغات العرب فى بعض المواد ولا يهتم بالدلالة النحوية أما ما ذكره من الدلالة الصرفية فعلية هجوم كبير وخاصة من جانب ابن جنى الذى هاجمه فى كتاب الخصائص هجوما صرفيا محضا .

---

(١) فقه اللغة فى الكتب العربية ـ الدكتور عبده الراجحى ـ طبع بيروت ص ١٦٩

(٢) الجمهرة — ابن دريد ج ٢ ص ٧٥ .

(٣) نفس المصدر ج ٦ ص ٧٦ .

المهاجمون للجمهرة

هوجمت جمهرة اللغـــة أيام ابن دريد وبعده على يد علماء ثقات وكان أول المهاجمين ابراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه المتوفى عام ٣٢٣هـ . وكان نفطويه معاصراً لابن دريد ويذكرون عنه « إنه كان صدوقا حافظا وكان متقنا فى العلوم وكان ينكر الاشتقاق فى كلام العرب .(١)

وقد تهاجى ابن دريد ونفطويه وكان نفطويه قد هجا ابن دريد بقوله :

ابن دريد بقـــرة   وفيه عى وشـــره
ويدعى من حمقه   وضع كتاب الجمهره
وهو كتاب العـــين إلا أنه قـــد غـــيره

ويرد عليه ابن دريد بهجاء طريف فيقول :

لو أنزل الوحى على نفطويه   لكان ذاك الوحى سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه   مستأهل للصفع فى أخدعيـــه
اف على النحـو وأربابـــه   قد صار من أربابه نفطويـــه
أحرقـــه الله بنصف اسمه   وصير الباقى صراخا عليـــه(٢)

ونفهم من هجاء نفطويه لابن دريد انه يتهمه بسرقة كتاب العين وتغييره وتحميشه بالجمهرة ولكن هجوم انطويه لم يقم على أساس ولا دليل ولذلك فقد ذهب الدكتور حسين نصار إلى ضعف رأى انطويه وقال مقارنا بين ابن دريد

(١) أنباه الرواة فى أنباه النحاة للقفطى ج ٣ ص ١٦٥ .
(٢) المزهر فى علوم اللغة جلال الدين السيوطى ج ١ ص ٤٧ .

وبين الخليل » وسبب اختلاف الاثنين فى الصوغ والشواهد رجوع ابن دريد إلى مراجع أخرى غير العين ولدينا فهرس بهذه المراجع فى آخر المجلد الرابع يظهر منها أنه اطلع على كتب فى اللغة والأدب والتفسير والتاريخ ويتضح من المواد نفسها أنه استمد كثيراً من شواهده القرآنية وتفسيرها بل أكثرها من أبى عبيدة وإن تحرز من بعضها وشك فيه وكل هذا يجعلنا ننكر على نفطويه طعنه فى الجمهرة وأدعائه أنها مسروقة من كتاب العين (١) . وقد دافع السيوطى عن ابن دريد معلقا على هجوم نفطويه عليه فقال : « وقد تقرر فى علم الحديث أن كلام الاقران فى بعضهم لا يقدح (٢) ونستطيع أن نجمل القول أن رأى نفطويه فى الجمهرة واعتبارها مسروقة من العين لايقوم على دليل فهو يقوم على غيرة شخصية وعداوة مستكنة لابن دريد فكتاب الجمهرة يختلف عن كتاب العين فى وجوه كثيرة وقد اعترف ابن دريد فى مقدمة الجمهرة انه يسير على درب الخليل ولو كان سارقا لأخفى ملامح السرقه ثم أن فى الجمهرة زيارات كثيرة على العين كانت من الكثرة بحيث اعتمد عليها القيانى فى كتابه الموعب ثم ان نفطويه هو الوحيد الذى اتهم ابن دريد بسرقة الجمهرة ولم يتهمه كبار اللغويين فى عصره وبعد موته بالسرقة بل ان كثيراً من اللغويين اللاحقين اعتمدوا على الجمهرة فى تأسيس معاجمهم مثل ابن فارس فى كتابيه مقاييس اللغة والمجمل .

وكان ثانى المعاجميين أبو منصور الأزهرى المتوفى عام ٣٧١ هـ فى كتاب التهذيب ، وقد ذكر الأزهرى الأئمة الذين اعتمد عليهم فيما جمع من الكتاب

---

(١) المعجم العربى نشأته وتطوره الدكتور حسين نصار جـ ٢ صـ ٤٢٨ .

(٢) المزهر فى علوم اللغة جلال الدين السيوطى جـ ١ صـ ٩٤ .

فى مقدمة المعجم فذكر من الطبقة الأولى أبو عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والمفضل الضبى ومن الطبقة الثانية أبو زيد الانصارى وأبو عبيدة معمر بن المثنى والكسائى وأبو عمرو الشيبانى والاصمعى ومن الطبقة الثالثة أبو عبيد القاسم بن سلام إلى غير ذلك من العلماء الذين اعتمد عليهم فى كتابه (١) . وبعد أن فرغ من ذكر الأثبات المتقنين فى رأيه بدأ فى ذكر أقوام اتسموا بسمة المعرفة وعلم اللغة وألفوا كتبا أودعوها الصحيح والثقيل وحشوها بالمزال المفسد والمصحف المغير الذى لا يتميز ما يصح منه إلا عند التقارب المبرز والعالم الفطن لنحذر الاغمار اعتماد ما دونوا والاستنامة إلى ما ألفوا وذكر أول ذلك الليث بن المظفر يقول عنه انه الذى نحل الخليل بن احمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه باسمه ويرغب فيه من حوله(٢) ، ثم يهاجم الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ ثم يهاجم ابن دريد هجوما عنيفا فيقول « وممن ألف فى عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التى ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الازدى صاحب كتاب الجمهرة وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب الملاحن وحضرته فى داره غير مرة فرأيته يروى عن أبى حاتم والرياشى وعبد الرحمن بن أخى الاصمعى فسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه عنه فاستخف به ولم يوثقه فى رواية ودخلت يوما عليه فوجدته سكران لايكاد يستمر لسانه على الكلام من غلبة السكر عليه وتصفحت كتاب الجمهرة له فلم أره دالا على معرفة

---

(١) مقدمة تهذيب اللغة لأبى منصور الازهرى جـ ١ ص ٥٤ وغيرها تحقيق عبد السلام هارون .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٨ .

ثاقبة وعثرت منه على حروف كثيرة ازالها عن وجوهها وأوقع فى تضاعيف الكتاب حروفا كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها فأثبتها من كتابى فى مواقعها فيه لأبحث عنها أنا وغيرى ومن ينظر فيه فان صحت لبعض الائمة اعتمدت وان لم توجد لغيره وقفت(١).

وبعد أن يهاجم آخرين مثل الخارزنجى وأبا الازهر البخارى يذكر انه سيبين ما أخطأ فيه ابن دريد أو ما شككه فيه فيقول « ولم أودع كتابى هذا من كلام العرب إلا ما صح لى سماعا منهم أو رواية عن ثقة أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفتى اللهم إلا حروفا وجدتها لابن دريد وابن المظفر فى كتابيهما فتبينت شكى منهما وارتيابى بها وستراها فى مواقعها من هذا الكتاب »(٢).

ونستطيع أن نلخص التهم التى وجهها أبو منصور الازهرى لابن دريد فى الجمهرة فى الآتى :

١ — افتعال العربية وتوليد الألفاظ التى ليس لها أصول وادخال ما ليس من كلام العرب فى كلامهم ونستطيع أن نفهمها بمعنى الكذب وصنع الالفاظ وندافع عن ابن دريد ونقول انه لم يكذب فى كتابه فإنه كان ينقل عن العلماء الثقاة ويذكر كتبهم وإذا لم يعرف أصل الكلمة أو صحتها يقول ولا أدرى ما صحتها وأما إدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامهم فيقصد

---

(١) مقدمة تهذيب اللغة لأبى منصور الازهرى — تحقيق عبد السلام هارون جـ ١ ص ٣١ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٠ .

به المعرب والدخيل والمولد فلم يذكره ابن دريد من تأليفه وانما نقلها وكان دائما يقول وما أدرى ما صحتها أو هكذا يقولون . وأما اعتماد الازهرى على نفطويه فى الهجوم على ابن دريد فقد فصلنا فيه سابقا وعرفنا انهما كانا عدوين وكان نفطويه يحقد على ابن دريد ويغار منه .

٢ — شرب ابن دريد للخمر وهى تهمة شخصية محضة ونستطيع أن نقول أن — الناحية الشخصية لا تنقص علم العالم ولا نستطيع أن نصدق أن رجلا مثل ابن دريد أخرج لنا من أمهات الكتب مثل الجمهرة والاشتقاق والمجتنى قد اختل عقله أو سقط قدره .

٣ — التصحيف ، وأما التصحيف فهو ما يقع فيه العلماء وقد ذكروا لابن دريد تصحيفا وقد أشار الناشر إلى مواضع مصحفة من الجمهرة ومن الألفاظ التى أنكرها الازهرى على ابن دريد فى معجمه ما قال فى باب العين والهاء مع الطاء « وقال ابن دريد الهطيع الطريق الواسع قلت ولم أسمع الهطيع بمعنى الطريق لغيره وهو من مناكيره التى ينفرد بها (١) » . وفى باب العين والخاء مع الشين « وقال ابن دريد خشع الرجل خراش صدره إذا رمى بها قلت جعل جشع واقعا ولم أسمعه لغيره وقال مادة قذع « وقال ابن دريد ذعقه وزعقة إذا صاح به وافزعه قلت وهذا من زيادات ابن دريد . وأحيانا يذكر الازهرى رأيا لابن دريد ويعترف بصحته فلا يعلق عليه قال فى مادة عرض « وقال ابن دريد يقال جملت

---

(١) تهذيب اللغة أبو منصور الأزهرى — تحقيق عبد السلام هارون ج ١ ص ١٣٥ .

فلانا عرضه لكذا وكذا أي نصيره له قلت هذا قريب مما قاله النحويون (١):

ونستطيع أن نرى أن الازهرى كان مضطربا فى الهجوم على ابن دريد فهو حاقد عليه ويريد أن يكون كتابه صاحب المنزلة الاولى بين المعاجم التى سبقته والتى لحقته — هو يريد أن يمحو جهود اللغويين الاوائل الذين شاركوا فى رفع أسس العربية وفرق كبير بين الازهرى وابن دريد الذى مدح السابقين من اللغويين واعترف بفضلهم واقتدى بهم وبين الازهرى الذى هاجم كتاب العين ولكنه سار على منهجه وينكر على ابن دريد ألفاظا ويثبت أخرى وهو لا يفسر ما يريد أن يهاجمه هجوما غامضا لا أدلة معه ولا إقناع .

أما الهجوم الثالث فكان من ابن جنى المتوفى عام ٣٩٢ هـ فى كتاب — الخصائص الذى هاجم الجمهرة من الناحية الصرفية ، يقول ابن جنى فى كتاب الخصائص : « وأما كتاب الجمهرة ففيه أيضا من اضطراب التصنيف وفساد التصريف مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ولما كتبته وقعت فى متونه وحواشيه جميعا من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته ثم انه لما طال على أومات إلى بعضه وضربت البتة عن بعضه (٢).

ونفهم من كلام ابن جنى انه يهاجم جمهرة اللغة فى شيئين :

١ — اضطراب التصنيف (ونستطيع أن نفسر ذلك بالاضطراب الذى وقع فيه

---

(١) تهذيب اللغة : أبو منصور الازهرى — تحقيق عبد السلام هارون جـ ١ ص ٢١٤ .

(٢) الخصائص ، ابن جنى جـ ٢ ص ٢٨٨ .

ابن دريد فى منهجه كما وضحنا سابقا وهو محق فى هجومه هذا .

٢ — فساد التصريف ويعنى به ابن جنى فساد الأبنية الصرفية فى كتاب الجمهرة ونفهم من حديثه انه كتب الجمهرة بخطه وانه كان معترفا بها ومولعا بالنظر فيها فاجتلب نسخة لنفسه وخطها وانه أشار إلى خطأ ابن دريد فى التصريف وقد رآه كثيراً فاضرب عن بعضه وأشار إلى بعضه الآخر ولم تصلنا نسخة ابنى جنى من الجمهرة التى أشار إلى الخطأ فيها وإذا نظرنا إلى أهم كتب ابن جنى مثل الخصائص وسر صناعة الاعراب وشرح كتاب التصريف للمازنى لم نجده إلا قليلا من الهجوم على ابن دريد ففى كتاب التصريف المازنى الذى شرحه ابن جنى ذكر ابن جنى اختلاف أهل اللغة فى لفظ منجنيق ثم ذكر رواية ابن دريد حول هذا المعنى قال: « وأخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة واحسب أن أبا عثمان أيضا أخبرنا به عن التوزى عن أبى عبيدة قال سألت اعرابيا عن حروب كانت بينهم فقال كانت بيننا حروب عون تفقأ فيها العيون مرة نجنق وأخرى نرشق قال فقوله نجنق دال على أن الميم زائدة ولو كانت أصلية لقال نمنجق على أن المنجنيق أعجمى معرب فهذا قول ابن دريد كما تراه »(١).

ثم يعلق على رأى ابن دريد ويخطئه ، ويدافع عن ابن دريد جلال الدين السيوطى بعد أن ذكر رأى ابن جنى فى الجمهرة فقال « قلت مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف وذكر المواد فى غير محالها كما تقدم فى العين ولهذا قال أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر يعنى أن ابن دريد قصير

---

(١) شرح كتاب التصريف الذى ألفه أبو عثمان المازنى — شرح ابن جنى جـ ١ ص ١٤٧ .

الباع في اللغة وكان ابن جنى في التصريف إماما لا يشق غباره ، فلذا قال ذلك » (١) .

ونستطيع أن نذكر المآخذ التي وجهها جميع المهاجمين الجمهرة وتتلخص فيما يلي :

١ ـ الكذب وصنع الألفاظ : وقد رماه الأزهرى كما رأينا بهذه التهمة ورددنا عليه ذلك .

٢ ـ انفراده بأشياء لم توجد في كتب المتقدمين قال المسعودى في مروج الذهب « أورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين (٢) . وقد اهتم ابن دريد بظاهرة الإفراد فذكر فصلا في معرفة الإفراد ونقل كثيراً منها في الجمهرة فمن إفراد أبي زيد الأنصارى قال في الجمهرة « المذشبة المال هكذا قال أبو زيد ولم يقله غيره (٣) ، ومن افراد الخليل قال في الجمهرة الرت والجمع رتوت وهى الخنازير الذكور ولم يجيء به غير الخليل (٤) .

٣ ـ إكثاره من الألفاظ المولدة والمريبة وقد عقد السيوطى في المزهر فصلا سماه « النوع العاشر معرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات » وقد اعتمد السيوطى على الجمهرة في أغلب الأحيان .

٤ ـ التصحيف وقد اتهمه الازهرى بذلك كما مر بنا ورأينا انه كان محقـا في

---

(١) المزهر في علوم اللغة للسيوطى جـ ١ ص ٩٣ .
(٢) مروج الذهب للمسعودى جـ ٤ ص ٤٣٢ تحقيق محمد محيي الدين .
(٣) الجمهرة ابن دريد جـ ١ ص ٢٩٤ .
(٤) نفس المصدر جـ ١ ص ٤٠ .

ابهامه ببعض الشيء ولكن يكفى أن ابن دريد أملى الجمهرة من حفظه عدة مرات فلا يسلم من الخطأ .

٥ — مخالفته لمنهجه الذى رسمه واضطرابه فى خطته التى ذكرها وقد أوضح انه قصد الجمهور الشائع وارجأ الغريب المستنكر ولكن من يعنى بقراءة الجمهرة يرى بين ثناياه اهتماما بالغريب والشاذ .

٦ — تقصيره فى شرح الألفاظ الدالة على الحيوان والنبات والآلات مكتفيا بالتعقيب عليها بأن هذا شىء معروف وهذا أمر درج عليه اللغويون فى كتبهم ويظهر أن عدم معرفتهم فى الأشياء أو وضوحها لدى الافهام فى هذه الحقبة جعلتهم يقفون هذا الموقف .

٧ — ذكره تقاليب الكلمة فى موضوع واحد مما يجعل البحث فيها عسيراً ونستطيع أن نضيف إلى هذه العيوب ما يهاجم به المحدثون أغلب المعاجم العربية القديمة وابن دريد إمامهم ، فقد ذكروا أن هذه المعاجم « لاتواجه تماما حاجة العصر ومقتضياته ففى شروحه غموض وفى بعض تعاريفه خطأ وفى تبويبه لبس وأبى أصحاب المعاجم إلا أن يقفوا باللغة عند حدود زمنية ومكانية ضيقة ففقدت كثيراً من معالم التطور (١) . وذكر الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتاب علم اللغة عن المعاجم العربية القديمة » وهذا النوع من المعجمات قليل الفائدة للباحث فى علم اللغة وذلك أن مؤلفيها قد وجهوا كل عناياتهم إلى ذكر معانى الكلمات والاستشهاد عليها أحيانا فى القرآن والحديث والمأثور من كلام العرب

---

(١) مقدمة المعجم الوسيط — الدكتور ابراهيم مدكور ص ٣ .

ولكنهم أغفلوا إغفالا تاماً تعقب كل كلمة فى مراحل حياتها وشرح تطورها فى مختلف العصور وبيان الأصول التى انحدرت منها وما إلى ذلك من مسائل اليكسيكولوجيا والانيمولوجيا التى تشغل الآن أكبر حيز فى المعجمات الأفرنجية الحديثة (١).

وإتصافا لابن دريد نذكر مميزات الجمهرة وقيمتها اللغوية من خلال دراستنا لها :

١ — اهتم ابن دريد اهتماما كبيراً بشرح الألفاظ شرحا مستفيضا مع ذكر تقاليب الكلمة فى سهولة ويسر فخلد لنا تراثاً لغوياً كان من الممكن أن يفقده الزمن .

٢ — استشهد بمأثور كلام العرب والقرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب الخلص وكان يحاول شرح الأبيات ويعلق عليها وبذلك جمع لنا تراثاً أدبيا لشعراء لم يكن لهم ديوان أو ضاع ديوانهم .

٣ — اهتم بالقراءات القرآنية وتوجيهها وقال فى مادة (برك) « والكبر ضد الصغر كبر كبراً إذا أسن وتكبر إذا تعظم وكبر الشىء معظمه وقد قرىء قوله جل وعز « والذى تولى كبره وكبره والذى قرأ كبره حميد بن قيس (٢) وقال فى مادة (برو) « والربوة والرباة واحد وهو العلو من الارض وقد قالوا ربوة وربوة وقد قرىء « إلى ربوة وإلى ربوة » فأما ربوة فقرأ

---

(١) علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ص ٦٨ .

(٢) الجمهرة لابن دريد ج ١ ص ٢٧٤ .

به ابن عباس وأما ربوة فلا أدرى قرىء به أم لا وقال بعد ذلك قرئت بثلاثة أوجه(١) .

٤ ـ واهتم ابن دريد باللغات الواردة عن قبائل العربية فقد ذكرنا ذلك سابقا وبخاصة لغة اليمن فذكرها فيما يقرب من ٢٢٠ موضعا وقد اهتم أيضا باللغات الاجنبية فاهتم بالاشارة إلى المعرب والدخيل من الرومية أو الحبشية أو العبرية أو السريانية وهو بذلك مصدر هام للهجات والمعرب .

٥ ـ واهتم ابن دريد بأمثال العرب مثال ذلك مادة (عقن) فى الثلاثى «والعناق من المعز خاصة والجمع عنق وعنوق ومثل من أمثال لهم العنوق بعد النوق (٢) وفى باب الرباعى الصحيح باب الباء والزاى فى الرباعى الصحيح « وزعبل اسم واشتقاقه من قولهم صبى زعبل إذا كان سىء الغذاء كادىء الشباب ومثل من أمثالهم لا يكلم زعبل(٣).

ومن مميزات الجمهرة باب النوادر وهو يقدم لنا نصوصا نادرة للعربية نقلها عن علماء ثقات ويصف فيها أيضا وصف العرب الخلص لبعض أدواتهم مثل القوس والسهام والنعل وفيه أيضا مفردات لغوية بمرادفاتها ودقتها اللغوية .

---

(١) الجمهرة لابن دريد جـ ١ صـ ٢٧٨ .

(٢) نفس المصدر جـ ٣ صـ ١٣٢ .

(٣) نفس المصدر جـ ٣ صـ ٢١٠ .

وقد كان للمعجم أثر بارز وفضل كبير على العربية والمهتمين بها وقد كتب علماء حول الجمهرة ومنهم :

١ — أبو عمر الزاهد المتوفى عام ٣٤٥ هـ وقد كتب فائت الجمهرة .

٢ — الصاحب ابن عباد المتوفى عام ٣٨٥ هـ وقد اختصر الجمهرة وسمى كتابه جوهرة الجمهرة وافتخر بكتابه هذا وقال عند اتمامه :

لما فرغنا من نظام الجوهرة   اعورت العين ومات الجمهرة

ووقف التصنيف عند القنطرة

٣ — ابن التيانى المتوفى عام ٤٣٦ هـ وكتابه الموعب .

٤ ـ أبو العلاء المعرى المتوفى عام ٤٤٩ هـ وكتابه نشر شواهد الجمهرة وقد شرح الشواهد .

٥ — يحيى بن معط المتوفى عام ٦٠٨ هـ وكتابه نظم الجمهرة .

٦ — شرف الدين محمد بن نصر الله بن عنين الانصارى الشاعر المتوفى عام ٦٣٠ هـ وكتابه مختصر الجمهرة .

وكل هذه الكتب مفقودة وقد ذكر أبو العلاء المعرى عن ابن دريد فى رسالة الغفران وسماه اخادوس وجعله من الندامى الذين اصطفاهم من أدباء الفردوس(١) .

ولقد كان كتاب الجمهرة منهلا ينهل منه أصحاب المعاجم اللاحقين له

---

(١) رسالة الغفران : أبو العلاء المعرى — تحقيق الدكتور طه حسين ص ١٨٠ .

وغير ذلك من كتب الأمالى والطبقات والأدب . وقد اتبع منهج ابن دريد فى معجمه بعض أصحاب المعاجم ومنهم احمد بن فارس المتوفى عام ٣٩٥ هـ . والذى ألف معجمين هما كتاب المقاييس وكتاب المجمل وقد اتخذ ابن فارس منهجاً فى كتاب المقاييس يقترب من أسس ابن دريد فى تقسيم كتابه وترتيبه وقد اختلف معه فى بعض الأمور فقد سار على الترتيب الهجائى ولكنه خالفه فى اتخاذه هذا الترتيب الأساس الاول للتقسيم وقد ذكر فى مقدمة كتابه انه اعتمد على أشرف الكتب وأعلاها منها كتاب العين وكتاب الجمهرة أما كتاب المجمل فيشترك مع كتاب المقاييس فى مادته وقد حاول ابن فارس أن ييسر طريقة المعجم فى الجمع والترتيب فلم يجمع المواد والصيغ والشواهد ويستكثر منها بل أراد منها الاجمال .

ولقد سارت المعاجم بعد ابن دريد متأرجحة بين منهج ابن دريد فى الجمهرة وبين منهج الخليل فى العين فألف أبو على القالى المتوفى عام ٣٥٦ هـ معجمه البارع وسار فيه على طريقة الخليل وسار على منهج الخليل أيضا أبو منصور الازهرى المتوفى عام ٣٧٠ هـ فى كتابه التهذيب وكتب ابن سيده — الأندلسى المتوفى عام ٤٥٨ هـ كتابه المحكم ويسير به على طريق الخليل أيضا وتطورت بعد ذلك حركة المعاجم فى القرن الرابع وما بعده حتى عصر متأخر فقد اختاروا القافية أساسا للمعجم وقد نهج الجوهرى المتوفى عام ٣٩٨ هـ هذا النهج فى كتابه تاج اللغة وصحاح العربية ثم أتى ابن منظور المتوفى عام ٧١١ هـ وأخرج لنا موسوعته المعجمية « لسان العرب » ثم أخرج لنا الفيروزبادى المتوفى

عام ٨١٧ ﻫ القاموس المحيط ومن الذين ساروا على منهج يشابه ابن دريد وهو منهج الأبجدية العادية منهم الزمخشرى المتوفى عام ٥٣٨ ﻫ فى كتابه أساس البلاغة ويتميز بإظهار المعانى الحقيقية عن المجازية وسار تأليف المعاجم حتى العصر الحديث بين منهج التقليبات والأبجدية ذات التقليبات والقافية والأبجـــدية العـادية وفى العصر الحديث نجد بعض اللغويين اللبنانيين يكتبون المعاجم منها محيط المحيط لبطرس البستانى المتوفى عام ١٨٨٢ م وقد اختصر بطرس البستانى محيط المحيط فى معجم سماه قطر المحيط ومن المعاجم اللبنانية معجم أقرب الموارد للشرتونى ومعجم المنجد للأب لويس المعلوف .

ثم أخرج لنا مجمع اللغة العربية المصرى قاموس «المعجم الوسيط» وقد حاول فيه أن يتخلص من قيود الماضى وهاجم المعجم أغلب المعجمات القديمة واتهمها بالوقوف عند حد مكانى وزمانى معين وانها لا تساير العصر وقد أدلى المستشرقون بدلوهم فى الدلاء فقد كتب ادوارد لين Edward Lane قاموساً وسماه (مد القاموس) .

ومعجم Hanswehr وقد ظهر بالألمانية والانجليزية وقد حاول أ . فيشر أن يضع معجما تاريخيا ومن مبادئه(١) التى نوى إيضاحها لكى يكون المعجم ممتازاً .

١ — المفردات ينبغى أن يسجل من مفردات اللغة ما يعرف باسم الفصيح .

---

(١) المعاجم العربية : دكتور عبد الله درويش ٢٨٥ ومقدمة المعجم الوسيط بقلم دكتور ابراهيم مدكور ص ٥ .

٢ — جمع المواد ينبغى أن توضع جزازات يشتمل عليها الكلمات المختلفـــة .

٣ — ترتيب الكلمات ينبغى أن يتبع فى ذلك ترتيب الأبجدية العادية .

أما المنهج الذى أراد أن يتجه اليه فن الناحية التاريخية فان فيشر وجد أن كل كلمة فى اللغة العربية لها تطورها الخاص ويجب أن تقيد على حسب الترتيب التاريخى بين أقدم الشواهد وأحدثها ومن الناحية الصرفية فيشمل تصريف الأسماء والأفعال مع ذكر الصيغ المختلفة ككل كما ينبه على تمييز الكلمة من ناحية الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث . ومن الناحية النحوية ترتيب كلمات لها مواضع معينة مثل فقط وانما ومن الناحية الأسلوبية وهى تتمثل فى بيان مدى سعة استعمال الكلمة .

الخاتمة ونتائج البحث

وبعد فهذا هو ابن دريد والجمهرة رسم به الخطى لكل من سار بعده اما مقلدا أو مخالفا ونستطيع أن نقول إن كتاب الجمهرة رغم الهجوم عليه ورغم بعض العيوب يعتبر تراثا خالداً لازهى فترات العربية ونهضة علومها ومن خلال دراستى لحياة العصر الذى نشأ فيه ابن دريد وحياة ابن دريد ومؤلفاته العامة نستطيع أن نستخلص النتائج الآتية :

إن ابن دريد كان نابغا منذ نعومة أظفاره وكان حبه للعلم يفوق كل شى وأنه كان متعلقاً بقومه فى كثير من الاحيان ولدينا قصيدتان من ديوانه تتعلقان بقومه ولدينا اهتمام بلغات اليمن فى كتاب الجمهرة ولكننا نعجب أنه لم يذكر لغة الازد وهى أصله إلا مرات قليلة وقد اهتم بذكر أخبار حمير وبعض أخبار أهل اليمن والتى رواها عنه تلميذه أبو على القالى فى كتاب الامالى ووجدت أن ابن دريد لم يجد شهرة إلا بين يدى ابنى ميكال وفى نعيمها كتب أهم مؤلفاته (الجمهرة والمقصورة) وكان ابن دريد يحس دائما بأنه لم يأخذ حظه فى بغداد ولذا فهو يرمى بعض علماء عصره بالجهل وقد كتب فى شعره عن أخلاق الناس وفى مقصورته نجده يتحدى الزمن ويتحمل الشدائد ومن دراستنا لحياته نستنتج أنه كان يشرب الخمر وان كان قد تاب عنها فى آخر حياته أما حياته الخاصة فلم نعلم عنها شيئا — هل تزوج أم لا وهل كان له خلف فلم تذكر كتب الطبقات شيئا عن ذلك . أما عن حياته العلمية فنستنتج أنه كان موسوعة لغوية فقد تنوعت أعماله وكثرت وشارك فى النهضة العلمية التى كانت تؤتى ثمرها وتؤسس علوم العربية التى يحتاجها القرآن الكريم والحديث الشريف وقد شارك ابن دريد فى مراحل الجمع الاولى للغة فكتب رسالتين أولاهما فى صفة السرج واللجام والثانية

فى صفة السحاب والغيث وقد نشر الرسالتين مستشرقا هو رايت ونحن نطالب بنشر هاتين الرسالتين وإعادة طبعها فى مصر باعتبارهما من الجهود المبكرة للنهضة اللغوية فى العصور الأولى . وقد شارك ابن دريد أيضـــا فى كتاباته فى غريب الحديث والقرآن الكريم والأمالى وقد ضاع معظم هذه الرسائل . أما كتاب الاشتقاق فيعد أول كتاب من نوعه فى متن اللغة يحلل الاعلام ويشرح أصول اشتقاقها أسماء المتشابه منها وقد جمع فيه مجموعة رائعة من مرادفات اللغة وأشعار العرب وأخبارهم وهو ذخيرة حية لكل باحث يريد ضبط الاعلام ومعرفة أخبار العرب وقبائلهم ونجده فى كتاب الملاحن ينفرد بطريقة خاصة لمعالجة اللغـــة والتحايل عليها وهو يفيدنا فى دراسة تطور الكلمة ومعانيها الاصطلاحية والمجازية والحقيقية . أما ابن دريد شاعرا فقد استنتجت أنه كان ينظم الشعر إذا دعت الحاجة إلى ذلك وأنه كان يغرق فى الغريب ببعض الألفاظ لإظهار تمكنه من اللغة أو لتعليم الناشئة وأما مقصورته فنستنتج أنه أول من اخترع هـــذا الفن من القصائد الطوال التى يشتمل أغلبها على المقصور فى اللغة وقد تبعه كثيرون وسموا قصائدهم مقصورات على نمط ابن دريد وكان ابن دريد فى مقصورته مضطرب النفس يحس بلوعه الأسى لأنه لم يصل إلى العلو والشهرة بين علماء بغداد . أما دراستنا لمعجم الجمهرة فنستنتج انه كان أول من الف معجما على الترتيب الهجائى فى اللغة العربية بمعناه المكتمل وأن عيوب المعجم من التصحيف والخلط فى المنهج وعدم نسبة الابيات إلى قائلها والأخطاء الصرفية وتكراره المواد وخلطه بينها فى كثير منها هذه العيوب هى نفسها عيوب المعاجم القديمـــة ولا ينفرد بها ابن دريد وحده .

ولكننا نستطيع أن ننتفع بالجمهرة فى كثير من الوجوه فهو يحوى مجموعة من المفردات اللغوية التى كان ينطقها العرب الخلص ويحوى أيضا تراثا شعريا لشعراء

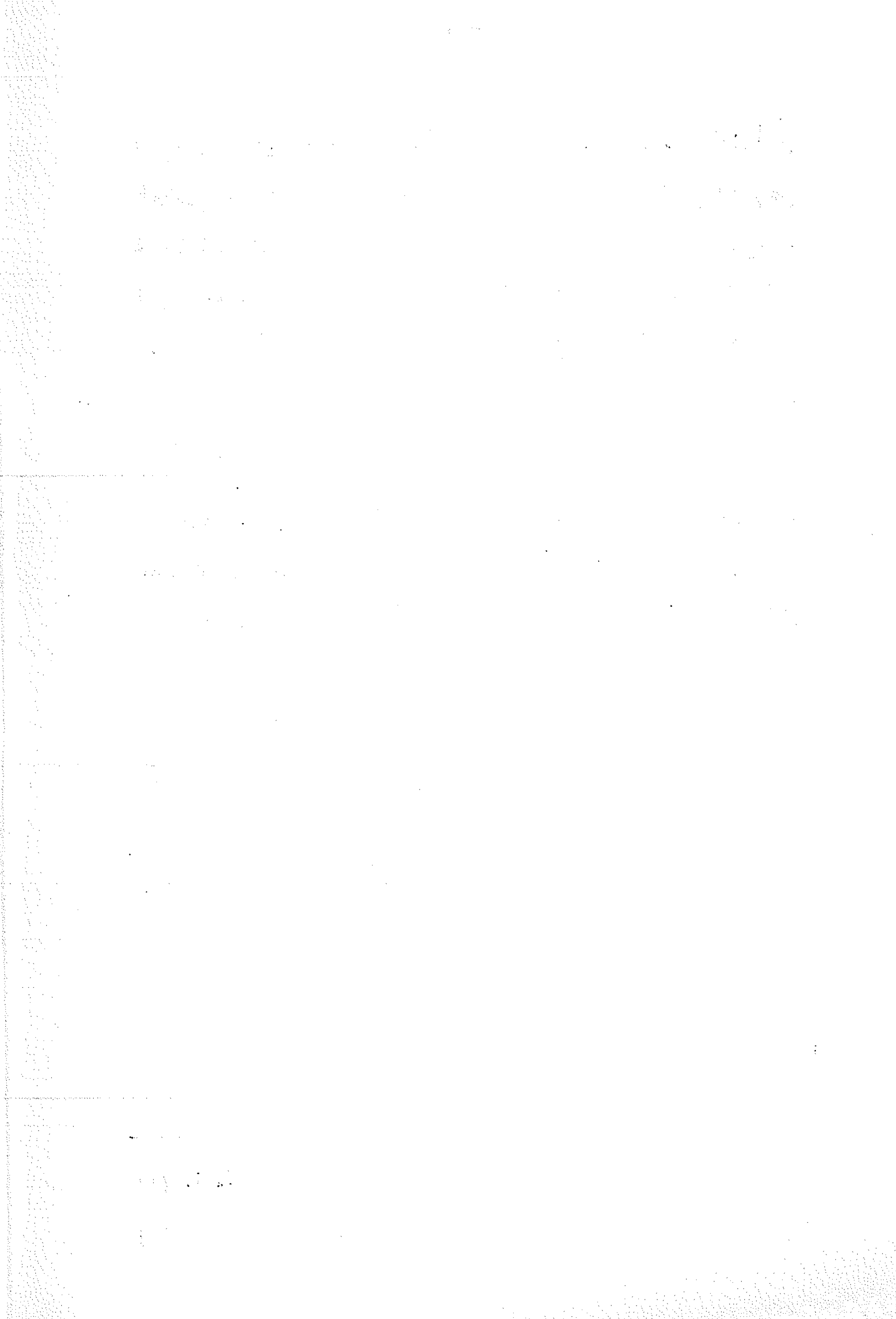
ضاع شعرهم ويفيدنا فى دراسة اللهجات العربية فقد ذكر فى معجمه كثيراً من اللهجات ولغات القبائل . وإذا كان المحدثون يرون فى أن المعجم العربى القديم على غزارة مادته وتنوع أساليبه أضحى لا يواجه حاجة العصر ومقتضياته ففى شروحه غموض وفى بعض تعاريفه خطأ وفى تبويبه لبس (١) . ويذكرون أن اصحاب المعاجم القديمة أبوا إلا أن يقفوا باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة فقدت كثيراً من معالم التطور فهل يعد معجم ابن دريد لا قيمة له فى عصرنا الحديث وماذا يريد المحدثون من المعجم ؟

إن دراسة التراث القديم ضرورى جدا لفهم اللغة ومعرفة أصولها ثم التقدم بعد ذلك إلى المنهج الحديث وإذ كان المحدثون يرون أنه لكى يكون المعجم مكتملا فلابد ، من فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من إشتقاق وتجوز وإرتحاله وإطلاق القياس وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمـــع والاعتداد بالألفاظ المولدة وتسويتها بالالفاظ المأثورة عن القدماء (٢) . إذا كان هذا رأيهم فى المعجم الحديث فان المعاجم القديمة مازالت صرحا شامخا يزخر بالمفردات اللغوية الفصيحة ويحوى تراثا خالدا للشعر والحديث الشريف وأخبار العرب ومعينا لكل باحث .

---

(١) مقدمة المعجم الوسيط الدكتور ابراهيم بيومى مدكور ص ٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٧ .



المصادر والمراجع

١ — أخبار الحلاج : تصحيح عبد الحفيظ محمد مدنى هاشم ، مطبعة باب الخلق القاهرة ١٩٥٠ .

٢ — أخبار النحويين البصريين ، للسيرافى ، نشره كرنكو فى الجزائر وباريس ١٩٣٥ ، ونشره محمد خفاجى بالقاهرة ١٩٥٥ .

٣ — إسلام بلا مذاهب : دكتور مصطفى الشكعة ، بيروت ١٩٧٢ .

٤ — الاشتقاق : محمد بن دريد ، طبعة جوتنجن ١٨٥٤ م ثم حققه عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ .

٥ — الاشتقاق والتعريب : عبد القادر المغربى ، لجنة التأليف ١٩٤٦ .

٦ — الألفاظ الكتابية : عبد الرحمن الهمدانى ، مطبعة الجمالية ، الطبعة الأولى ١٣٣٣ هـ .

٧ — الأمالى : لأبى على القالى ، دار الكتب ١٩٢٦ م .

٨ — الأمالى : عبد الرحمن الزجاجى ، مطبعة السعادة ١٣٢٤ هـ .

٩ — انباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين القفطى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ ، ١٩٥٥ ، ١٩٧٢ .

١٠ — أنوار الربيع فى أنواع البديع : على صدر الدين بن معصوم المدنى ، النجف الأشرف — بغداد ١٩٦٠ .

١١ — بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ .

١٢ — تاج العروس من جواهر القاموس : السيد مرتضى الزبيدى ، القاهرة ١٣٠٧ هـ .

١٣ — تاج اللغة وصحيح العربية : أبو نصر الجوهرى، طبعة بولاق ١٢٨٢هـ وتحقيق احمد عطار ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٤ — تاريخ الأدب العربى : كارل بروكلمان ، ترجمه عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩/ ١٩٦٢ .

١٥ — تاريخ الإسلام السياسى : الجزء الثالث ، دكتور حسن ابراهيم حسن ، مطبعة النهضة المصرية ١٩٦٠ .

١٦ — تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) ابن جرير الطبرى ، مطبعة الحسينية ١٣٢٦ هـ .

١٧ — تاريخ بغداد : (أو مدينة السلام) للخطيب البغدادى : « ٤ أجزاء » ، مطبعة السعادة ١٣٩١ هـ .

١٨ — تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه فارس ، منير البعلبكى - بيروت .

١٩ — تاريخ النقد الأدبى عند العرب: دكتور عبدالعزيز عتيق، بيروت١٩٧٤.

٢٠ — تجارب الامم لابن مسكويه ، نشره هـ . ن . امدروز ، القاهرة عام ١٩١٥ .

٢١ — الاتجاهات الشعرية فى القرن الثانى الهجرى : دكتور محمد مصطفى هداره - دار المعارف ، القاهرة .

٢٢ — تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان : محمد بن حلوم السالمى ، الطبعة الأولى ١٣٣٢ هـ .

٢٣ — تهذيب اللغة : أبو منصور الازهرى تحقيق عبد السلام هارون وآخرين القاهرة ١٩٦٤ / ١٩٦٧ .

٢٤ — التيارات الأجنبية فى الشعر العربى منذ العصر العباسى حتى القرن الثانى الهجرى : دكتور عثمان مواقى ، مؤسسة الثقافة باسكندرية ١٩٧٣ .

٢٥ — جمهرة اللغة : محمد بن دريد تحقيق كرنكو ومحمد السيد الندوى ، حيدر اباد الدكن ١٣٣٤ هـ وأعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد .

٢٦ — حديث الأربعاء : دكتور طه حسين : جزء ثان ، دار المعارف ١٩٥٢ .

٢٧ — الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : آدم متز ، ترجمة دكتور محمد أبو ريده .

٢٨ — الحياة الأدبيـــة فى العصر العباسى : محمد عبد المنعم خفاجى ، القاهرة ١٩٥٤ :

٢٩ — خزانة الأدب : عبد القادر بن عمر البغدادى : طبع القاهرة ١٢٩٩ هـ ١٩٣٠م ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٧ .

٣٠ — الخصائص : ابن جنى ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب ١٩٥٢ .

٣١ — الخليـــل بن احمد الفراهيدى : تأليف مهدى المخزومى ، بغداد ١٩٦٠ .

٣٢ — دلالة الألفــاظ : دكتور ابراهيم أنيس ، مطبعة مكتبة الانجلو ، القاهرة ١٩٥٨م .

٣٣ — دول الاسلام : شمس الدين الذهبى ، القاهرة ١٣٣٢ هـ ، وأصدرته دار الشعب بالقاهرة فى أجزاء صغيرة عام ١٩٧٥ .

٣٤ ـ ديوان ابن المعتز : تحقيق الخياط ، المكتبة العربية ، دمشق ١٣٧١ هـ

٣٥ ـ ديوان أبي تمام : تحقيق محمد عزام : دار المعارف بمصر .

٣٦ ـ ديوان محمد بن دريد : تحقيق محمد بدر العلوى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٥ هـ .

٣٧ ـ رأى فى المقامات : دكتور عبد الرحمن ياغى ، طبعة بيروت ١٩٧١ .

٣٨ ـ رسالة فيما ورد فى القرآن الكريم من لغات العرب : أبو عبيد القاسم ابن سلام (هامش تفسير الجلالين ـ طبع الحلبى ١٣٤٢ هـ) .

٣٩ ـ زهر الآداب وثمر الألباب : أبو اسحق الحصرى ، القاهرة ١٩٢٥ .

٤٠ ـ سر صناعة الاعراب : ابن جنى ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، طبع الحلبى ، القاهرة ١٩٥٤ .

٤١ ـ شرح شواهد المغنى : جلال الدين السيوطى : طبع بتصحيح الشنقيطى القاهرة ١٣٢٠ هـ .

٤٢ ـ شرح مقصورة ابن دريد ، التبريزى ، دمشق ١٩٦١ .

٤٣ ـ صفة السحاب والغيث ، صفة السرج واللجام : محمد بن دريد ، (ضمن مجموعة حرزة الحاطب وتحفة الطالب باشراف وليم رايت ليدن ١٨٨٢ م) .

٤٤ ـ الأصوات اللغوية : دكتور ابراهيم أنيس ، مكتبة النهضة ١٩٦١ .

٤٥ ـ ضحى الإسلام : أحمد أمين ، النهضة المصرية ، القاهرة .

٤٦ ـ طبقات الشافعية : ابن تقى الدين السبكى : مطبعة الحسينية ١٣٢٢ هـ .

٤٧ ـ طبقات الشعراء : لابن المعتز تحقيق عبد الستار فرج ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ .

٤٨ — طبقات الصوفية : عبد الرحمن السلمى تحقيق دكتور أحمد الشرباصى ؛ مطبعة الشعب ١٣٨٢ هـ .

٤٩ — طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم : طبع السعادة ١٩٥٤ .

٥٠ — ظهر الإسلام : أحمد أمين : النهضة المصرية ، القاهرة .

٥١ — العربية : يوهان فك ، ترجمة دكتور عبد الحليم النجار ، مطبعة الخانجى بمصر ١٣٧٠ هـ

٥٢ — العقيدة والشريعة فى الإسلام : اجناس جولد تسيهر ، ترجمة دكتور على عبد القادر أحمد وآخرين ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٥٣ — العقد الفريد : ابن عبد ربه ، القاهرة ١٣٤٦ هـ :

٥٤ — علم اللغة : مقدمة للقارىء العربى : دكتور محمود السعران ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

٥٥ — علم اللسان : أنطوان ماييه : (ملحق بكتاب النقد المنهجى عند العرب) للدكتور محمد مندور ، القاهرة ١٩٥٥ .

٥٦ — العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيروانى : تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة التجارية ١٩٦٣ .

٥٧ — فرق الشيعة : النوبختى ، مطبعة النجف الأشرف ١٩٣٦ .

٥٨ — فقه اللغة وسر العربية : أبو الثعالبى ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى ، القاهره ١٩٣٨ .

٥٩ — فقه اللغة فى الكتب العربية : دكتور عبده الراجحى ، مطبعة النهضة ، بيروت ١٩٧٢ .

٦٠ ــ الفلاكة والمفلوكون : الدلجى ، طبعة الشعب ١٢١٢ هـ .

٦١ ــ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى : دكتور شوقى ضيف ، دار المعارف سنة ١٩٦٠ .

٦٢ ــ الفن ومذاهبه فى النثر العربى : دكتور شوقى ضيف ، دار المعارف سنة ١٩٦٠ .

٦٣ ــ الفهرست : لابن النديم تحقيق فلوجل ، ليبزج ١٨٧١ ، ونشر بالقاهرة عام ١٣٤٨ هـ .

٦٤ ــ القرآن الكريم .

٦٥ ــ الكامل فى التاريخ : ابن الاثير ، القاهرة ١٢٥٣ هـ .

٦٦ ــ كلام العرب من قضايا اللغة العربية : دكتور حسن ظاظا ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

٦٧ ــ لحن العوام : أبو بكر الزبيدى : تحقيق دكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٦٤ .

٦٨ ــ لسان العرب : ابن منظور طبعة بولاق ١٣١٠ ، وطبعة مصوره عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٢) .

٦٩ ــ اللغة : ج : فندريس ترجمة الدواخلى والقصاص ، مكتبة الانجلو ١٩٥٠ .

٧٠ ــ اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : دكتور عبده الراجحى ، دار المعارف ١٩٦٨ .

٧١ ــ متن الغاية والتقريب : ابن الحسين الأصفهانى ، مطبعة الجمالية عام ١٩٤١ .

٧٢ ــ المجتنى : محمد بن دريد : تحقيق السيد الندوى ، حيد أباد ١٣٤١ هـ .

٧٣ ـ المخصص : ابن سيده الاندلسى ، بولاق ١٣١٨ هـ .

٧٤ ــ المدارس النحوية : دكتور شوقى ضيف : دار المعارف ١٩٦٢ :

٧٥ ــ مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوى : تحقيق محمد أبو الفضل مطبعة نهضة مصر ١٩٧٥ هـ .

٧٦ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر على بن الحسين المسعودى تحقيق محمد محى الدين ، مطبعة السعادة ١٢٦٧ هـ .

٧٧ ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل وآخرين ، القاهرة ١٩٥٨ .

٧٨ ــ المستشرقون : نجيب العقيقى ، دار المعارف ١٩٦٤ جزء أول جزء ثان وجزء ثالث عام ١٩٦٥ .

٧٩ . المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير : الفيومى المطبعة الاميرية القاهرة ١٩١٢ .

٨٠ ــ معانى الشعر : أبو عثمان الاشنداني ، دمشق ١٩٢٢ ، وتحقيق صلاح المنجد القاهرة ١٩٦٤ .

٨١ ــ المعاجم اللغوية : دكتور ابراهيم نجا ، طبع القاهرة ١٩٦٩ .

٨٢ ـ المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغـــة الحديث ، دكتور محمد ابو الفرج : بيروت ١٩٦٦ :

٨٣ ــ معجم الأدباء : ياقوت الحموى ، تحقيق أحمد فريد رفاعى : ١٩٣٦ .

٨٤ ــ معجم البلدان : ياقوت الحموى : تحقيق فستنفلد ليبزج ١٨٦٦ — ١٨٧٠ م

٨٥ — معجم الشعراء : المرزباني ، تحقيق عبد الستار فرج ، القاهرة ١٩٦٠ .

٨٦ — المعجم العربي : نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٨ .

٨٧ — المعجم الوسيط : (مجمع اللغة العربية) : باشراف ابراهيم مصطفى وآخرين ، مصر ١٩٦٠ .

٨٨ — المعرب : أبو منصور الجواليقي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٤٢ .

٨٩ — المقامة (من فنون الأدب العربي) دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر سنه ١٩٥٤ .

٩٠ — مقاييس اللغة : ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبع الحلبي ، ١٣٧٨ هـ . القاهرة .

٩١ — الملاحن : محمد بن دريد ، نشره ابراهيم أطفيش الجزائرى ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .

٩٢ — مناهج البحث في اللغة : دكتور تمام حسان ، القاهرة ١٩٥٥ .

٩٣ — المنصف في شرح كتاب التصريف : للمازني ، (شرحه أبو الفتح ابن جني) تحقيق ابراهيم مصطفى وآخر ، طبع الحلبي ، القاهرة ١٨٥٢ .

٩٤ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغرى بردى ، دار الكتب ١٩٦٤ .

٩٥ — النثر الفني في القرن الرابع الهجري : دكتور زكي مبارك ، المطبعة التجارية عام ١٩٥٧ .

٩٦ ــ نزهة الألباء فى طبقات الأدباء : ابن الانبارى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٠ ٠

٩٧ ــ نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام : دكتور على سامى النشار ، دار المعارف عام ١٩٦٠ ٠

٩٨ ــ نهاية الأرب فى فنون الادب : النويرى ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة عام ١٩٦٥ ٠

٩٩ ــ وفيات الأعيان : ابن خلكان : تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة عام ١٩٤٢ ٠

١٠٠ ــ يتيمة الدهر : أبو منصور الثعالبى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٦ ٠

الدوريات والمخطوطات

١ — صحيفة الجامعة المصرية ، ابريل ١٩٣٠ م

٢ — مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الأول ١٩٥١ م .

٣ — مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ابريل ١٩٧٠ م والجزء الثاني مجلد (٤٠) كانون الثاني ١٩٥٦ .

٤ — مجلة مجمع اللغة العربية المصري . المجلد الحادي عشر ١٩٥٩ م .

٥ — أخبار ابن دريد ، تأليف محمد بن دريد ، مخطوط بقلم الشنقيطي مكتبة كلية الآداب ، الاسكندرية ، تحت رقم ١٠ م .

٦ — تخميس المقصورة الدريدية ، تأليف محمد السعيد الجواري المشهور بابن الملا جرجيس ، مخطوط مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٩٣٧ (د) .

٧ — شرح مقصورة ابن دريد : (لايعلم مؤلفها) مع ثلاث قصائد لذي الرمة ، مخطوطة ببلدية الاسكندرية رقم ١٢٧٧ (ب) .

٨ — شرح مقصورة ابن دريد : تأليف محمد بن هشام اللخمي ، تحت عنوان (الفوائد المقصورة في شرح المقصورة مخطوطة مكتبة بلدية الأسكندرية تحت رقم ١٢٨٨ (ب) .

٩ — شرح مقصورة حازم ، مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ١٠٤٥ (ب) .

مراجـــع أجنبية

1. Studies in Phonitcs, lingwistics, Oxford, ABercrcmie.

2. Whats linguistics, London 1969, Crystal, Devid.

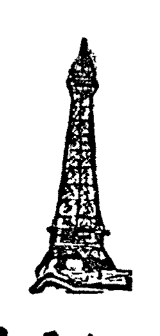
3. Langugo Truth ; and logic, A. J. Ayer.

4. Aspects of languge study by ALI G. F. AZZAT, BEIRUT 1973.

الفهـــرس

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة



المطبعة العصرية

٥ شارع كافور بالحضره ـ اسكندرية